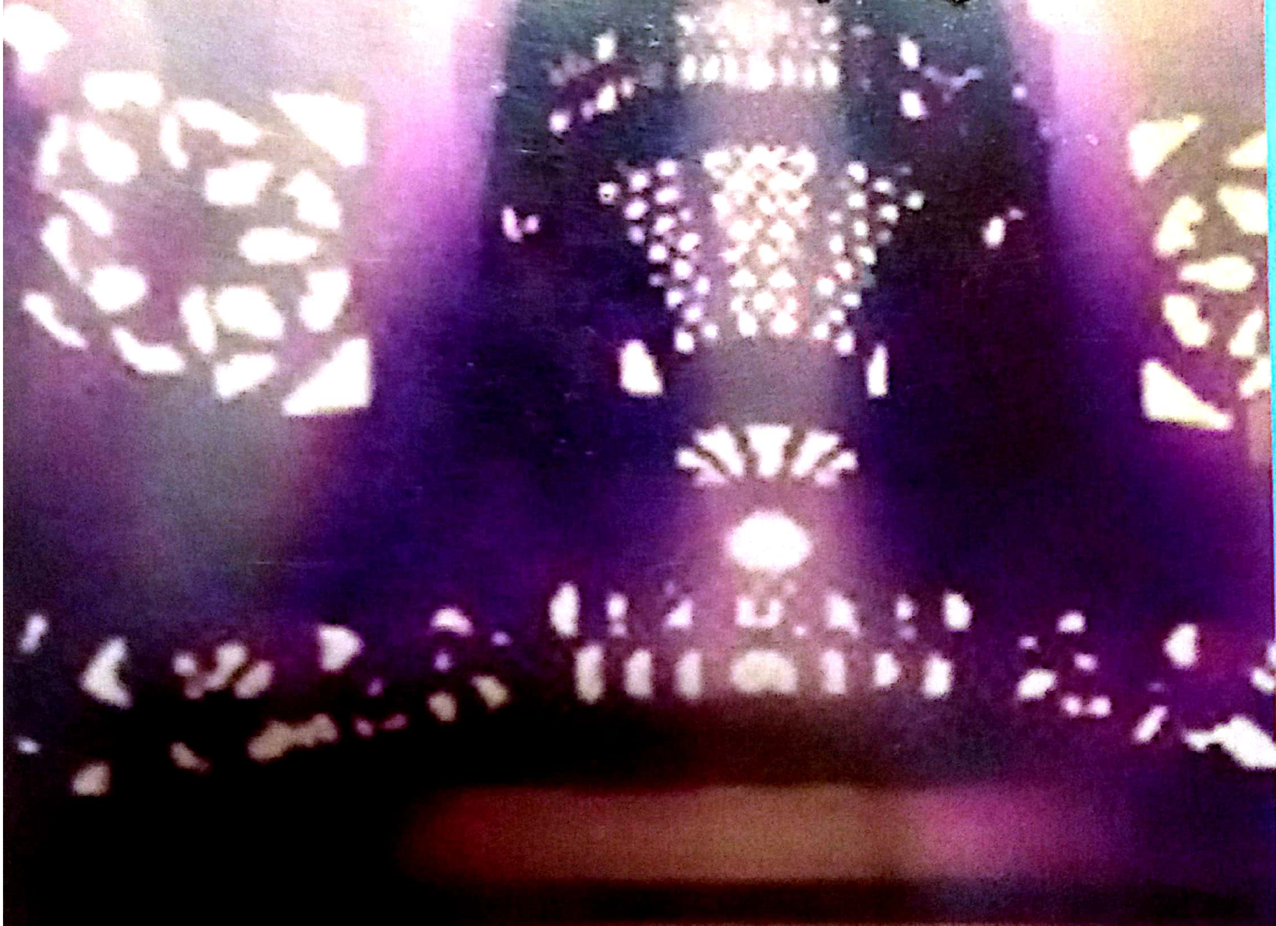
دراسة و تحقيق
بومدين بوزيد
محمد خاين

# الاستمدادات الربّانيّة في ما منّ الله عليّ من بحر الوجدانيّة

مولاي العربي بن عطية البوعبدلي الونشريسي



منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف -الجزائر
قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015

Scanned with OKEN Scanner

مولاي العربي بن عطيّة البوعبدلي الونشريسي

# الاسْتمدادات الرّبّانيّة في ما منّ الله عليّ منْ بحر الوجدانيّة

دراسة وتحقيق

بومدين بوزيد و محمد خاين

## المقدمة:

هـذا مجمـوع الرّسـائل المعنونـة: «**الاسـتمدادات الرّبانيـة في مـا مـنّ الله عـليّ مـن بحـر الوجدانيـة**»، التـي ألّفهـا الشـيخ العـربي بـن عطيـة البوعبدلي العَـمَّاري الدرقاوي (ت1272هــ- 1855م)[1]* - الملقّب بـ «الطويـل»[2]* تمييـزاً له عن مؤسّـس الطريقـة الدرقاوية العـربي بن أحمد الـزّرواني (1745-1825)[3] -، نقدمـه اليـوم للقـارئ الكريـم محققا، بعـد أن تكرمـت وزارة الشـؤون الدينيـة والأوقـاف بالجزائـر مشـكورة بتحمـل أعبـاء طبعـه، وإخراجـه في إطـار تظاهـرة قسـنطينة عاصمـة الثقافـة العربية.

وإن مـن دواعـي تحقيقنـا لهـذا المخطـوط هـو أنـه يـؤرخ لفـترة حاسـمة ومفصليـة من تاريـخ الجزائر، وهـي نهاية العهد التركـي وبداية الاحتـلال الفرنـسي للجزائـر، ومـا صاحـب ذلك مـن أحـداث، وتأزم في العلاقـات، يقـف منهـا المؤلـف موقـف شـاهد العيان الـذي يلاحظ

1 * العـمّاري نسـبة إلى الـولي الصالـح سـيدي عمّار (دفين قريـة أولاد سـعادة بلدية أولاد مـع الله، ولايـة مسـتغانم، وضريحـه مشـهور، ويـزار) بـن سـيدي بوعبدالله المغوفل (دفـين وادي رهيـو ولاية غليـزان)، وإليه تنسـب العائلـة البوعبدلية، وقد دأبـت بعـض الأقـلام الجزائريـة على وصفـه بالغـماري، مجاراة للسـهو الـذي وقع فيـه الحـاج مصطفـى العشـعاشي في كتابـه السلسـلة الذهبيـة في التعريـف برجـال الطريقـة الدرقاويـة، تحقيـق مصطفـى يلـس شـاوش، مطبعـة سـقال، تلمسـان، دت.ص 111.

2 * تجـدر الإشـارة إلى أن المؤلـف ذكـر هـذا اللقب في معـرض الحديث عن نفسـه في هـذا الكتاب.

3 - ينظـر: الحـاج مصطفـى العشـعاشي، السلسـلة الذهبيـة، مصـدر مذكـور، ص 111.

Scanned with OKEN Scanner

ويحكم ويتخذ بناء على تلك الأحداث مواقف، تكمن قيمتها في كونه لم يكن شخصا عاديا، بل كان له موقفه نظرا لموقعه المحوري وتأثيره الروحي على فئة واسعة من المريدين من أتباع الطريقة الدرقاوية في الحيّز الجغرافي والزمني الذي شغله.

كما تظهر هذه التقاييد والرسائل التي وضعها المؤلف بجلاء إشكالية المَشيخة والسّلطة، أي الفرق بين المشيخة الرّوحية الخالصة والمشيخة الصوفية التي تكون وسيلة «للسّلطنة»[1] والاستئثار بالحكم، ومن هنا يَلتبس على هؤلاء المشايخ - أي الذين يُوجِّه لهم سِهام انتقاده ومنهم بعض تلامذته - الأمر في مسألة «الجهاد» الذي قد يكون فتنة وسبب الهزيمة، وهو الموقف الذي أفصح عنه تجاه ثورة شيخه عبدالقادر بن الشريف الدرقاوي[2] ضدّ الأتراك ومقاومة الأمير عبدالقادر وبومعزة وبوحمار ضدّ الاحتلال الفرنسي.

---

1 - لفظ «السّلطان» هو السّائد في تلك المرحلة تقليداً للسلطنة العثمانية والسلطنة في مراكش، وحتى الأمير عبدالقادر لقّب بـ «السلطان».

2 - يتحدث عنها صاحب دليل الحيران في أخبار وهران، تحقيق: الشيخ المهدي البوعبدلي، بمزيد من التفصيل في باب « الترك»، وتختلف مواقف الفقهاء والمؤرخين المعاصرين لهذه الانتفاضة ضدّ بايات الغرب الجزائري، فمنهم من ذمها واعتبرها فتنة مثل المؤرخ أبي راس الذي كتب «درء الشقاوة في فتنة درقاوة» وحسن خوجة في تأليفه: «درّ الأعيان في أخبار مدينة وهران» ومسلم بن عبدالقادر الحميري، عكس الذي ترجم لشيخ الدرقاوية، وكان مرافقاً له حين قدم إلى وهران من أجل الصلح بين الثائر وباي وهران، صاحب كتاب «زمزم الأخيار في مناقب مولاي العربي الدرقاوي» للغريسي - مخطوط - فهو يعتبر الأتراك ظلمة ويجوز الخروج عليهم، ويعلي من شأن الثائر ويعتبر ذلك جهاداً، كما مدحه شعراء شعبيون «الملحون» منهم بوعلام الطيب السجراري الذي يصف معركة فرطاسة نواحي معسكر التي انهزم فيها الباي التركي وجيشه، يمكن العودة إلى الدراسة «المقدمة» التي كتبها الشيخ المهدي البوعبدلي لـ «دليل الحيران».

Scanned with OKEN Scanner

مع هذه الرسائل سوف نرى العلاقة مسألتين شكّلتا حضوراً في تاريخ التصوف - خصوصاً في القرون المتأخرة - بين الحديث عن «المشيخة» التي هي من موضوعات أهل هذا الفنّ و «الزعامة السياسية» أو «السّلطة»، أو كما سمّاها «السّلطنة» التي تعني الحُكم ومنازعة السّلطة القائمة مهما كانت طبيعتها، والظّهور بمظهر الملوك والأمراء في اللباس والمركب، فهم: «**يلبسون القفاطين والثياب الحَسنة ووسائد الحرير ويركبون في الكرّوسة (عربة يجرّها حصان) وغير ذلك من الجهاليات التي عليها الجبابرة**».

هل يمكن ذلك في زمن المُقاومة «القرن التاسع عشر»؟، وهل يمكن أن تكون «المشيخة الرّوحية» مقدّمة لـ «للمشيخة السيّاسية»؟. إنّ هذه الرسائل تعبّر عن المأزق المعرفي والنفسي والسياسي الذي أصاب «الطريقة الدرقاوية» ذات المنبع الشاذلي في الموقف من الهيمنة الخارجية، سواء أكانوا مسلمين مثل الأتراك أم مسيحيين مثل «الفرنسيين»؟. فقد اختار صاحبنا الهِجرة من «دار الاحتلال» إلى تونس التي ستصير دار احتلال أيضاً بعد وفاته، وهذا الاختيار «الهجرة أو المسالمة» سوف يطبع معظم فروع الطريقة الدّرقاوية التي نشأت بعد مؤسّسيها الأوائل مثل «العلوية» وشيخها أحمد بن مصطفى العلوي (1869-1934) والهبرية «مع محمد الهبري» التي انتشرت مع محمد بلقايد (ت 1998) في الغرب الجزائري، أما الفرع الذي اختار «المقاومة لا المسالمة» فهو «المدنية» نسبة للقب صاحبها الذي استوطن المدينة المنورة، الشيخ محمد بن حمزة المدني فقد تأسست حوالي 1820، وقد تتلمذ على مؤسّس الدرقاوية، وزاويتُها الأولى بمصراتة (ليبيا)، وتزعّمها في الجزائر الحاج موسى الدرقاوي

«بوحمار» الذي نال نصيب النّقد من شيخه صاحب هذه الرّسائل المقصودة بالدراسة، فيقول عن هذا الفرع: «**كنّا نحذّر بعض إخوان سيدي محمد المدني من ذلك ولم يمتثل لأنه كان مغلوب الطّبع حتى هلَك وأصحابه دفعة واحدة**».

كما أنّ صاحب هذه الرسائل يعيش حالة نفسية معقّدة بين «وجوب الجهاد» الديني، واتقاء «الفتنة»، وهو يعيش حالات الإخفاق التي منيت بها بعض الانتفاضات التي تزعّمها بعض مشايخ هذه الطريقة بدءًا بشيخه عبدالقادر بن الشريف الذي قاد ثورة ضدّ الأتراك، وتسببت في تشتت هذه الطائفة ومقتل بعض شيوخها من الفقهاء والمتصوفة، وكانت نهاية الحكم التركي المتضعضعة بفعل الاحتلال الفرنسي، ثم اعتذر للأمير عن المشاركة الجهادية، وسمح لتلميذه عدّة غلام الله بتولي القضاء في هذه الدولة الجديدة، وكان للخلاف العائلي - القبلي دوره أيضاً في انتقاد الأمير وأسلوب إدارته للحرب والحكم، فكاتب الرسائل من العائلة البوعبدلية التي يقودها الحاج محمد لَعْرِيبي الذي نشب خلاف بينه وبين الأمير فكانت نهايته الموت من طرف بعض المحسوبين على الأمير.

يمكن القول إنّ الشيخ العربي بن عطية الدرقاوي الونشريسي يحاول بعد هذه التجربة «السياسية» و «الجهادية» لطائفته الروحية والقَبلية العودة بالتصوف إلى معاني الخلاص الفردي والتربية الروحية التي تعني التحرّر من القيود المادية والدنيوية، ويُعتبر ذلك بالنسبة إليه «السّلطنة» الحقيقية التي يكون فيها الذي تربّى على المعاني، وترقّى في المقامات بالمُشاهدة والمجاهدة قد انتصر على

نفسه التي هي «احتلال» و «هوى» و «كفر». أما الذين استمروا في المقاومة ولم يعترفوا له بالمشيخة مادام رضي بالمُغتصب ورأى استحالة دفعه، فإنهم يخلصون لرمزية «الفُتوّة» الموروثة من شيخهم الأول «أبي الحسن الشاذلي» الذي تعارك مع الفقهاء في تونس وسجن، ثم يلاحقه التضييق من الفقهاء ويسجن أيضاً في مصر، وقد كان ماثلا أمامه اغتيال شيخه المباشر عبدالسلام بن مشيش (ت 1222 م)، ويحافظ على هذا التقليد الفَتَوي الرّفضِي لما هو قائم تلميذه ناشر الشاذلية الشيخ أحمد بن يوسف الملياني (ت1524 م) الذي عارض حكم الزيانيين بتلمسان، وانتصر لعروج وأخيه خير الدين في الدخول إلى الجزائر وتحريرها من الاسبان وبقايا أمراء دولة بني زيان، كما أن الرباط الجهادي في الثغور حمته وتزعمته طوائف صوفية تنتمي إلى فروع الشاذلية والقادرية التي انتشرت في الساحل الشمالي للمغرب العربي.

إن علاقة «المشيخة» الروحية بـ «السلطة» السياسية، تُبحَث تحت سطوة المصادر والمراجع التي كتبت في العهد الفرنسي من طرف بعض الضباط والكتاب الذين انخرطوا في تحويل التصوف إلى حزب «المسالمة» لا «المجابهة»، وقد كَتَب تحت ظلال هذه الروح بعض الكتاب الجزائريين بعد الاستقلال بأحكام مسبقة فبعضهم منخرط في الصراع الذي قادته الحركة الإصلاحية ضدّ المتصوفة والطرقيين، هكذا الرؤية التاريخية محكومة بأحكام مسبقة، أو ما نسميه «سلطة الموروث» المدرسي الذي ينتمي لظروف تاريخية حاول بعضنا تعميمه، في حين أن المنهجية المعرفية تقتضي العودة إلى النصوص الأصلية لأصحاب هذه الطرق الصوفية، وتفادي التعميم في الحكم،

فخصوصية القرن التاسع عشر تختلف عن القرن العشرين في العلاقة مع المحتل الفرنسي.

يتناول العربي بن عطية في الرّسالة الأولى السّبب الذي أرغمه على الكتابة التي يَنفر منها، مثل ما هو عليه التقليد عند مشايخ الصوفية الذين يَفضلون التعليم والتربية على الكتابة، فما هو مكتوب هنا ورَدَ عليه من زمان البدايات إلى زمان النهايات، وهذا يعتبره تحدثاً بالنعم، وهنا الإشارة إلى الآية الكريمة «**وأمّا بِنعْمةِ ربّك فَحدِّث**» والحديث النبوي «**إن الله يحب أن تذكر نعمه**»، كما أنه يَذكر أسباب عدم التقييد والتأليف فيما مضى، فقد سَبق له أن أحْرق نصوصاً قيّدها. فالكتب بِداية ودليل فقط وعلى المُريد الاستغناء عنها لأنه سيتلقّى المعرفة مباشرة، أي من شيخه الروحي، «شيخ التربية» والقراءة من الكتب معرفة ظاهرية «رسومية» بتعبير أصحاب هذا الفن.

والسبب المباشر لتأليف هذه الرّسائل يعود إلى أن المُؤلف راسل من يَدّعي المَشيخة من أهل طريقته «الدرقاوية» منبها له إلى أنه شيخه، وصاحب فضل عليه في الطريقة والتربية ولم يصرح باسمه، غير أن هذا الأخير لم يعترف بذلك، وكان ردّه إنكارياً ويصف رسالة الردّ «**يكاد الكاغط «الورق» يتمزّق منه لسوء أدب ما كتب فيه**»، قد يكون المقصود المسمّى موسى الأغواطي بوحمار الذي أخذ عنه الوِرد بإشارة من شيخه محمد المدني الذي لقيه في ليبيا.

ويبدأ بنص يتعرض فيه لسيرته الذاتية باقتضاب مركزاً على مشيخته الصوفية في مجال التربية الصوفية، فقد قرأ بالسحاري بإزاء مينة «تابعة اليوم لولاية غليزان»، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن

Scanned with OKEN Scanner

ثلاثة وعشرين عاماً وتكوّن عند عدّة مشايخ، ونال منهم تجربة ذكر «الاسم الأعظم» وخَرق العادة والإكثار من الصّوم، ويصف لنا حالة الإذن في المشيخة «...**ذهبت إلى قبّة ولي «يقصد ضريح» ثم أخذتني سِنة من النوم وإذا بالنور قد فاض على ذاتي من ذاتي فامتلأت القبّة كلها نوراً فإذا بي قد وجدت نفسي ببلدة أخرى، وطلع النهار وانفصلت من ذاتي وعادت تمشي في مقبرة خارج الزاوية وأنا جالس بذاتي أرى تلك الذات الأخرى كأني أراها بعيني رأسي ساعة ثم رجعت تمشي حتى لبستني واجتمعت ذاتي بذاتي فتعجبت من ذلك عجباً عظيماً**». وحدثت له نفس الحادثة تقريباً في زاوية شيخه العربي الدرقاوي بالمغرب الأقصى وصارتا اثنتين: واحدة جالسة بزاوية شيخه والأخرى قائمة واقفة بتلك البلدة «شلف»، وهو في حالة تعجب من شعوره بهما متفرقتين، وقد حدثت له مع بداية ذكره للاسم الأعظم. وهنا يدلل على أنّ الولي تتطور روحانيته بمائة ذات، وأما وسعها فلا غاية لها ولا نهاية، ويستشهد بابن عطاء الله الإسكندراني القائل: «**وَسِعَكَ الكَوْن من حَيْث جُثمَانِيتك ولَمْ يَسَعك مِن حَيْثُ رَوْحَانِيتك**» وقال آخر «**العَرْشُ وما حَوَى زَاوِيَة مِن زَوَايا قَلْب العَارِف**». وبعدها توجّه إلى الشيخ عبدالقادر بن الشريف الدرقاوي الذي قاد ثورة ضدّ الأتراك بالغرب الجزائري، والتلميذ المباشر للعربي الدرقاوي مؤسس الطريقة، وأخذ الوِرد المتمثّل في الاستغفار مائة مرّة والصلاة على الرسول مائة مرّة ولا إله إلا الله مائة مرّة بعد صلاتي الصبح والمغرب.

وقد صرّح بالأنانية مثل الحلاج «**أنا الله**»، في مشهد ذَكر فيه الاسم حتى فاض عليه الوجود وغاب عن إحساسه، وسمع صوتاً

من داخله: كلاماً ليس بحرف ولا صوت، طبعاً إنها عملية التماهي والتماثل مع الرسول عليه السلام والأنبياء في تلقّي الوحي والعلاقة مع السّماء، وهي حالة شعورية تأتي في الخَلوة الصوفية أو بعدها، بعد مجاهدة ومشاهدة، وبالعودة إلى حياة المتصوفة نجدها عند أكثرهم، ومثل ذلك في معاني القرآن الكريم التي بثها الأمير عبدالقادر الجزائري في كتابه «المواقف» فأعاد إنزال الآيات مستوحياً بعض معانيها من «فتوحات» شيخه غير المباشر محي الدين بن عربي.

وفي هذا التأليف يَذكر خصائص الطريقة التي ينتمي إليها، فيرى أنّ خِصال الطريقة الشاذلية التي تفرعت إلى طرق عدّة هي:

- أهلها مُختارون من اللوح محفوظ.
- القطب يكون منهم.
- مجذوبها سَالك.
- مأمونة من السلب.
- لا يدخلها إلا سعيد.
- عليها تقوم الساعة.
- ليست طرائق الجدّ والاجتهاد هي بالمهمة والحال.
- الفتح قريب على أهلها، وأوّل ما يفتح لهم في الفناء في الذات من أول وهلة.
- مأخوذة من مَشايخ التحقيق لا عن مشايخ التبرك.
- لا بد لأهلها من الإذن من الله ومن الرسول ومن مشايخ التحقيق.

بعد الحديث عن حياته التعليمية والتربوية وخصائص طريقته الصوفية يمكن أن نلخص أسباب هذا التأليف في النقاط التالية - حسب ما جاء في رسائله:

**1 ـ تقييد ما ورد عليه من زمان البدايات إلى زمان النهايات «التّحدث بالنعم».**

**2 ـ الكتب دليل أي «توجيه وتعلّم» فقط ويمكن الاستغناء عنها، وهذا سبب نُفوره من الكتابة والتقييد إذ هو يكتب للضّرورة وللردّ على الذين يدَّعون المشيخة حتى يُنبه المريد والداخل في الطريق إلى ذلك.**

**3 ـ يقول: «لئلا يغشم أهل المحبّة [illegible] وفي طريقنا الطالبين لسلوكها»، لتصفية ذهن المحبين لهذه الطريقة [illegible] له من هجوم ونقد لشخصه أو للطريقة في قضايا المشيخة والجهاد [illegible]**

يتحدث عن الفتن وتنبأ بفشل ثورة شيخه عبدالقادر بن الشريف الدرقاوي زمن العهد التركي، كما يتعرّض إلى نهاية مُلك سليمان بن عبدالله ملك المغرب (1792-1822)، وسِجن شيخ الطريقة العربي الدرقاوي، وموت سيدي محمد بن احمد، والقبض عل أخيه عبدالله بن حواء قتيل الترك، وسيدي محمد بن علي فرقان، وهنا ساق رؤية منامية تعبّر عن الفتنة: **«رأى غمامة قادمة من الغرب ودخل وسطها ورأى الرسول»**، والقصد هنا فتنة ابن التيجاني ضدّ الأتراك وأصحابه، ومقتل محمد بن القندوز من طرف الباي حسن آخر بايات الأتراك.

في هذا الجوّ استولَى عليه القبض وأراد الانتقال من بلاد شلف إلى سُكنى الجبال والذهاب إلى بلاد المشرق «الحجاز أو تونس» ورأى

حالة الوَحْل والغَرق والمقصود هنا «الاستعمار الفرنسي» وتنبأ بهلاك «الترّك»، طبعا نتيجة ما لاقاه المنتمون لهذه الطريقة الصوفية من تصفية جسدية لمشايخهم وقد تعرّض لبعضهم بالذكر.

يتحدّث عن حالات القبض والحزن منذ آخر العهد التركي ودخول الفرنسيين للجزائر، وفي خضم الخلاف حوْل الهِجرة من عدمها في أرض يحكمها «الكفار» كثرت عليه الرؤى المنامية ويستشهد بحديث الرسول عليه السلام « **أنا بريء من كل مُسلم مُقيم بين أظهر الكافرين**»[1]، وقد رأى الرّسول مُتوجِّها نحو المشرق، وهنا خلاف مع تلميذه الذي رفض الهجرة ويذكره أي شيخه بطاعة الخلفاء للرسول عليه السلام، فالمتصوفة يرون أن شيخ التربية الأوّل جبريل للرسول عليه السلام، ثم الرسول لأصحابه، وهكذا سند المتصوفة في المشيخة التي ترتبط عند أكثرهم بعلي بن أبي طالب الجامع بين النسب الروحي والدموي.

وما يذكره أنه طلب من تلميذه أن يُرسل إليه مبلغاً مالياً، فرفض ذلك، وهذا يعتبره اختباراً فقط، وهنا يذكر اختبارات الذّبح عند بعض المشايخ مثل الشيخ أحمد بن يوسف الملياني،[2] ويتحدث عن

---

1 - الخلاف كان أيضاً فقهياً بين تكفير الراضين بالبقاء تحت حكم الفرنسيين من طرف القائلين بوجوب الهجرة أو الدعوة إلى الجهاد، ففتوى الشيخ علي بن الحفّاف الذي التحق بمقاومة الأمير عبدالقادر وتولّي الكتابة بديوانه الذي كفّر علماء الجزائر وقد ردَّ عليه محمد بن الشاهد الذي بيّن أسباب العجز عن الهجرة، من محاضرة المهدي البوعبدلي في ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر بقسنطينة، سنة 1983.

2 - قصة تستلهم من حكاية الذبيح إسماعيل وأبيه إبراهيم - عليهما السلام -، أما قصة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني فهي شهيرة في اختبار تلامذته يوم عيد الأضحى فسبعة منهم فقط قدموا له الطاعة، وهم الذين سيكونون خلفاءه الروحيين.

Scanned with OKEN Scanner

سوء الأدب مع المشايخ، وحتى إن تعدّدوا فهناك دائماً شيخ واحد هو «شيخ التربية»، ويعطي مثالاً على ذلك الشيخ يوسف الفاسي الذي كان له عشرون شيخاً مع وجود شيخه المركزي عبدالرحمان المجذوب، فالآخرون مشايخ التعليم فقط.

على الرغم من اعتراف العربي بن عطية لعبدالقادر بن الشريف بالمشيخة، إلا أنّ خروجه عن النظام التركي، والبحث عن السلطة جعله يقف منه موقفاً محايداً منبهاً إياه إلى خطورة العمل بالسياسة والدخول في جهاد قد يكون فتنة، فيقصد له بحكمة عطائية مشهورة: **«الخُمول نعْمة والنّفس تأباه، والظُّهور نِقمة والنفس تَرضاه»**، ويدلّل على ما نَصحه به ما وقع من قتل وسِجن لأتباع هذه الطريقة.

ونسجّل هنا حَالة التردّد وعدم اتخاذ موقف واضح من «الجهاد» وتحرير الأرض، ولو أنّه في الأخير غَلب عليه الرأي بالمهادنة والمسالمة والدّعوة إلى الهجرة، فقد قبل في البدء أن يكون تلميذه الشيخ عدّة غلام الله قاضياً في دولة الأمير، ثم تبرم منها الشيخ عدّة، ونصحه شيخه بالاستقالة والتفرّغ للعلم وخدمة الطريقة الدرقاوية، وقد ذكر ذلك بالتفصيل الشيخ عدّة في سيرته الذاتية، وينتقد الأمير صَراحة في رسائله «الاستمدادات» خصوصاً بعد مقتل شخصية شعبية من العائلة البوعبدلية وهو الحاج محمد لَعْرِيبي، ويحكم على مسعى الأمير وبومعزة وبوحمار أنهم يريدون «السّلطة»، ويعبر عنها «بالأمور المخزنية»، وبالتالي غرض الجهاد هو مظهر ديني فقط، واستمالة الآخرين، وسرّ فشلهم أنهم لم يسمعوا نصيحته، في حين يدعو إلى الجهاد مع زواوة وأرسل شَيخين من أصحاب الطريقة:

Scanned with OKEN Scanner

مولاي محمد ومولاي إبراهيم، ونصحهما بقوله: «**إياكم ثم إياكم والتعلق بالسلطنة وعليكم بالأخلاق في الجهاد**»

كما حذّر محمد بن إبراهيم من الثورة - خصوصاً بعد أن طلبت منه بعض القبائل قيادتها في الثورة ضدّ الاحتلال الفرنسي - كما رفض تولّي المناصب حين عرضت عليه من طرف الأمير والفرنسيين فيما بعد، غير أن تلميذه الشيخ عبدالرحمان الطوطي قاد معركة في يوم سوق بمدينة سيدي بلعباس (30 يناير 1845).

أما موسى الدرقاوي الملقب بـ «بوحمار» الذي ينال النصيب الأوفر من النقد في هذه الرسائل، فقد حاول إقناع شيخه بالجهاد، ولم يلتفت إليه، ونصحه الأخير بالتريث وحذره من الزعامة والدخول في مواجهة مع الأمير عبدالقادر، وهي نفس النصائح التي وجّهها له الشيخ عدّة غلام الله «يمكن العودة هنا إلى (رسالة الكراس) مخطوط»، هزمه الأمير في نواحي المدية، وانتقل إلى الأغواط ثم انتقل إلى بني يعلى بتيزي وزو «القبائل» ثم انتقل إلى متليلي «الشعانبة» وشارك مع الشيخ بوزيان في ثورة الزعاطشة 1849 واستشهد معه.

بنى ابن عطية نقده لثورات هؤلاء خصوصاً بوحمار وبومعزة على ادّعائهما المهدوية، ودعوة المهدوية كانت رائجة لاستمالة عامّة النّاس لكونه الاعتقاد القوّي السّائد في القرن التاسع عشر[1]، واستمرّ هذا

1 - الحاجة إلى «المهدوية» كاعتقاد أو تكتيك سياسي أو إيمان شعبي في مواجهة الأزمات والمجاعات وانتظار المخلِّص من الظلم، تُستدعى من حين لآخر، فعند المهدي بن تومرت كما هو المعلوم كانت حاجة عقدية وسياسية أصبغها بسنية غزالية، كما أنّ العصبية القبلية تتقوى للوصول إلى الحكم بالدعوة الدينية كما قال إبن خلدون، والخلاف بين ابن محلّى السجلماسي وعبدالقادر بن محمد

الاعتقاد الشعبي حتى زمن القرن العشرين، كما أنّ هؤلاء حسب -ابن عطية- لم يتفقهوا في الدين، وبعضهم تعجّل في الترقّي ولم يخضع للتدرج في المقامات والمجاهدات حتى يَصل إلى رتبة الجمع بين الشريعة والحقيقة، ويستشهد هنا بالقول المشهور: «**من تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق**».

يُلْبِس العربي بن عطية موقفَه من الثورات والانتفاضات المشار إليها بالرؤيا الباطنية التي يراها غائبة عن الذين يتعجلون النتائج، ويحاول أن يجد لذلك مخرجاً فقهياً في جواز الهجرة من بلد احتله «الكفار» بل الوجوب، ويستشهد بقول الرسول عليه السلام: « **أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر الكافرين**»، وليس معنى هذا تكفير الذين رَضَوا بالبقاء تحت حكم الاحتلال ولم يستطيعوا الجهاد، فاعتقاد أهل السنة أنهم لا يكفرون أحداً، ويستشهد هنا بنصوص لصاحب «العينية»، ويستشهد بالحديث الشّريف: «**لأن يخطئ الإمام في العفو أحب إلى الله أن يُخطئ في العقوبة**»، كما يدلّل بأقوال الأمام تقي الدين السّبكي منها قوله: «**قوم حُجِبوا بالشريعة عن الحقيقة، وقوم حُجِبوا بالحقيقة عن الشّريعة، وقوم جعلوا الشريعة باباً والحقيقة إياباً أولئك حزب الله**»، ويعلّق على هذه النصوص بقوله: «**العلم طيّار يَسوق صاحبه إما إلى الجنة وإما إلى النار، والجنة جنة المعارف ولا شيء أعظم منها وأرفع منها، ومن دخلها لا يشتاق إلى جنة الزخارف، والنار نار الحجاب ولا شيء أشدُّ منها عذاباً ونكالاً**».

---

(سيدي الشيخ) في القرن السادس عشر الذي وصل إلى حدِّ التكفير والتبديع، هو ادعاء للمهدية التي كانت قوّة دينية في ثورة ابن أبي محلّى على السلطة.

Scanned with OKEN Scanner

## نسب الشيخ العربي بن عطية وسيرته:

ينتمي الشيخ مولاي العربي بن عطية إلى عائلة شريفة تعد من أشهر العائلات في منطقة الشلف السفلي، وهو ما أشار إليه ألكسندر جولي(A.Joly)، حينما تعرض إلى نسب الشيخ محمد بن محمد بن رقية المعروف بالموسوم (الميسوم) تلميذ الشيخ عدة بن غلام الله، فذكر أنّ أمه (الشيخ الميسوم) هي فاطمة بنت العربي من أعيان العائلات بالشلف الشرقي، ومنها عائلات سي العريبي، وسي محمد الأحمر، ومولاي العربي بن عطية، وأن هذه العائلات اشتهرت في عهد الأمير عبد القادر[1].

يقول الشيخ متحدثا عن نفسه: «كنت أقرأ القرآن العظيم عند بعض المشايخ ببلاد السحاري بإزاء مينة، وقد جمعت القرآن، وأنا ابن ثلاث وعشرين سنة». كما يشير الشيخ إلى الكتب التي اطلع عليها، ومنها: «شرح الحكم العطائية، ومرآة المحاسن»، إضافة إلى هذا فقد تحدث الشيخ عن المدن والبلدات التي زارها، حيث يقول أنه قد زار مدينة فاس بالمغرب، في أكثر من موضع من كتابه، وفي مناسبات عدة، وأقام فيها لمدة سبع سنوات للتتلمذ، وبعد ذلك لتفقد أحوال شيخه مولاي العربي الدرقاوي، وأداء فروض الطاعة والولاء مثلما تفرضها واجبات المشيخة على المريد، كما يشير في المخطوط موضوع التحقيق إلى جولاته في المغرب الأقصى كزيارته لتطوان، وأنه استوطن

---

1- Voir : A.. Joly. Etudes sur la Chadouliyas. In Revue africaine. Vol .51. 1907.p.6.
وقد نقل عنه أبو القاسم سعد الله هذه المعلومة في تاريخه. ينظر: د.أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي. 1998. بيروت. لبنان. ج3، ص228.

متيجة (تتبع حاليا برج بونعامة بولاية تيسمسلت)، حيث أقام زاوية هنالك، وقد كثر أتباعه ومريدوه، وقد شرح دواعي هجرته في هذه الرسائل من شلف (المقصود هنا حوض الشلف وليس المدينة)، إلى جبال الونشريس، ويبدو أن هجرته مثلما يفصح عن ذلك المخطوط كانت حوالي العام 1827، إذ يورد في نص له أنها تمت سنتين قبل حادثة مقتل الشيخ بلقندوز التي وقعت سنة 1829:» ثم اشتهر الأمر بالفساد، وذلك قبل موت سيّدي بالقندوز بسنتين. وحين رأيت ذلك استولى عليّ حال القبض، وأردت الانتقال من البلد الّتي أنا فيها، وهي بلد الشّلف إلى سكنى الجبال أو الذّهاب إلى بلاد المشرق. فاستخرت الله تعالى في ذلك فرأيت في تلك الليلة عمالة الجزائر عمّها الخضخاض كلّها، وفيها وحلٌ عظيم إلاّ الموضع الّذي أنا قائم فيه فتوجّهت إلى الغرب، فلمّا مشيت خطوات غرقت رجلاي حتّى بلغني الغرق إلى الرّكبتين، فرجعت، ثم التفتّ إلى ناحيّة القَبلة، فوجدت الوحل كذلك.

ولـمّا استيقظت قلت: هذه فتنة تقع في العمالة الجزائريّة وهول كبير فقوي عزمي على الانتقال إلى جبل الونشريس، فانتقلت إليه. وقد دامت إقامته في متيجة حوالى سبعة عشر سنة[1]* ليهاجر بعدها إلى تونس، وقد شرح ملابسات هذه الهجرة في رسائله موضوع التحقيق، حيث يقول: «وقد كنا بأرض الصحراء بنية الهجرة إلى المشرق، واجتهدنا غاية الاجتهاد، فلم يتيسر لنا، فإذا بالرومي

1 * وهو الأمر الذي أكده له المهتمون بسيرة الشيخ العربي بن عطية، ووجدناه مقيدا بخط الشيخ العربي رحمه الله جد الشيخ أحمد عمر رئيس الجمعية الدينية لزاوية الشيخ العربي بن عطية في نهاية المخطوط والذي أمدّنا مشكورا بنسخة منه.

Scanned with OKEN Scanner

(الفرنسي) حاكم المدية- دمره الله- بعث لنا بالأمان ليركبنا في البحر بلا أجرة ولا زاد من الجزائر (المدينة) إلى تونس فقدمت إليه فاتفق ما قاله لنا».

وقد تؤدي بنا القراءة المتأنية للملابسات التي أحاطت بهجرته الأخيرة إلى تونس إلى هذا السؤال الذي يفرض حضوره بقوة: لماذا أمّنه حاكم المدية الفرنسي، وأركبه السفينة التي أقلته من مدينة الجزائر بلا أجرة، وبذلك يكون قد سهل عملية خروجه من الجزائر؟.

من المؤكد أن الأمر لا يتعلق بعمل إنساني بل هو سياسي بامتياز. ونحن نرى أن هذا الحاكم كان يعلم مكانة العربي بن عطية داخل الطريقة الدرقاوية، والتي تحرص كل التقارير الاستخباراتية والدراسات المنجزة عن الطرق الدينية في الجزائر على وصفها بالطريقة المتعصبة، وتوصي دائما بالحذر في التعامل معها، حتى بعد أن انكفأت على نفسها وحرّمت على مريديها الاشتغال بأمور السياسة، وبالتالي فإن تسهيل خروج زعيمها من الجزائر فيه وأد لكل تمرد صوفي قد يقوده درقاوي في نظر هؤلاء، وخاصة أن منطقة المدية التي كانت تدخل ضمن مناطق نفوذ الدرقاويين، كانت مسرحا لنشاط ثوري قبل ذلك بزعامة موسى الدرقاوي المدعو بوحمار، والذي حاول دون جدوى الحصول على التأييد الروحي من العربي بن عطية.

وللتدليل على المكانة التي كان يحظى بها مولاي العربي بن عطية يكفي أن نشير إلى أن الشيخ عدة بن غلام الله ما كان يذكره إلا مقرونا بصفة أستاذي وشيخي أو ما دار في فلكهما من ألفاظ التوقير والإجلال فقد تكررت مثل هذه الألفاظ في إحدى [illegible]عشرين موضعا

Scanned with OKEN Scanner

في خاتمة كتابه الرسائل لأهل الوسائل، وأنه أذن له في تلقين الورد.[1] وقد اشتهر أمره، وذاع صيته، إلى أن قال الناس في باب المقارنة بينه وبين شيخه: «هذا مولاي العربي نفسه»[2]

وهو ما نقله الشيخ الجيلالي بن عبد الحكم في كتابه المرآة الجلية عن حفيد الشيخ عدة الشيخ الحاج محمد بن الحاج أحمد بن عدة من أن مولاي العربي بن عطية هو شيخ وأستاذ الشيخ عدة غلام الله، وأنه حينما أخذ العهد على الشيخ مولاي العربي كان عمره أربعين سنة، وأنه هو الذي أشار عليه بسكنى محنون قائلا له: «اسكن محنون فإنك مأمون» وذلك سنة1260 هـ، وأنه ما قَبِل قَبْل ذلك خطة القضاء في دولة الأمير عبد القادر إلا بعد استشارته لشيخه مولاي العربي الطويل[3].

وتتفق الكتابات الاستعمارية الفرنسية على أن أقطاب الطريقة الشاذلية الدرقاوية في الجزائر هم: مولاي العربي بن عطية، وأنه من ذرية سيدي بوعبد الله المغوفل، وأنه يلقب بالطويل الونشريسي، وأن ريادة الطريقة انتقلت من بعده إلى الشيخ عدة بن غلام الله، وأنها آلت من بعده إلى الشيخ الميسوم بن محمد المتوفى في 3 فبراير[4] 1883. كما

---

1 - ينظر: الشيخ عدة غلام الله، خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل، تحقيق حمدادو بن عمر وآخر، كتاب- ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 2012، ص72

2 - الحاج مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية، مصدر مذكور، ص111.

3 - ينظر: الجيلالي بن عبد الحكم، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية، دار ابن خلدون، تلمسان، 1953، ص271، 275، 276.

4 - Voir :Louis Rhinn.Marabouts et khouans :Etudes sur l'Islam en Algérie.Ed :Adolphe Jourdan. Alger.1884.p.236. et Octave Depont Et Xavier Cappolani. Les confréries religieuses musulmanes. Ed : Adolphe Jourdn. Alger.1897. pp.447-448

Scanned with OKEN Scanner

تشير هذه الكتابات إلى أنه في سنة 1840 (1255-1256) كان زعيم الطريقة الدرقاوية هو سي الحاج بن عبد المؤمن في ريف المغرب (بعد وفاة العربي بن أحمد الدرقاوي) وفي الجزائر مولاي العربي بن عطية صاحب الونشريس، وتصفه بالزعيم الروحي الذي له التأثير على الكثير من الأتباع[1].

## كتاب الاستمدادات الربانية في ما من الله علي من بحر الوجدانية:

تنوعت الموضوعات التي طرقها مولاي العربي بن عطية في كتابه «الاستمدادات الربانية»، كما أنها بنيت على طريقة عصره في الكتابة والتأليف، إذ جاءت على شكل رسائل وتقاييد، يبدو أنه توجه بها إلى أهل محبته، وكذا خصومه ومنتقديه من منتسبي الطريقة الدرقاوية. وعلى الرغم من تنوع الموضوعات فإنها لم تخرج عن المنحى الصوفي العام، وهو ما يعني في نظرنا أنها تخدم غرضا محددا، وهو الإفصاح عن فلسفة التصوف في الطريقة الدرقاوية. ويبدو أن المترجم له قد سجل هذه التقاييد بعد الهجرة إلى تونس، وقد كانت إشارته إلى ذلك صريحة حينما تحدث عن ملابسات هجرته، وكذلك في قوله: «فاعلم أيها الأخ أني أريد أن أقيد بعض ما ور د علينا من زمن البدايات إلى زمن النهايات»، كما ذكر الغرض من هذا التقييد: «وذلك من باب التحدث بالنعم ولئلا يغشم أهل المحبة فينا وفي طريقنا»، وكان هذا بمثابة المقدمة لهذه الرسائل. ويمكن أن نجمل ما تم طرقه في:

1 – Ibid.p.239 .

- جوانب من سيرته الذاتية.
- الرد على المنتقدين من أهل الطريقة.
- التحدث بنعم الله التي منّ بها عليه في التصوف.
- الموقف من أحداث العصر.
- مناقب شيوخه.
- فلسفته في التصوف: أ- كراهية الظهور وحب الخمول. ب- مكانة الرؤيا وقيمتها في حياة الشيخ الصوفي. ج- الهجرة من دار الحرب ومسوغاتها الشرعية. د- الاعتقاد الراسخ في كرامة الأولياء. هـ- ضرورة الشيخ للمريد ووجوب توقيره والمغالاة في حبّه.
- نصائح وتوجيهات إلى أهل المحبة من الإخوان والمريدين.
- نقد سلوكات بعض المنتسبين للطريقة.
- تفسير آيات وسور من القرآن الكريم تفسيرا إشاريا.

ويبدو لمتتبع الخط العام الذي سارت عليه رسائل العربي بن عطية ومن خلال جملة القرائن اللغوية والحالية أن المعني في جزء هام من رسائل الاستمدادات الربانية بالرد هم مريدو رفيقه في الطريقة وفي التتلمذ على الشيخ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشيخ أحمد ظافر المدني الذي اتخذ من مصراتة في ليبيا مقرا لدعوته.

ويتأكد لدينا هذا الزعم من خلال المقارنة التي يمكن عقْدها بين محتوى الرسائل والنص المنشور في المجلة الإفريقية[1]، والذي يتحدث فيه مفتي دلس في سنة 1855 عن الحاج موسى الأغواطي المدعو بوحمار، ومؤدى هذا النص أن العربي بن عطية قد رد على

1- Voir :A. Berbruger. El-Hadj Moussa ,ou l'homme à l'âne. In : Revue Africainne. Vol.1.1856.p.41.

Scanned with OKEN Scanner

الحاج موسى برسالة قد بلغ عدد صفحاتها مائة وعشرين صفحة، وفيه إشارة إلى أن الشيخ أحمد المدني قد أوصى الحاج موسى بزيارة العربي بن عطية في الونشريس، والذي قام بالفعل بزيارة هذا الأخير إلا أنه لم يلق ضالته لديه فكاتبه برسالة طويلة يبدو أنها هي التي أشار إليها العربي بن عطية بقوله: «يكاد الكاغط يتمزق منه لثقل ما كتب فيه من سوء الكلام»[1]*.

## منهج التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذا المخطوط نسختين، الأولى منهما رمزنا لها بالحرف أ واعتبرناها النسخة الأساسية، وهي من خزانة الحاج عبد القادر شرّاك المدعو سي بوعبدالله، وقد سلمنا إياها الأستاذ الدكتور المختار بوعناني من جامعة وهران. وعدد صفحاتها مائتان وأربعون صفحة، والثانية، أمدنا بها الشيخ أحمد شيخ زاوية سيدي العربي بن عطية بمتيجة (بلدية برج بونعامة، ولاية تيسمسيلت). وعدد صفحاتها مائتان.

ما نود الإشارة إليه بداية أننا وقفنا كثيرا عند العنوان، إلى استقر رأينا على إثبات **الوجدانية** بدل **الوحدانية** التي اشتهر بها المخطوط بين المهتمين، وذلك راجع إلى أننا حينما بدأنا في التحقيق وجدنا العنوان الوجدانية بالجيم المعجمة، فرددناها إلى سهو النساخ ولكن ثبت الرأي على الوجدانية لما رأينا المؤلف يثبته في مقدمة كتابه في قوله:» فحين بلغني ذلك كاتبته برسالة عجيبة وبعثتها له، وسأذكرها إن شاء الله في هذا التّقييد، وسمّيته بـــــ: « **الاستمدادات الرّبّانيّة فيما منّ الله علينا**

1 * قام الدكتور يحي بوعزيز – رحمه الله- بتقديم ملخص للمقال المذكور في كتابه: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر الصادر في طبعة خاصة عن دار البصائر سنة2009، ص57وما بعدها.

**مـن بحـر الوجدانيّـة**»، وبما أننـا اعتمدنا النسـخة -أ- أساسـية وهي التي تثبـت **الوجدانيـة** أبقينـا عـلى عنوانهـا، وأشرنـا إلى النسـخة المرمـوز لها - ب- التـي ورد فيهـا لفـظ **الوحدانيـة** في الهامش.

وقـد ترجـح لدينا لفـظ **الوجدانيـة** عرفانيـا وآثرناه عـلى **الوحدانية**، لدلالتـه لـدى الصوفيـة عـلى بحـر الخواطـر والهواجـس واللطائـف واللوائـح واللوامع والقـوادح والعـوارض والوارد، وذلك كله يسـمى المعرفـة الوجدانيـة، فالتصـوف بحـر النفس، المطهـر لهـا مـن النـوازع والأهـواء والرغبـات والميـول ولذا نشـأ التصوف كقيم اخلاقية تسـتمد برهانهـا من الـذوق والوجدان، هكذا العنـوان هو طلب العطـاء الرباني مـن مواهـب وكرامـات ومنـح بفضل منـن الله مـن بحر واسـع «النفس المطمئنـة» الملهمـة العارفـة، فهـو يزخـر بخـيرات الدنيـا والآخـرة وهو المنجـي مثـل نجـاة موسـى، والمغـرق لـكل مـن لم ينتـصر عـلى الأهواء والنـوازع و«النفـس الأمارة»

قمنـا بتخريـج النصوص مـن مصادرهـا التي أحـال عليهـا المؤلف أو لم يحـل واكتفـى بذكـر أصحابهـا، وعمدنـا إلى ردهـا إلى أصولهـا أو إكـمال النقـص الظاهـر فيهـا، وقـد أشرنـا إلى كل ذلـك في مواضعه. كما عملنـا مـا وسـعنا ذلـك على ترجـمة كل مـن ذكرهـم المؤلف مـن أعلام، وحاولنـا تقريب سـياق الأحـداث من القـارئ من خـلال التوضيحات التـي كنا نوردهـا في الهامش، كـما خرجنا الآيات والسـور المستشـهد بها في المتـن وفـق قـراءة ورش عـن نافـع، وكـذا الأحاديث مـن الصحاح، وكنـا نشـير في الهامـش إلى آراء المحدثـين في الأحاديـث المختلف بشـأنها أو المحكـوم عليهـا بالضعـف أو الوضـع، بحيـث نثبـت أقوالهـم فيهـا ونشـير إلى مصادرهـا دون تدخـل منا.

Scanned with OKEN Scanner

بقي أن نشير إلى أننا كنا نتدخل في التصويب للغة المؤلف في مواضع معينة سيجدها القارئ مثبتة في الهامش، وكنا كذلك نحيل على مواضع الاختلاف بين النسختين، وسيجدها القارئ في محلها، كما ينبغي أن ننبه إلى أن المؤلف لا يهمز في مواضع الهمز جريا على قراءة ورش التي لا تهمز وكذا مسايرة لنمط الكتابة والتأليف عصره، فحيثما وجد الهمز فهو منا، فهمزنا تسهيلا للقراءة على ما هو جاري به التعليم في العالم العربي، وقد أشرنا إلى ذلك في بداية التحقيق في أول هامش، كما حرصنا على تبيان مظاهر التداخل اللغوي بين السجلين الفصيح والعامي في مواطنه، فالمؤلف لم يخرج أيضا في هذا عن الأسلوب السائد في عصره في المزج ما بين العامية والفصحى، وليس ذلك عن عجز منهم في اللغة، ولو أن بعض الصوفية والكتّاب كان نصيبهم في اللغة ضعيفا، وقد اعترف بذلك أبي راس الناصري في بدايته، ثمّ لما عيب عليه في حلقة الدّرس اجتهد وتعلم النحو وقواعد اللغة وصار ضليعاً.

وما خرجنا به من هذا العمل يمكن تلخيصه في تحليه بالأمانة العلمية في الإحالة والضبط، وقد لمسنا ذلك من خلال العودة إلى المصادر المحال عليها، كما بدت لنا سعة اطلاعه على المدونات الصوفية جلية.

ونحن إذ نُقدّم هذا العمل للقارئ ليس دفاعاً عن موقف الكاتب في دعوته للهجرة زمن الاحتلال الفرنسي، وليس أيضاً في التنقيص من هذه الدعوة أو إبطالها، والقول بالوطنية أو اللاوطنية فهما مفهومان بَرزا زمن الحركة الوطنية في القرن العشرين، وليس ذلك منا موقفاً منافحاً

عن هذه الطريقة الصوفية أو تلك، فنحن لا ننخرط في صراعات لم نعشْها ولكننا ننتمي لعصرنا وآفاق مستقبلنا، وسيجد الباحث والقارئ في هذا النص الخِلاف السياسي والفقهي الذي يُصبغ بروحانية - صوفية تخضع لتقاليد الانتماء للطريقة وفضاء الطاعة والمشيخة والولاء، كما أنّ «الخوف من الفتنة» ثقافة تؤطر بعض العارفين والفقهاء والمذاهب ومنها مثلاً اليوم مسألة «الخروج على الحاكم» عند بعض الوهابيين الحنابلة، ذلكم هو هدفنا من بَسْط هذِه الرسائل لفهم أكثر للخصوصية السياسية والثقافية والدينية في القرن التاسع عشر، ولإعادة قراءة المقاومة والتصوف بمنهجية علمية مفتوحة.

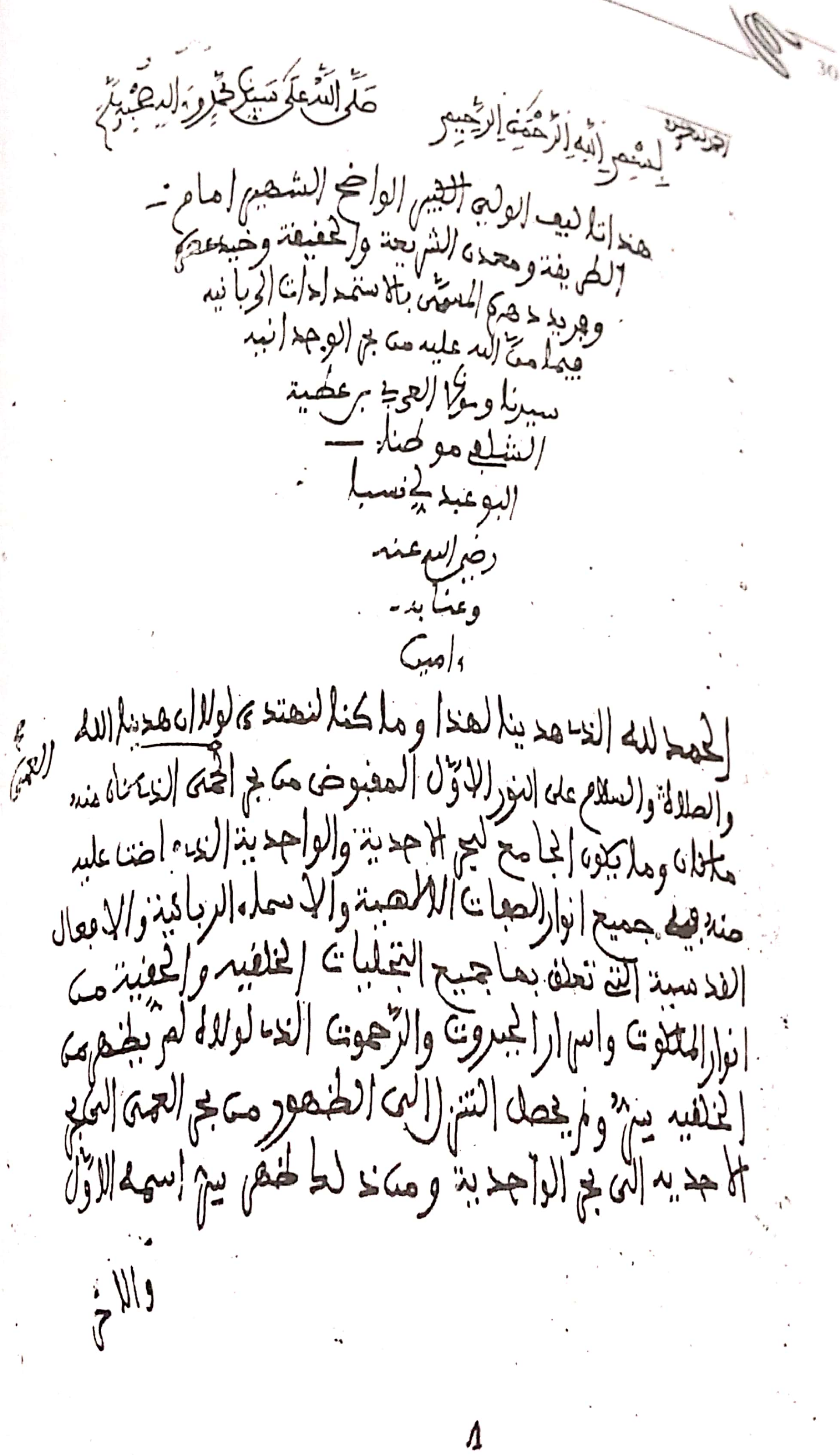
المحققان:

محمد خاين

بومدين بوزيد

الجزائر العاصمة والشلف:

رمضان1436ه/ 2015م



صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تأليف الولي الكبير الواضح الشهير إمام
الطريقة ومعدن الشريعة والحقيقة وخديمهم
وفريد دهره المسمى بالاستمدادات الربانية
فيما من الله عليه من بحر الوحدانية
سيدنا ومولانا العربي بن عطية
الشلفي موطنا
البوعبدلي نسبا
رضي الله عنه
وعنا به
آمين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والصلاة والسلام على النور الأول المقبوض من بحر العمى الذي كان عنده
ما كان وما يكون الجامع لبحر الأحدية والواحدية الذي أضاء عليه
منه فيه جميع أنوار الصفات الإلهية والأسماء الربانية والأفعال
القدسية التي تعلق بها جميع التجليات الخلقية والحقية من
أنوار الملكوت وأسرار الجبروت والرحموت الذي لولاه لم يظهر من
الخلقية شيء ولم يحصل التنزل إلى الظهور من بحر العمى الذي
الأحدية إلى بحر الواحدية ومنه لما ظهر شيء إسمه الأول

والآخر

الصفحة الأولى من النسخة أ

وملكتها وتمكنت فيها بانها نعيم دنية خسيسة رذيلة لا قيمة لها عند
الله بعد علو مكانها وارتفاع شانها في عالم اللطائف الروحانية وهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذم من همته كانت همته في بطنه وفرجه
كانت قيمته ما يخرج منهما وهذه الاداب في قبحها وخساستها ودنوها
واهانتها عند الله فينبغي بعلو الهمة وتنزيهها عن الرذائل كلها لانها لو امالت
الى المال والاولاد شيء في خيرا ما نزلت فيهم الاية الكريمة وهي قوله تعالى لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين وقوله تعالى ايضا والعصر
ان الانسان لفي خسر وغير ذلك من الايات التي نزلت فيمن دنت همته ومال الى
الدنيا وشهواتها وعوائدها وزينتها ولو كانت مباحة والله الموفق والسلام
وانشغفوا ايضا قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الاية ويكفي
في تحذير المومنين المقبلين على الله بقلوبهم وجوارحهم هذه الاية
وكقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون والسلام

تم ... انتهى بحمد الله وحسن عونه الجميل ... ٢٧ ... جمادى الاولى ... ٦ و ١٢ ... من الهجرة النبوية على صاحبها ... والسلام

اللهم اغفر لكاتبه ولقاريه وللناظر فيه
ولوالديه ولمن حواليه وجميع
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات
امين يا رب العالمين.

245

الصفحة الأخيرة من النسخة أ

الحمد لله وحده

الحمد لله وحده

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ،

هذا تأليف الوليّ الكبير الواضح الشّهير إمام

الطّريقة ومعدن الشّريعة والحقيقة، وحيد عصره

وفريد دهره المسمّى بالاستمدادات الرّبّانيّة

فيما منّ الله عليه من بحر الوجدانية[1]

سيّدنا ومولانا العربي بن عطيّة

الشّلفي موطناً

البوعبدلي نسباً

رضي الله عنه وعنّا به

أمين

1- في النسخة ب (من الآن فصاعدا: ب): الوحدانية.

## [توطئة:[1]]

الحمد لله الّذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصّلاة والسّلام على النّور الأوّل المقبوض من بحر العمى الّذي كان منه ما كان وما يكون، الجامع لبحر الأحديّة، والواحديّة الّذي [فاضت][2] عليه منه جميع أنوار الصّفات الإلهيّة، والأسماء الرّبّانيّة والأفعال القدسيّة الّتي تَعْلَقُ بها جميع التّجلّيات الخلقيّة والحقيّة من أنوار الملكوت وأسرار الجبروت والرّحموت الّذي لولاه لم يظهر من الخلقيّة سرّ، ولم يحصل التّنزُّل إلى الظّهور من بحر العمى إلى بحر الأحديّة إلى بحر الواحديّة ومن ذلك ظهر سرّ اسمه الأول ( **نهاية ص 1** ) والآخر، والظّاهر والباطن. صلّى الله عليه بنفسه من نفسه في نفسه، لعظيم قدره وعلوِّ منزلته، لأنه لم يدركه مِنّا سابق ولا لاحق، وعلى آله وأصحابه، ومن كان على قدمه إلى يوم الدّين، وبعد:

## [دواعي الإقدام على الكتابة والتّأليف]:

فاعلم أيّها الأخ أنّي أريد أن أقيِّد بعض ما ورد علينا من زمان البدايات الى زمان النّهايات. وذلك من باب التحدّث بالنِّعم، ولِئلّا[3] يَغْشَم[4] أهل المحبّة فينا وفي طريقنا الطّالبين لسلوكها بالذّوق والوجدان، المدَّعون من أهل طريقتنا، ومن غيرهم. وقد قيّدت فيما مضى كثيرا ممّا ورد علينا من المعاني ثم مزّقتها وأحرقتها، كما فعل

1 - العناوين من وضعنا، وهي بين معقوفتين تمييزا لها عن كلام المؤلّف.

2 - ب: أفاضت

3 - ليعلم القارئ الكريم أن المؤلّف لا يهمز في مواضع الهمز كلّها جريا على طريقة التّأليف السّائدة في عصره، وكذا متابعة لقراءة ورش عن نافع السّائدة في المنطقة، وهي لغة معروفة عند العرب بلغة قريش. وعليه فحيث وجد الهمز فهو من تصرّفنا. فمثلا: لئلّا عنده هي:ليلّا، والحقائق هي: الحقايق...

4 - كلمة من عاميّة تعني حتّى لا يغمطنا النّاس حقّنا ويستغفلوننا، ويسخروا منّا.

Scanned with OKEN Scanner

Scanned with OKEN Scanner

بعض العارفين -رضي الله عنهم- وذلك أنّه لمّا حصل له الوصول الى الله والاكتفاء به، حمل كتبه ورماها في البحر ثم قال: يا علمُ والله ما رميتك استهزاءً بك ولا استخفافا بحقّك، ولكن إنّما كنتَ لي دليلا على الله، فنعم الدّليل، كنت لي، ولمّا وصلت الى الله استغنيت عنك، أو كما قال[1]. ومنذ سنين ما قيّدت شيئا ممّا يرد عليّ، وكان السّبب في هذا التّقييد أنّي كاتبت بعض من يدّعي المشيخة من أهل طريقتنا، وقلت له: إنّي شيخك وقد ربّيتك بالجلاليّات في عالم الغيب، ولو كان لك شيخ غيري. فكاتبني بكلام يكاد الكاغط أن يتمزّق منه لثقل ما كُتب فيه من سوء الكلام. فحين بلغني ذلك كاتبته برسالة عجيبة وبعثتها له، وسأذكرها إن شاء الله في هذا التّقييد، وسمّيته ب:

**«الاستمدادات الرّبّانيّة فيما منَّ الله علينا من بحر [الوجدانيّة][2]»**

## [دراسة المُؤلّف وتصوُّفه]:

فأقول ومن الله أرجو بلوغ المأمول، أنّي كنت أقرأ القرآن العظيم عند بعض المشايخ ببلاد (نهاية ص 2) السْحَارِي[3] الّذين هم بازاء مينة[4]. وقد جمعت القرآن وأنا ابن ثلاث وعشرين سنة فورد علينا في

1 - عقد أبو الفرج الجوزي فصلا في كتابه تلبيس إبليس، بعنوان ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم في دفنهم كتب العلم أو إلقائها في البحر، وقد انتقد فيه هذه السلوكيات التي صدرت من بعض الصوفية والتي يراها تخالف تعاليم الدين الحنيف، وذكر فيه القصة التي أوردها المؤلف(لمزيد من التفصيل ينظر: تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، دت، ص315).

2 - ب : الوحدانية.

3 - السحاري: دوار ينتمي إلى عرش المكاحليّة، يتبع إداريا بلديّة بلعسل(ولاية غليزان)، يبعد عن مقر البلديّة بحوالي 10كلم.

4 - وادي مينا من الأودية الشّهيرة في الغرب الجزائري يخترق ولاية غليزان، عُرفت واشتهرت به حتى صار أيقونة لها. منبعه جبال الناظورة بتيارت، ومصبّه البحر،

الزّاويـة [الّتـي][1] نقـرأ فِيهَا بعـضُ أهل الطّريـق فأخذ عنه الورد الشّيخ الّـذي كنت[أقـرأ ][2]عليـه، ثـم لقّنني الـوِردَ ذلـك الشّـيخُ الّـذي كنت أقـرأ عليـه. وبقيـت عـلى الحالـة الّتي كنـت عليهـا نحو السّـنة، ثـمّ قوي عزمـي على القـدوم إلى بعـض المشـايخ، إذ كان مشـهورا بإعطـاء الطّريق أكثـر من الشّـيخ القادم علينـا. فقدمت عليـه وجدّدت عليه الـورد. وأذن لي في لبس المُرقّعـة[3]، وأمـرني بالصّمـت، وخـرق العـادة وذكر الاسـم. فكنـت عـلى ذلك مـدّة حتّـى قـوّاني الله. فعدت أجـوع وأواصـل اليومين والثّلاثـة، ثـمّ قـوي عزمي عـلى أن أواصل سـبعة أيّام. فحـين شرعت في ذلـك ذهبـت إلى قبّة لبعـض الأوليّاء وجلسـت فيها وأنا على ذكر الاسـم وأخذتنـي سِـنَة شِـبه النّـوم وإذا بالنّـور قـد [فـاض][4] عـلى ذاتي من ذاتي فامتـلأت القبّـة كلّهـا نورا فـإذا بي قـد وجدت نفسي ببلدة أخـرى فرآني بعـض مـن يعرفني فصـاح بأمّه وقال لهـا: هذا فلان وسـمّاني لها باسـمي، فحين سـمعتُ ذلـك رجعـتُ إلى حالي.

---

وقد ورد ذكره في الكثير من المصادر التاريخية كتاريخ ابن خلدون.

1 - في المتن: الذي ونراه سهوا من النّاسخ.

2 - كما سيلاحظ القارئ فإن مثل هذه التعابير التي يتداخل فيها سجلين لغويين(فصيح وعامي) كثيرة عند المؤلف وخاصّة في المستويات المعجمية والصرفية، والنحوية، والدلالية حيث عبّر في هذا الموقف عن مفهوم التعليم بالقراءة، فعوض أتعلّم أو أدرس قال «أقرأ» وهو الشّائع في العامية الجزائرية. وكذا في المستوى الصرفي قبل هذا استعمل صيغة جماعة المتكلمين «نقرأ» وفق التعبير الدارج، وهذه الظاهرة تعرف في الدراسات اللسانية التقابلية الغربية بالتداخل اللغوي (Interférence).

3 - المُرَقَّعة :اللبـاس المرقّـع، اتخـذت شـعارا للصالحـين، وكانـت أمـارة للطريقـة الدرقاويـة، وقـد لبسـت عنـد بعـض مُدّعـي التصـوف طلبا للشـهرة بـين النّاس، وهنـاك مـن حرّم لبسـها. وقـد قيل فيهـا: «أمرناهـم بها لهـدم النفـوس، فاتخذوهـا لجلب الفلـوس...»

4 - ب : أفاض.

Scanned with OKEN Scanner

ومرّة أخرى كنت أذكر مع الإخوان في حلقة الذّكر وحين ختمناها جلست، وإذا بالنّهار [قد طلع][1] على ذاتي، [في حين][2] لم يبق بيني وبين عالم الغيب ساتر، ومع هذا عينا رأسي مسدودتان. وإذا بذاتٍ قد انفصلت من ذاتي وعادت تمشي في مقبرة خارج الزّاوية الّتي أنا بها، وأنا جالس بذاتي أرى الذّات الأخرى كأنّي أراها بعيني رأسي ساعة ثمّ رجعتْ تمشي حتّى لبستني، واجتمعت ذاتي بذاتي. فعجبت من ذلك عجبا عظيما، ومرة أخرى كنت بزاوية شيخنا مولاي العربي[3] متّكئاً، (نهاية ص 3) داخلها وإذا بذاتٍ انفصلت من ذاتي، فوجدت نفسي ببلدنا الّتي هي بلد[الشّلف][4]، وأنا أرى جبالها وسهلها شرقا وغربا جُوفًا[5] وقَبْلَة[6] فبقيت على تلك الحالة ساعة،

1 - ب : عبارة مكررة.

2 - ب: حتّى

3 - يقصد مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني المتوفى سنة1239، شيخه في الطريقة الذي أخذ عنه عهد وورد الطريقة، وأجازه في تلقينه، والمعروف بزاويته في بوبريح ببني زورال قرب فاس بالمغرب(موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1417ه-1996م، ج7، ص2514).

4 - في المتن: اشلف، ويقصد مسقط رأسه الكائن بالشّلف السّفلي، والمعروف في الكتابات الاستعمارية بالسّهل الشّرقي لشلف، وبالضّبط قرية المؤلّف المحاذية لوادي الشلف، والمعروفة بأولاد سيّدي عمّار التّابعة إداريا لبلدية أولاد سيدي الميهوب، دائرة جديوية ولاية غليزان، وتقع إلى الشمال الشرقي من عاصمة الولاية بحوالي30 كلم. مع أن اصطلاح شلف ما زال متداولا في الاستعمال العام وصفا لكل المناطق الواقعة في هذا السهل المشهور، وبالأخص أن بلدة المؤلف تقع على ضفته الجنوبية.

5 - الجوف : الشمال

6 - القَبلة : بقاف معقودة مفتوحة، ويراد بها الجنوب.

Scanned with OKEN Scanner

وذاتي بالزّاوية المذكورة في جبال الزّبيب[1] نراها متّكئة والأخرى نراها قائمة بتلك البلدة وأنا أتعجّب من شعوري بهما معاً متفرّقتين، فبينما أنا كذلك إذا بالذّات الّتي ببلدنا رجعتْ إليّ كأنّها طائرة على وجه الأرض، وأنا أنظر إليها حتّى امتزجت بذاتي الأخرى. فحينئذ جلست متعجِّبا من عظيم أمر الله الّذي لا يحصره شيء ولا يحيط به شيء إلى غير هذا والسّلام.

وهذا الّذي وقع لنا في بداية ذكر الاسم تقويةٌ لنا على سلوك الطّريقة، وبشائر خير، وذلك من فضل الله علينا. وأمّا الرّوحانية فلا نهاية لها في التّطور والتّجشُّم، حتّى قيل: إنّ الفقير من أوليّاء الله تتطوّر روحانيّته بمائة ذات. وأمّا وُسْعها فلا غاية لها ولا نهاية. وانظر قول أبي عطاء[2] الله رضي الله عنه: «وسِعَك الكون من حيث جسمانيّتك ولم يسَعْك من حيث روحانيّتك»[3]. وقال غيره: العرش وما حوى زاوية من زوايا قلب العارف إلى غير ذلك من كلام أهل الله الّذين

---

1 - جبال الزبيب تعرف حاليا بمنطقة جْبالة هي المنطقة الجبلية في الشمال الغربي والشمال الأوسط للمغرب وتعود تسميتها بجبالة إلى القرن 17م حيث أحدث الملوك العلويون عَمالة شمال غرب المغرب تحت اسم جبالة، ومردّه للطبيعة الجبليّة للمنطقة لتعوّض تسميات سابقة كـ: الهَبْط-جبال غمارة-جبال الفحص-جبال الزبيب وغيرها.

2 - هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً السكندري فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة، وأحد أركانها (658هـ/ 1260م - 709هـ/ 1309م). لقّب بـ «قطب العارفين» و«ترجمان الواصلين» و«مرشد السالكين». ترك ابن عطاء الكثير من المصنفات والكتب منها المفقود ومنها الموجود، وأشهرها على الإطلاق: «الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة». وقد أنجزت حولها شروح كثيرة على مرّ الأزمان.

3 - الحكمة السادسة و الأربعون بعد المائة.

Scanned with OKEN Scanner

كاشفهم الله بحقيقتهم ويكفي في عظمة الرّوح قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي»[1]، وقوله تعالى في بعض الكتب المنزّلة: «عبدي أنت صفاتي وأنا صفاتك ارجع إليّ أرجع إليك»[2]. إلى آخره. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إِنّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[3]، إلى غير هذا من الدّلائل على شرف الرّوح ورفعتها، على أنها جبروتيّة. وحين وقع بي ما ذكرت أقبلت على ذكر الاسم، وكنت مدمنا عليه أيّاما حتّى عدت أسابق الخواطر الباطنيّة على أن نسبقها بذكر): **(نهاية ص 4)** الاسم. فضعفت تلك الخواطر من قلبي واستقرّ فيه الاسم حتّى عاد يفزع بذكر الاسم، وصارت الخلائق تسمع [الزّعِيل][4] من قلبي من بعيد. وإذا وقع بي ذلك وأنا في الصّلاة يقطعها عنّي.

## [التّعلّق بشيخ التّربيّة:]

وبعد هذا اشتاقت نفسي إلى الشّيخ مولاي العربي، وذلك أنّي كنت نائما فرأيته - رضي الله عنه - قد جاءني فطبعني بطابعه. فلمّا استيقظت زاد شوقي إلى لقائه، فقدمت إليه ببلده بجبال الزّبيب[5]،

---

1 - ص/ 71

2 - لم نقف له على أصل أو إسناد.

3 - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه،ح2612،دار طيبة، الرياض، 1427ه/ 2006، ص1210. الحديث:«إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته».

4 - كلمة العامية يراد بها صوت حشرجة الصدر وارتفاع نبضات القلب.

5 - جبال الزبيب تعرف حاليا بمنطقة جبالة هي المنطقة الجبلية في الشمال الغربي والشمال الأوسط للمغرب وتعود تسميتها بجبالة الى القرن 17 حيث أحدث الملوك العلويين عمالة شمال غرب المغرب تحت اسم جبالة الذي مرده للطبيعة الجبلية للمنطقة لتعوض تسميات سابقة كالهبط-جبال غمارة-جبال الفحص-جبال الزبيب وغيرها.

Scanned with OKEN Scanner

وبقيت معه مدّة نحو عشرة أيّام أو أقلّ، ثمّ سرّحني فرجعت إلى بلدنا. ثمّ اشتدّت محبّته في قلبي وقوى الشّوق عليّ حتّى كنت لا أقدر أن أصبر عنه ساعة. فقدمت إلى الشّيخ سيّدي عبد القادر بن الشّريف[1] وقلت له: أريد القدوم إلى الشّيخ مولاي العربي. فقال لي: إنّك قريب عهد به. فقلت له: نعم، ولكن لم أستطع الصّبر عنه، فقال لي: هذا معظم البرد والغرب بعيد، والثّلج كثير في الطّريق، فقلت: لا بدّ لي. فلمّا علم صدقي سرّحني. فذهبت إلى الشّيخ وحين وصلت إليه كنت في الزّاوية من جملة الفقراء المنقطعين، واعتقدت أن لا أخرج منها أبداً، فبقيت عنده مدّة لا أفارق مجلسه للمذاكرة حتّى فتح الله عليّ في فهم المعاني الغريبة الّتي لا خبرة لي بها. ثمّ ورد عليّ ذات يوم أن أجدّد عليه الوِرْد وقوي عزمي على ذلك حتّى لم أقدر على دفعه. فجئت إليه بقصد ذلك فلمّا قربت منه أقبل عليّ - رضي الله عنه- بكُلِّيته، ومدّ يده الكريمة إليّ وقال لي: اذكر: استغفر الله مائة [مرّة]، والصّلاة على رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- مائة [مرّة]، ولا إله إلّا الله مائة [مرّة][2]، بعد صلاة الصّبح، وبعد صلاة المغرب. وقد صدر ذلك منه قبل أن أتكلّم معه بما في ضميري. والحمد لله الّذي هدانا لهذا (**نهاية ص 5**) وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وكنت أذكر الاسم دائما وإذا بي قد فاض عليّ الوَجْد حتّى غبت عن إحساسي في عظمة الباري جلّ جلاله، وصرت أصرّح بالأنانيّة في

---

1 - قائد ثورة درقاوة ضد الأتراك بمنطقة الغرب الجزائري، في الفترة الممتدة من 1800 إلى 1813، والتي عرّضت الوجود التركي في الجزائر للخطر، ومن أشهر المعارك التي خاضها ابن الشريف تلك التي وقعت سنة 1805 بمنطقة فرطاسة، والتي عرفت من يومها بوادي الأبطال، وقد انتصر فيها الدرقاويون على الأتراك، وخلدها الأدب الشعبي بالكثير من القصائد. وتتبع حاليا من الناحية الإدارية ولاية معسكر.

2 – ب: ساقطة في كل الوضعيات التي هي فيها بين معقوفتين.

حال تلك الغيبة كما صرّح به الحلّاج[1] وغيره، وقوي عليّ الحال مرّة أخرى، فكنت أسمع من باطني دوّيا عظيما بكلام ليس هو بحرف ولا صوت، ومرّة قوي عليّ الشّهود حتّى وقع بي احتراق عظيم في باطني، وأشرفت على الهلاك فألهمني الله إلى الاستغاثة بالشّيخ مولاي العربي فصرت أناجيه وأقول: يا سيّدي الاستغاثة بالله، فأغاثني الله وقوّاني، وسلمت من الاحتراق. ومرّة حصلت لي غيبة عظيمة عن وجودي وعن الوجود بأسره، حتّى قلت: إنّ الوجود قد اضمحلّ [حسّا][2]، وظهر بحر العمى ولم يبق مجال للصّفات ولا للأسماء ولا للأفعال، فضلا عن عالم الحكمة. ثمّ اتّسع حالي ورجعت لإثبات الآثار بالمؤثّر، وقد وقع بي هذا الحال نحو ثلاث مرّات. وأمّا الإباحة بالأنانيّة فما رجعت عنها حتّى تجلّت لي الحقيقة الإلهيّة بالختم على لساني بكتمانها واستقراري في باطني فصرت لا أقدر على إفشائها رغما على أنفي.

## [تعرّضه لأحداث عصره:]

وحين كنت في ذلك الحال تجلّى فيَّ ما يظهر في العالم من الفتن وانقلاب الدّهر، وغلبة القبض على البسط في جلّ الأوقات [مجملا][3]، من ذلك الوقت إلى خروج عيسى ابن مريم عليه السّلام، ولكن تجلّى في ذلك الوقت [محمّد][4]، ثمّ عاد يظهر تفصيلا

---

1 - أبو عبد الله الحسين بن منصور، المعروف بالحلّاج(858-922): علم من أعلام التصوف، فارسي الأصل، لقيت فلسفته في التصوف معارضة شديدة، اتهم بالزندقة، وأقيم عليه الحد.

2 - ب : زائدة.

3 - ب : زائدة

4 - ب : مجملا، وهي الأدق والأصح بدليل ما بعدها.

شيئا فشيئا بالكشف والعيان. ثم إنّي جئت من الغرب إلى محلّة ابن الشّريف ببعض الأماكن ومعي بعض الإخوان فلمّا مشينا من عندنا نحو اليوم أو اليومين. قال بعض الفقراء: ابن الشّريف هو السّلطان، فورد عليّ وارد قويّ فقلت له: لا والله لم يكن له ذلك، فافترقت جموعه (نهاية ص 6) من العرب وأصحابه. وذهب وحده إلى الغرب عند الشّيخ مولاي العربي فمن ذلك الوقت لم تقم له قائمة.

ثم ظهرت بعد ذلك الفتن ببلاد الغرب، وتخرّب مُلك [مولاي][1] سليمان[2] وسُجِن مولاي العربي[3] ثم ظهرت فتنة ببلادِ اصْدامة[4] ومات بسببها سيّدي محمّد بن أحمد[5] وقُبض في ذلك

---

1 - ب: ساقطة

2 - مولاي سليمان العلوي(1760-1822): أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف، عُرف بالصلاح، والعلم، امتد عهده إلى 25 سنة(1797-1822)، وشهد هزات اجتماعية كبيرة، أوصى بالعرش لابن أخيه مولاي عبد الرحمان بن هشام من بعده(موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص2514 )

3 - قاد إبراهيم بن اليزيد العلوي بن محمد بن عبد الله تمرّدا ضد عمه السلطان سليمان، وكان ذلك في سنة1821، وقد عمّ هذا التمرّد أقاليم واسعة من المغرب، وبايعه أهل فاس، ومن بعده أخاه سعيدا وقد شهدت الفترة اضطرابات كثيرة، وقد تدخلت الزوايا في هذا الاضطراب وكذا قبائل الوداية (ينظر: موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص-2510 2512 و Louis Rhinn. Marabouts et khouans

Etude sur l'Islam en Algérie. Ed : Jourdan. Alger. 1884. P235 :

4 - حيز جغرافي وبشري يمتد من مشرع الصفا(ولاية تيارت) إلى وادي الأبطال(ولاية معسكر)، تقطنة أغلبية سكانية من أصول أمازيغية، وبعض الهلاليين، وهو يتشكّل حاليا من ثلاث بلديات: مشرع الصفا، سيدي الجيلالي بن عمار، وادي الأبطال.

5 - محمد بن أحمد الصدامي: عالم، وفقيه، ومتصوف. فتك به الباي حسن بن موسى الباهي، سنة1239ه(1823-1824)، بوهران.

Scanned with OKEN Scanner

الوقت أخونا سيّدي عبد الله بن حواء[1] وقتله الترك، وسيّدي محمّد بن علي فرقان[2]، ثم إنيّ رأيت في نوم كاليقظة أن غمامة عظيمة أقبلت من ناحية القَبلة ولها ريح عاصف وغبار عظيم والناس كلّهم فازون من ذلك الغبار إلّا أنا عبد الله، فأقبلت متوجّها إلى الغمامة قاصدا ذلك الغبار، وحين بلغت وسطها وجدت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- متّكئا ووجهه كالقمر ليلة البدر فبنفس ما وقفت بين يديه قلت له: يا رسول الله أنا ولدك[3] ثلاثا، فلمّا سمع ذلك منّي تبسّم -صلى الله عليه وسلّم- حتّى ظهر لي من تبسُّمه ضياء عظيم. فلمّا استيقظت تعجّبت ممّا رأيت وقلت: إنّ هذا لعجب.

## [الهجرة الأولى نحو جبال الونشريس ودواعيها:]

فبقيت بعد ذلك مدّة قليلة وإذا بالفتنة الّتي مات فيها ولد التّيجيني[4] وأصحابه وقعت ببلد اغريس[5]، ثم مات السّيّد محمّد

---

1 - عبد الله بن الطّيب بن حواء التّوجيني، درقاوي الطّريقة، تولى القضاء للأتراك، قتله الباي حسن بن موسى الباهي عام 1824.

2 - محمد بن علي بن فرقان الفليتي، عالم وفقيه، قتله الباي حسن بن موسى عام1824 إثر وشاية مفادها أنه يحضّر لثورة ضد الأتراك كثورة عبد القادر بن الشّريف، دفن بوهران، ثم نقلت رفاته إلى البطحاء(المطمر حاليا ولاية غليزان).

3 - يشير إلى نسبه الشّريف الممتد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4 - يريد به محمد الكبير بن أحمد بن سالم التيجاني، الذي ثار ضد حكم الأتراك، وقاد ضدهم ثورة عام1825 انتهت بمقتله في معركة وقعت في سهل غريس سنة1826 بالقرب من معسكر(والذي به حاليا بلدية تحمل اسم السهل) وكان ذلك في عهد الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران.

5 - سهل غريس، التابع إداريا لولاية معسكر، وبه مقر دائرة أخذت اسمه، عرف شهرة كبيرة وخاصة في القرون11، 12، 13الهجرية خاصة بكثرة الأحداث التاريخية، وعلمائه، وصلحائه، حتى قيل فيه: كل دومة في غريس

Scanned with OKEN Scanner

[بالقندوز[1]*][2] الّذي كان يُقرئ [الطّلبة][3] بناحية مينة -أي قتله التّرك - ثم اشتهر الأمر بالفساد، وذلك قبل موت سيّدي بالقندوز بسنتين. وحين رأيت ذلك استولى عليّ حال القبض، وأردت الانتقال من البلد الّتي أنا فيها، وهي بلد الشّلف إلى سكنى الجبال أو الذّهاب إلى بلاد المشرق. فاستخرت الله تعالى في ذلك فرأيت في تلك الليلة عمالة الجزائر عمّها الخضخاض[4] كلّها، وفيها وحلٌ عظيم إلّا الموضع الّذي أنا (نهاية ص 7) قائم فيه فتوجّهت إلى الغرب، فلمّا مشيت خطوات غرقت رجلاي حتّى بلغني الغرق إلى الرّكبتين، فرجعت، ثم التفتّ إلى ناحيّة القَبلة، فوجدت الوحل كذلك.

ولمَّا استيقظت قلت: هذه فتنة تقع في العمالة الجزائريّة وهول كبير فقوي عزمي على الانتقال إلى جبل [الونشريس][5] فانتقلت إليه. وأقبل عليّ أهل المحبّة وكنت ألقّنهم الذّكر وألبِسُهم المرقَّعة، بعد ذهاب التّرك. وعادوا يذكرون الله في الأسواق والمداشر بالجهر، ويخرقون العادة في تلك الجبال لأنّها لم تكن تحت ملك التّرك في ذلك الزّمان، وإذا بالباي حسن[6]

بولي. يحدّه شرقا جبل المناور، وجنوبا جبل كرسوط، وشمالا جبل المناور. وشرقا تيارت، وغربا قبائل بني عامر والغرابة، واشتهر أيضا بمدينته الراشدية.

1 * ب: بن القندوز (بقاف معقودة).

2 - محمد بالقندوز، عالم وفقيه، ومتصوف، عرف بزاويته التي كانت تأوي المئات من طلبة العلم، وأحد ضحايا الباي حسن، قتله بواريزان بالقرب من وادي رهيو (ولاية غليزان)، عام1829.

3 - ب : الطّلَابَة

4 - الفوضى والاضطراب

5 - في المتن (أ وب): إيوان اشريش

6 - الباي حسن بن موسى الباهي، تولى منصب باي وهران سنة1817، وهو آخر بايات وهران، عرف عهده بكثرة المظالم، والفتك بالعلماء، والفقهاء

عامل [وهران][1] سمع بنا فعزم على الخروج إلى جبل الونشريس، فلمّا سمعت به انقبضت قبضا عظيما، ثمّ رأيت في تلك الليلة وليّين هابطين من الجبل المذكور، فقمت وتلقّيتهما بدَيْر الجبل فعرفت أحدهما، ولم نعرف الآخر، وقد أقبلا عليّ، وهما على حال القبض حتّى ظهر ذلك عليهما، فتلطّفت معهما بالتّواضع والقول الليّن حتّى زال عنهما ذلك القبض، وأعقبه البسط وظهر أثره عليهما، وحين رأيت ذلك قلت لهما: إنّي أريد هلاك التّرك في هذه السّنة، ولا إله إلاّ الله عليهما، فوافقاني على ذلك فهلكوا في تلك السّنة. ولم يكن بين تلك الرّؤية وهلاكهم سوى أربعة أشهر أو خمسة. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

## [أثر الرّؤيا في حياة المؤلّف وفي مواقفه من أحداث عصره:]

ثمّ رأيت بعد ذلك بنحو شهر أو شهرين قبل [خلاء][2] الجزائر قطب الوجود مولاي العربي بن أحمد قدم من المغرب الى ناحية المشرق، وهو على جذب عظيم وبيده عصا ورأسه عريان سوى قلسوّنة وعمامة عليه، وهو في ثوب واحد كعادته في الزّاوية في بعض الأوقات، (نهاية ص 8) فلمّا توجّهت إليه بحوز تلمسان قادما، وهو على ذلك الحال، والزّبد يخرج من فيه، وهو رافع عصاه بيده والخلق فارّون منه، وهو يسوق فيهم كما تسوق الملائكة - عليهم الصّلاة والسّلام- الخلق الى المحشر. فحين عرفته التفتّ إلى أهل محبّتنا فقلت: [لا][3] تخافوا إنّه شيخنا مولاي العربي، ففتحنا حلقة

والمتصوفة، وخاصة من اتهم منهم بالانتساب للدرقاوية ولو زورا وبهتانا.

1 - في المتن(أ وب):وهرانة. ويتكرر هذا الشكل في صفحات المخطوط كلّها حيث ذكرت المدينة.

2 -أ: خَلَا، ب: خلاء.

3 - في المتن :ألّا

الذّكر. فلمّا رآنا قصدنا حتى وقف علينا، وهو على ذلك الحال وأنا أُرَجِّلُ[1] الإخوان وأقول لهم: ألاّ تخافوا، فإذا بالشّيخ تركنا وذهب وراء الفارّين. فلمّا استيقظت قلت إنّ: هذا لعجب، ثمّ اعتراني الحال الّذي رأيت الشّيخ عليه، فعدت منذ خلت الجزائر من التّرك وعمّرت بالفرنج ما من موطن أرى نفسي فيه على حال الجذب إلّا ويقع فيه أمر عظيم من الفتن والأخذ والسّبيّ والقتل وغير ذلك. حتّى عدت أكره تلك الحالة واستعيذ منها ولا يتوسّع حالي إلاّ حين نتذكّر قول الشّيخ مولاي على الجمل[2] رحمه الله: من علامة وجود قهره سبحانه أن يقيمك في حالة وأنت كاره لها. وبقيت على تلك الحالة إلى سنة ثمانيّة وأربعين من هذا القرن[3]. فنسأل الله تعالى زوالها عنّي وأن يبدّلها بحال البسط ووروده، وذهاب حال القبض وزواله، وذلك بالنّصر للمسلمين وجمْع كلمتهم على القتال لإعلاء كلمة الله لا غير، وتشتيت القوم الكافرين بدخول الرّعب في قلوبهم حتّى لا يبقى لهم أثر بجاه محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

وممّا منّ الله عليّ به أيضا أنّي شاهدت ذات الله في ذات الرسول صلّى الله عليه وسلّم وذات رسول الله الّذي ظهرت منه جميع المكوّنات في ذات الله، ولم أر للمكوّنات (**نهاية ص 9**) أثرا ولا خبرا في

---

1 - تعبير عامي يراد به حمل الناس على أن يكونوا رجالا في مواقفهم فلا يخافوا.

2 - هو علي بن عبد الرحمن الحسني العمراني الملقّب بالجمل لقوّته، دفين فاس، توفي سنة 1194ه، عمّر طويلا، إذ قارب 120 سنة، وهو شيخ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي (موسوعة أعلام المغرب ج 7، ص 2418) من آثاره مجموعة رسائل تسمى: «نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد» وتعرف أيضا ب«اليواقيت الحسان في تصريف معاني الإنسان» (مطبوع)

3 - سنة 1248ه الموافق ل 1831.

حـال مشـاهدة الحضرتـين الرّبّانيّـة والنّبويّـة. وإن كان ولا بـدّ أن أراهم فأراهـم كوجـود الثّلجـة مع المـاء، فالثّلجـة في وجود العيان ليست هي غـير المـاء ولا الماء غيرهـا، وما كان التّمييـز بينهما، ووجود الاسـمين لهما إلّا بظهـور كثافـة الثّلجـة في لطافـة المـاء. فمـن هنا كان الحكـم للأغلب وذلـك لظهـور سرّ اسـمه الظّاهـر والباطـن، وكذلـك جميـع الأسماء الحقيّـة والخلقيّـة، ليأخذ كلّ اسـم حقّـه في الظّهور والبطـون. والعارف لا يحجبـه ظهـور عـن بطـون، ولا بطـون عـن ظهـور بـل الجمـع عندهم عـين الفـرق، والظّهـور عين البطـون، والحقيّة عـين الخلقيّـة، وهكذا كما قـال في العينية[1]:

**فَأَوْصَافُـــه والاسْـــمُ والأَثَـــرُ الَّــذِي**
**هُـوَ الكَـوْنُ عَـيْنُ الـذَّاتَ واللهُ جَامِـعُ**[2]

وممّـا مـنّ بـه علـيّ أنّي كنـت أقـرأ ابـن عبّـاد[3] (شرح الحِكَمْ العطائيـة)[4] مـع بعض أهل محبّتنـا، وحين رفعنـا أيدينا بالدّعـاء، قلت: يـا مولاي خـذ بيدي وإذا بالنّـداء من باطنـي يقول: أنا أنـت، وأنت أنا.

1 – قصيدة مشـهورة للشيخ عبد القادر الجيلاني(470ه561-ه)، شـيخ الإسلام وسـلطان الأوليـاء دفـين بغـداد، الـذي تنسـب إليـه الطريقـة القادريـة، كتبها على حرف الـروي العين.

2 – عبـد القـادر الجيـلاني، فتوح الغيب، منشـورات مصطفى البـابي الحلبي، ط2، مصر، 1973، ص202.

3 – هـو محمـد بـن إبراهيـم بـن أبي بكـر، وكنيتـه أبـو بكـر، المعروف بابـن عبَّاد النَّفْـري الرُّنْـدي(733ه792-ه)، أندلسـي المولـد، حِمْيَـري النسـب، مالكي المذهـب، شـاذلي الطريقـة، مغـربي الإقامـة، يعد مـن أهـم شُرَّاح الحكـم العطائية، كـما لـه العديـد مـن الأعـمال في التصـوف.

4 – يقصـد شرح ابـن عَبَّـاد النَّفـري الرُّنـدي المسـمّى «غيـث المواهـب العلية بشرح الحكـم العطائية».

فقلت حين سمعت ذلك: الحمد لله ربّ العالمين. أعني: أنت حمدت نفسك بنفسك في أزلك وأبدك وأثنيت على نفسك [بنفسك][1] في أزلك وأبدك، وأنت حقيقة العالمين أوّلاً وآخرًا وظاهراً وباطناً ثمّ رفعت يديّ ثانيا، وقلت: اللّهمّ ارحمنا وارحم والدينا .. الخ. وإذا بالنّداء من الحقّ في باطني يقول لي: أنا، أنا، أنا، ما أنا إلاّ أنا. فلمّا سمعت ذلك قلت: الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.[إلى غير ذلك][2] [أعني: حمدتك بك، وأثنيت عليك بك، لأنّي حين اجتبيتني وهديتني إلى الاستغراق في بحر أحديتك بك لا بغيرك. وما كنّا لنهتدي إلى ذلك][3] لو لا عنايتك (**نهاية ص 10**)، واختصاصك واجتباؤك لنا. ثمّ رفعت يديّ ثالثا، فقلت: اللّهمّ اعف عن هذه الأمّة المحمّديّة، فقيل لي أيضا: «أنت، أنت، أنت الحبيب مع المحبوب وليس في الوجود سواك[4]، فحينئذ لويت رأسي تحت طيّ جناحي كما قيل:

أَحْسَبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى ... بِنَفَائِسِ الأَمْوَالِ وَالأَشْبَاحِ
وَظَنَنْتُ جَهْلاً أَنَّ حُبَّكَ هَيِنٌ ... تَفْنَى عَلَيْهِ كَرَائِمُ الأَرْوَاحِ
حَتَىّ رَأَيْتُكَ تَجْتَبِي وَتَخُصُّ مَنْ ... أَحْبَبْتَهُ بِلَطَائِفِ الأَمْنَاحِ

1 - ب : ساقطة.

2 - ب : زائدة.

3 - ب : ساقطة.

4 - في العبارة تناص واقتباس من بيت لأبي الحسن الششتري، يقول فيه:
أنت أنت أنت، الحبيبْ*** مع المحبوب ووصاله أنت
ينظر لمزيد من التفصيل: أبو الحسن الششتري، الديوان، تحقيق علي سامي النشّار، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1960، ص400.

Scanned with OKEN Scanner

فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لاَ تُنالُ بِحِيلَةٍ وَلَوَيْتُ رَأْسِي تَحْتَ طَيِّ جَنَاحِ
وَجَعَلْتُ فِي عُشِّ الغَرَامِ إِقَامَتِي وبه غُدُوِي دَائِماً وَرَوَاحِي[1]

## [الاستغراق في عظمة الله:]

واعلم أنّ من استغرق في عظمة الباري جلّ وعلا استقرّت الأنانيّة الحقّيّة في باطنه، بحيث لا تفارقُه يقظةً ولا منامًا، إذ هي صفة روح روحه، وهي الرّوح الأعظم الّذي ظهرت منه جميع الأرواح وهي سرّ قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي»[2]. ورأيت في نوم كاليقظة أنّه وقع بي حال عظيم من الاستغراق في ذات الله وأنا أقول:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَومِ هَائِمْ وَأَنَا اليَومَ هُوَ الوَاحِدُ الدَّائِمْ

وأنا أكرّرها في ذلك النّوم ساعة طويلة، وإذا بحال البكاء قد اعتراني، فعدت أبكي بالصّوت فاستيقظت وأثَرُ ذلك في نفسي، وتلك البيت في لساني مدّة طويلة حتّى حفظتها، والله مطّلع عليّ، والسّلام.

واعلم أنّ الأسرار الأزلية، والمعاني الرّبّانية، والمواهب اللّدنيّة عزيزة جدا، ولعزّتها وصونها ورفعتها احتجبت عن غير أهلها مع شدّة ظهورها، ولذلك تأبى (نهاية ص 11) أن تُبذَل لغير أهلها، كما تأبى أن تمنع من أهلها، ولا شكّ أنّ أهلها هم الذين بذلوا أنفسهم ودنياهم وجميع أغراضهم وعوائدهم وشهواتهم في طلبها حتّى ظفروا بها. وغير أهلها هم الّذين عزّوا أنفسهم ودنياهم وجميع شهواتهم عليها، فلذلك حُرموا الوصول إليها. ومن هذا قيل: لا تعطوا الحكمة

1 – محمد بن وفا الشاذلي(702ه765-ه)، الديوان (مخطوط برقم5979)، جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، ص67.

2 – ص/ 71

غير أهلها فتظلموها ولا [تمنعوها][1] من أهلها فتظلموهم. ونحن ما بذلناها لكم إلّا لاعتقادنا فيكم أنّكم من أهلها. فنسأل الله تعالى أن يمنّ علينا وعليكم بالدّخول لحضرتها، والاستغراق في أسرارها وأنوارها بجاه محمّد، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله. وحملني أيضا على بذلها لكم ولجميع أهل المحبّة ما روي عن الجُنَيد[2] – رحمه الله– أنّه كان يأتي السّوق ويتكلّم في الحقائق على رؤوس الأشهاد. فقيل له في ذلك فقال: العلم أحمى جانبا من أن يصل إليه غير أهله[3].

والسّلام.

وقد سمعنا من أستاذنا الأكبر، قطب الدّائرة مولانا العربي بن أحمد الشّريف الدّرقاوي رحمه الله ورضي عنه، حين يتكلّم معنا في الحقائق الإلهيّة والأسرار الرّبانيّة ويبالغ في ذلك غايةً[4]، يقول لنا: والله ما تركتكم إلّا شيوخَ أهل عصركم، ولم أترك فيكم غُشْمِيةً[5] لأحد حتّى تفتقروا إليه ولا تركت في رؤوسكم دَوْخةً، ولا عَوَرًا، وإن تركت فيكم ذلك فالله [يُعَوِّرُني][6]، ولكن إن سمعتموني

1 – في المتن تمنعها، والتّصحيح منّا.

2 – أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الجزاز، القواريري (215ه297–ه)، أصله من نهاوند، عراقي المنشأ، لقب ب«سيد الطائفة» و«طاووس العلماء»، فقيه، صوفي، متكلم. خلّف الكثير من المؤلّفات، طبعت منها رسائله.

3 – ينظر: أبو العباس أحمد زروق، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426ه/ 2005، ص 27.

4 – في الاستعمال العامي الدارج يراد بها كثيرا.

5 – من دلالاتها في الاستعمال العامي الدارج: السذاجة، وضيق الأفق، وقلة العلم والمعرفة.

6 – استعمال دارج في العاميات المغاربية، ويراد به يصيبني بالعور(حول في العين)، مُهمَل في الفصحى وإن جرى على القياس.

واتّبعتموني فيما قلت لكم وأخبرتكم به [فالله][1] الموفق. ويقول أيضا حين يتكلّم معنا في الحقائق ويبالغ فيها غاية: «[كونوا][2] نَاسْ أجْوَادْ نَاسْ كِرَامْ» إلى غير ذلك، والسّلام.

## [التّحدّث بنعم الله ومَنّه وفضله:]

ومّما منّ الله به عليّ أنّي ذات ليلة شاهدت ذات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وعانقته وجعلت يدي وراءه، ثمّ قلت له: «يا رسول الله (نهاية ص 12) اتركني أقبّلك بين عينيك، فقبّلته بين عينيه - صلّى الله عليه وسلّم- ثمّ صارت ذاته -صلّى الله عليه وسلّم- لها نورا حتّى امتلأ البيت من نوره، وأنا قائم وسط ذلك النّور، وأقول: الصّلاة والسّلام عليك يا رسول الله. ساعة كبيرة[3]، [و][4] اللهُ مُطّلِع علينا إن حدّثنا بغير ما وقع لنا.

ومّما منّ الله به عليّ أيضا أنّي رأيت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- جالسا مع بعض النّاس لا أدري أصحابه أم بعض الأولياء، وأنا جالس حذوه ونأكل معه في طعام كان بين يديه. وبعد ذلك قرُب منّي حتّى وضع ركبته على ركبتيّ، فصافحته بيدي وقلت له: يا رسول الله، الله يأخذ بأيدينا وبأيدي أهل محبّتنا. فحصلت الإجابة والحمد لله. ثمّ وردت عليّ هذه الأبيات فكاتبت بها جميع أهل محبّتنا، وهي هذه:

أَلاَ أَيُّهَا المُرِيدُ لاَ تَحْسَبْ مُقْلَتِي فِي غَفْلَـةٍ عَنْـكَ لاَ وَاللهِ فِي يَقْظَةِ
خَلِيلِي لاَ تَخَـفْ فَإِنَّكَ فِي حِصْنِي وَنُصْـبَ عَيْنِـيْ قَلْبِـيْ وَمِـرْآةِ هِمَّةِ

1 - في المتن: والله الموفق، وجدنا عدم التصرّف يبقي الجملة ناقصة.

2 - في المتن :قولوا، ونحن نرى أن المعنى يستقيم بهذا التخريج.

3 - يقصد مدة زمنية طويلة.

4 - ب : موجودة.

فَكَمْ أُلاَقِي البَلاَءُ عَنْكُمْ بِسَطْوَتِي
وَأَدْفَعُهُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةِ

غَيَّاثٌ لَكُمْ باللهِ فِي قَهْرِ حَاسِدٍ
لِتَعْلُوا عَلَيْهِ فِي المَقَامِ بِصَوْلَةِ

وَقَدْ حَصَلَتْ لَنَا إِجَابَةُ دَعْوَتِي
فِي حَضْرَةِ أَحْمَدَ فِي شأن أحِبَّةِ

بِأَخْذِ يَدٍ لِكُلِّ مَنْ حَامَ حَوْلَنَا
نِدَاءٌ لَنا مِنْهُ فِي نَوْمٍ كَيَقْظَةِ

فَلاَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الثَّبَاتَ فِي بَابِهِ
وَلِلْغَيْبِ حُرَّاسٌ يُسْقَوْنَ بِنَظْرَةِ

لِأَنَّهُمْ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْلاَلٍ بِهَا
لِقُوَّةِ شُرْبِهِمْ مِنْ سِرِّ [خَمْرَةِ*[1]][2]

فبعد ذلك أخذ الله بأيدينا وحفِظنا من جميع الأهوال والزّيغ وشماتة الأعداء، وغير ذلك والحمد لله، والشّكر لله.

ورأيته -صلّى الله عليه وسلّم- مرّة أخرى، وذلك أنّي سافرت الى أهلي من عند الشّيخ مولاي العربي (نهاية ص 13) - رحمه الله - فرأيت الشّيخ في ذلك السّفر، فرجعت ذاته - رضي الله عنه- هي ذات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وصارت تعظُم عليّ عظمة لا يطيق حملها إلّا من أخذ الله بيده وأنا أقول: الصّلاة والسّلام عليك يا رسول الله، حتّى انتبهت وذلك الدّهش سارٍ فيّ. ورأيته - صلّى الله عليه وسلّم- مرّة أخرى [أيضا][3]، وذلك أنيّ كنت سائحا مع بعض الإخوان بحوز مراكش فجئنا إلى بيت لبعض الإخوان الّذين هم معنا، فلمّا شرعنا في حلقة الذّكر بعد صلاة المغرب حصل لنا وجد عظيم وحين ختمناها، جلست ووضعت رأسي بين ركبتيّ، وأنا

1 * ب: خمريتي.

2 - هذه التائية جاء حرف الروي فيها مفتوحا وبعده ياء للإشباع، وقد تصرفنا فيها لتتناسب ومعايير اللغة، لأن ما قام به المؤلف لا يدخل في باب الضرورات الشعر.

3 - ب : ناقصة.

Scanned with OKEN Scanner

على حال استغراق في عظمة الباري - جلّ جلاله- وإذا برسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ومعه ثلاثة من أصحابه وهم: أبوبكر وعمرَ وعثمانَ، والله أعلم، وهو يمشي أمامهم حتّى دخلوا وسط النّزلة الّتي نحن بها وهم متوجّهون إلى المغرب. وإذا برسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- أقبل عليّ حتّى وقف عند رأسي ساعة، ثم ذهب عنّي واتّبع رِفقتَه، رضي الله عنهم.

## [وجوب الهجرة وموقف المؤلّف من الإقامة بين ظهراني الكفّار:]

ومرّة أخرى قدم علينا بعض الإخوان فقلت لهم لِمَ لا تفرّون من بين أظهر الكفار؟ وما حملكم على مجاورتهم؟ هل وجدتم في ذلك رخصة من الشّرع؟، أو إنّما حملكم على ذلك حبّ الوطن فقط أو خوف الضيعة؟، فلمّا فهمت منهم: أنّهم يقولون لا بأس علينا، وزيّنت لهم أنفسهم ذلك. وقلت لهم: اللّيلة - إن شاء الله - تحصل لنا ملاقاة مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فإن رأيته على حالة حسنة فأنتم على صواب، وإلّا فأنتم على خطأ، ولو كانت لكم رخصة في الإقامة. فلمّا نمت رأيت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- جالسا عن يساري وبيني وبينه ظلام رقيق فتحقّقت بصورته - صلّى الله عليه وسلّم- ولم تظهر لي على ما هي عليه. وأنا أقول: الصّلاة والسّلام عليك يا رسول الله، وأكرّرها (**نهاية ص 14**) المرّة بعد المرّة مقبلا على ذاته لأراها من غير ظلمة، فلم يكن ذلك، فانتبهت وأنا في حيرة عظيمة، فعند ذلك، قلت لهم: يا عباد الله، والله ما نرى رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- إلّا [غضبانَ][1] على من لم يفرَّ من مجاورة الكفار، [و][2] علامة غضبه هي تلك الظّلمة التي

1 - في المتن مُنوّنَة.

2 - ب: موجودة.

حجبت ذاته عن الكمال، واسمعوا قوله - صلّى الله عليه وسلّم-: «أنا بريئ من كل مسلم مقيم بين أظهر الكافرين»[1]*[2]. فنسأل الله السّلامة والعافية من كلّ ما لا يرضي الله ولا يرضي رسوله، صلّى الله عليه وسلّم.

## [تمركز الذّات الصوفية في الرؤيا:]

ومرّة أخرى تحيّرت في أمر الأمّة المحمّدية كيف هي مع رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- أهو مقبل عليهم أم مدبر عنهم؟، فلمّا نمت رأيت يهوديّا واقفا عندي، وقال: ألا تتبعني؟ فاتبعته إلى ناحية الشّلف، فإذا بي وجدت أثر قدمي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في الأرض متوجّها إلى المشرق، وأثر قدمه في الأرض أخضر خضرة عظيمة، صلّى الله عليه وسلّم، واليهوديّ يقول لي: انظر قدمي رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، مُشرِّقا. وقد ذهبنا مع ذلك الأثر ساعة زمانيّة وهو مشرِّق، فلم ينته ببلد. فعَبَرتها بعد ذلك، فقلت: اليهوديّ الّذي معي في تلك الرّؤيا هو من أوليّاء الله، عزّ وجلّ، وأثر

1 *كُتب على حاشية المخطوط، تعليقا على مقالة المؤلّف بخط مخالف: "قلت: ولعلّه إن شاء الله إشارة لهجرته، رضي الله عنه، للمشرق، وأمّا سرّ اتباعه، صلّى الله عليه وسلّم، فلا ينقطع من هذا البَرِّ، بدليل ما ثبت عن سيدي عدة غلام الله، رضي الله عنه، مع أنّه مقيم في هذا البلد. وقد ظهر سرّ عظيم في أصحابه وأحوال وعلوم وأسرار، ويكفيك أنّه تلقّى بالمصطفى، صلّى الله عليه وسلّم يقظة من أصحابه اثنا عشر، وأربعة ماتوا بالجذب. وكذا ظهرت خوارق وأسرار و(كذا) وتجليّات ونفحات ربّانية لأصحاب أستاذنا مولانا محمد الموسوم، رضي الله عنه، تلميذ سيدي عدة المذكور.اه. عبد ربه علي بن محمد".

2 - رواه الترميذي، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، باب ماجاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، ح1604، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج3، 1996، ص251. الحديث:«أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ» قالوا: يَارَسولَ الله ولِمَ؟ قال:«لَا تَرَاءَى نَارَاهُما»

Scanned with OKEN Scanner

قدميه، صلّى الله عليه وسلّم، المتوجّه إلى المشرق هو سرّ اتّباعه، صلّى الله عليه وسلّم. لم يبق في أولئك العباد الّذين تحت ملكيّة الرّومي - دمّره الله - وتذكّرت حينئذ الحديث النّبوي: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا اِسْمُهُ وَلَا مِنَ القُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ»(1). فنسأل الله تعالى أن يردّ علينا بما يرضي الله ورسوله، صلّى الله عليه وسلّم.

## [ظروف وملابسات الهجرة إلى تونس:]

وممّا منّ الله به عليّ أيضا أنّي رأيت النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - في نوم كاليقظة (نهاية ص 15) أي تجلّت روحانيّته - صلّى الله عليه وسلّم - في ذاتي حتّى غبت عن وجودي، وعن الوجود بأسره، فحصل لي بذلك سرّ عظيم وأنا متوجّه إلى القبلة. فلمّا استيقظت استبشرت بحصول الهجرة إلى المشرق في أقرب مدّة. وقد كنّا بأرض الصّحراء بنيّة الهجرة إلى المشرق، واجتهدنا غاية، فلم يتيسّر لنا فإذا ب[الرّومي](2) حاكم [المدية](3) - دمّره الله - بعث لنا بالأمان لنركبنا في البحر بلا أجرة ولا زاد من الجزائر إلى تونس. فقدمت إليه فاتّفق ما قاله لنا، والحمد لله والشّكر لله. وكان بين ما رأيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وبين الوصول الى تونس نحو الشّهر والله أعلم. وكل ذلك ببركة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. لأنّي مهما ضاقت

---

1 - رواه البيهقي في: شعب الإيمان، علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، دمشق، 1422ه / 2002م، ج1، ص339: «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلّا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شرّ من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة، وفيهم تعود».

2 - في المتن الروم، والمراد به الفرنسي، وهي التّسمية الّتي أطلقها الجزائريون على المحتل، ولعلّه سهو من الناسخ في إهمال ياء النسبة.

3 - ب: المدينة.

عليّ الأسباب واشتدّ عليّ القبض نرى رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فيتّسع علينا الحال، وتتيسّر لنا الأسباب، ولا نرى بعد ذلك إلّا الخير والبسط والنّور. والحمد لله، والشّكر لله.

## [كرامات للمؤلّف:]

وممّا منّ الله به عليّ أنّي كنت جالسا مع بعض إخواننا، وأنا في سكر عظيم، وإذا ببعض الفقراء حدَّث في قلبه أن قال: إن كان فلان صادقا في حاله يخبرني: هل أنا من ذرّيته، صلّى الله عليه وسلّم، أم لا؟. فإن كنت من ذرّية رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، يقول: أنت من أولاده، صلّى الله عليه وسلّم، وقال لي ذلك رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. فلم يستتمّ خاطره حتّى قلت له: أنت من أولاد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. فتعجّب من ذلك وصار يصدّقني في كلّ ما سمعه منّي، والسّلام.

## [في بيان ما ينبغي على المريد سلوكه:]

اعلم رحمك الله أنّي أحبّك أن تكون لله دائما بالعبوديّة الخالصة ليكون لك الله في أقوالك وأفعالك وأحوالك بالنّصر والعناية والحفظ (**نهاية ص 16**) والرّعاية، لأنّ من كان لله كان الله له، ويا سعد [من كان لله وكان الله له][1]. وغايةُ كونيّةِ الحقّ لنا هي الاجتباء إلى حضرته إمّا بتقديم الأسباب وهي التّوجّه إليه بالعبوديّة، أو بلا تقدّم أسباب، ف:«لله الأمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ»[2]. فالله، الله بالقلب والجوارح والإدبار عمّا سواه، كذلك ليكون لك ما كان لأهل الله من الفناء فيه، والغيبة عمّا سواه، فتكون من الّذين أنعم الله عليهم

1 – ب: ناقصة.

2 – الرّوم/ 3.

بالدّخول في حضرته، والرّسوخ والتّمكين فيها حتّى تصير مَعْشَش قلبك كما كانت مَعْشَش قلوبهم، إليها يأوون، وفيها يسكنون[1]، كما هو حال الأكابر من النّبيّين والمرسلين والصّدّيقين الّذين كانوا على قِدمهم متخلِّقين بأخلاقهم والشّهداء الّذين جاهدوا أنفسهم أشدّ جهادٍ حتّى ملكوها، وكانوا أحياء عند ربّهم يرزقون من العلوم اللّدنيّة، والأسرار الرّبّانيّة إلى غير هذا، والصّالحين الّذين صلحت أنفسهم لسلوك الطّريقة الّتي هي طريق السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك الموافقة لامتثال الأمر واجتناب النّهي، حتّى صاروا مع المنعَّم عليهم في دائرة الولاية، وقد حسنت حينئذ رفقتهم لأولئك المقرّبين في أعلى مراتب الولاية، ذلك من فضل الله العظيم الّذي وسع كل شيء، ولا يعطيه ويوليه إلّا لمن يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم، والسّلام.

اعلم واسمع واعقل وانظر إلى العظمة الأزليّة، كيف أحاطت بكلّ شيء من أعلى عليّين إلى أسفل سافلين. ولا شكّ أنّ إحاطتها هي ظهورها في كلّ شيء، وقد تجلّت وظهرت في شدّة بطونها وكذلك بطُنت (نهاية ص 17) في شدّة ظهورها. وانظر ما أوسعها في وجود الشيء مع شدّة ضيقه، مع أنّها لم يسعها شيءٌ سواها، فظهرت في أصغر شيء بكمالها كما ظهرت في أكبر شيء من العرش إلى الفَرش، ومن الذّرّة إلى ما فوقها في الوُسع في جميع التجلّيات. ولذلك صار ما في البعوضة في الفيل وتزيد عليه بالجناحين، كما قيل. وانظر أيضا إلى الوجود بأسره من عرشه إلى فَرشه كيف هو مجموع في القالب البشريّ، وزائد عليه بظهور الصّفات المعنويّة من سمعٍ وبصرٍ وكلامٍ

1 - ينظر: أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله، سلسلة ذخائر العرب(56)، دار المعارف، مصر، دت، 554.

وعلم وفهم وإدراك وظهور القدرة فيه، والقوّة والحياة والإرادة، وغير ذلك من صفات الرّوحانيّة الّتي وسعت الوجود بأسره مع صغر جرمه ولذلك قيل: العرش وما حوى زاوية من زوايا قلب العارف. حاصله قد اجتمعت فيه الأسرار الأزليّة بأسرها طريقة وحقيقة، كما عند سائر المحقّقين من أهل الله - رضي الله عنهم- وقد قال الشّيخ أبو العبّاس المرسي[1] -رضي الله عنه- في هذا المعنى[ورضاه عنّا، آمين][2]:

يَا تَائِهًا فِي مَهْمَةٍ عَنْ سِرِّهِ ... انْظُرْ تَجِدْ فِيكَ الوُجُودَ بِأسْرِهِ
أَنْتَ الكَمَالُ طَرِيقَةً وَحَقِيقَةً ... يَا جَامِعاً سِرَّ الإلَـهِ بِأَسْرِهِ[3]

وقد كنت فيما مضى في زاوية الشّيخ مولاي العربي -رحمه الله- بفاس[4] نتكلّم مع الفقراء في وسع العظمة الإلهيّة وإحاطتها بالوجود بأسره، وطيّها بكمالها في أصغر شيء مع شدّة ظهورها، كما انطوت في أكبر شيء مع وسع كمالها، فقبضت بيدي حصاة صغيرة فقلت لهم: الّذي اجتمع في الوجود بأسره من أسرار العظمة وانطوى، اجتمع في هذه الحصاة. فحاروا من قولي هذا، وإذا بالشّيخ، رحمه الله، (**نهاية ص 18**) جاء وجلس معنا ثمّ قال لنا: في أيّ شيء كنتم تتذاكرون. فقال له بعض الفقراء: فلان قال لنا أمرا تعجّبنا منه،

1 - ابو العبّاس المرسي (616، 686هـ): أحمد بن الحسين بن علي الخزرجي، الأنصاري، أندلسي المولد، الإسكندري الإقامة والمدفن، تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وشيخ ابن عطاء الله السكندري.

2 - ب: زائدة.

3 - ينسب البيتان لأبي العبّاس المرسي (ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص519، 520).

4 - يريد زاوية شيخه مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، في بوبريح ببني زروال نواحي مدينة فاس المغربية.

فقال وما ذاك، فقيل له: قبض حصاة بيده، وقال لنا: الّذي اجتمع وانطوى من العظمة في الوجود بأسره، اجتمع وانطوى في هذه الحصاة. فلمّا سمع ذلك الشّيخ، رحمه الله، ضحك ضحكة كبيرة. [و][1] قال: هو كذلك، وقد صدق فيما قال، أو كلاما هذا معناه.

وانظروا يا إخواني إلى إحاطة العظمة الإلهيّة كيف ظهرت في جميع اللّطائف، وجميع الكثائف، وفي جميع العلويّات، وجميع السّفليّات، حتّى كانت قريبة من كلّ شيء [أحدّ][2] القرب، بحيث لم تفارقه لحظة، وهي معه أينما كان، ويشاهدها في الحقيقة كلّ أحد ظاهرة جليّة، لأنّ ظهورها أشدّ من ظهور كلّ شيء. حتّى أنّ الإنسان لا يقوم إلّا بها، ومنها، وفيها، ولا يتحرّك إلّا كذلك. ومع ذلك لم يعرفها، ولم يتيقّن بها، من شدّة بطونها في [ظهوره][3].

وانظروا أيضا إلى الجوّ الّذي بين السّماء والأرض وبين كلّ سماء وسماء، من العرش إلى الفرش إلى الأرض السّابعة السّفلى كيف ظهرت فيه العظمة بشدّة اللطافة، حتّى ظهرت فيه جميع الكثائف وجميع اللّطائف. وتميّزت فيه بالحركات والسّكنات، وكذلك جميع الأنوار والظّلمات، وغير ذلك من الأجسام اللّطيفة والكثيفة والنّطيقة وغيرها، والجمادات بأسرها، ولم يحجبها بعضها عن بعض، لا تفصيلا ولا إجمالا، من أعلى علّيّين إلى أسفل سافلين وذلك من شدّة رقّته ولطافته.

فانظروا هذا الوصف العظيم والسّرّ العظيم الّذي قلّ من انتبه إليه وتفطّن، فهو (**نهاية ص 19**) كوصف العمى السّابق قبل خلق

---

1 - لا توجد في المتن(أ وب).

2 - ب : أجدّ.

3 - ب : ظهورها.

الخلق، وقد كان في عمى وهو الآن في عمى: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1]، كما روي. فافهم -فهّمنا الله وإيّاك- معاني أسراره وظهور أنواره أوّلا وآخرا، ظاهرا وباطنا بجاه محمّد وآله، صلّى الله عليه وسلّم.

اعلم أنّ ما كاتبتنا به من طيِّب لسان وليِّنِ القول بأن صار عندك ما واجهناك به من الجلاليّات جمالا، وما واجهناك به من الجماليّات: جمال الجمال حسن. وهذا هو الّذي ظفر به أكابر أهل الله في نهايتهم ونهاية نهايتهم، حتّى غطّت أوصافهم بأوصاف سيّدهم، ونعوتهم بنعوته. وهذا محطّ رجال الكافّة من أكابر أهل الله، رضي الله عنهم. ولكن يا أخي أعلمك أنّ المعتمد الكلّيّ والمقصود الأصليّ عند القوم -رضي الله عنهم- هو موافقة الفعل للقول. لأنّ ذلك هو الإسلام الرفيع، كما هو منصوص عليه في كتاب الله، عزّ وجلّ، والأحاديث النّبويّة وكلام السّلف الصّالح، وأئمّة الدّين من المشايخ الرّبّانيّين. فانظره في محلّه -إن شئت- إذ لا شكّ أنّه ما بلغ أحد مبلغ الرّجال الكبار في طريق الله، وفي طريق رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، إلّا باجتماع القول مع الفعل. وأمّا من يقول ولا يفعل، فهو في أكبر المقت عند الله، وهو في حيز من نزلت فيهم هذه الآية، وهو قوله تعالى: «يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»[2]، وقوله تعالى: «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»[3]،

1 -في الأسرار المرفوعة: «كان الله ولا شيء معه» وفي رواية «وشيء غيره» وفي رواية «ولم يكن شيء قبله» ثابت، ولكن الزيادة هي: «وهو الآن على ما عليه كان» من كلام الصوفية... (الملا علي القاري، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق محمد بن لطفي الدباغ، الكتب الإسلامي، ط2، 1406ه1986-م، ح336، ص261) وما أورده المؤلف هو الحكمة السابعة والثلاثون من الحكم العطائية بمبناها ومعناها

2 - الصّف/ 2

3 - آل عمران/ 167

Scanned with OKEN Scanner

وقوله: «يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»[1]، إلى غير ذلك من الآي. وأمّا الأحاديث النّبويّة فكثيرة أيضا.

## [في بيان حقيقة الشّيخ المربّي والمريد الصّادق:]

ولتعلم أنّ الشّيخ المحقّق هو خليفة الله وخليفة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، والمُريد الصّادق هو خليفة (نهاية ص 20) أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ، رضي الله [عن جميعهم][2]. وأنت تعلم كيفَ كان حال الصّحابة مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، من كونهم لا يعصونه فيما أمرهم به، ولا فيما نهاهم عنه، حتّى كان لهم شبه بالملائكة، عليهم السّلام، الّذين نزل فيهم قوله تعالى: «لَّا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ»[3]، إلى غير ذلك، وقويت محبّتهم في الله، وفي رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، حتّى صاروا لا يملكون شيئا مع الله، ولا مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وقد خرج أبو بكر -رضي الله عنه- عن ماله لرسول الله، صلّى الله عليه وسلّم مرّتين، ومرّة خرج عن نصفه، والله أعلم. فقال له رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «ما أبقيت لعيالك؟» فقال له: «اللهَ ورسولَه»[4]. حتّىّ صار يقول فيه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم: «ما فَضَلَكم

1 – الشّعراء / 225

2 – ب:عنهم جميعا.

3 – التّحريم / 6

4 – ينظر: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت، رقم الحديث 1674 ج6، ص178، 181، الحديث: «...وروي عن عمر، رضي الله عنه، قال: أمرنا رسول الله(ص) أن نتصدق، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله(ص): «ما أبقيت لأهلك»؟، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكلّ ما عنده، فقال له رسول الله(ص): «ما أبقيت لأهلك»؟، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا.

Scanned with OKEN Scanner

أبو بكر بكثرة صلاةٍ ولا صيام، وإنّما فضَلَكم بشيء وقر في صدره»[1] أي وهو اليقين. وقد خرج عمر -رضي الله عنه- عن ماله لرسول الله، صلّى الله عليه وسلّم.

## [أيها المريد العاقّ:]

وهكذا كان شأن الصّحابة مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، من غير أن يُطلبَ منهم شيء من ذلك، وإنّما حملهم على ذلك قوّة محبّتهم ويقينهم في الله وفي رسوله. فهكذا ينبغي أن يكون حال المريد الصّادق مع شيخه المحقِّق، وإلّا فلا. وقد كنّا نظنّ فيك أنّك من أهل الصّدق العظيم والزّهد الكبير، فلذلك استخبرناك في أمر الدّنيا الخسيسة بأن تبعث لنا أربعمائة ريال فأبيت وامتنعت، ولم تبعث منها شيئا. والله لو كنت من أهل الصّدق لأتيت بها ولو [تَخْدَم][2] فيها [أرذل][3] النّاس. فأحرى أنّ دنياك فوق ما استخبرناك به، وفي علمك أنّ بعض المشايخ اختبر أصحابه بالذّبح وهو سيّدي أحمد بن يوسف[4]، **(نهاية ص 21)**

1 - (حديث: «ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه». أي سكن وثبت واستمر واستقر من ذكر الرّب. وهو في الإحياء، وقال العراقي: لم أجده مرفوعا، وهو عند الحكيم الترميذي في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني.) الأسرار المرفوعة، ح415، ص298-299.

2 - تعبير دارج بمعنى تشتغل.

3 - ب: أرذال

4 - أبو العبّاس أحمد بن يوسف الملياني الراشدي(840،931-ه)شاذلي التصوف، عرف بكراماته، ونسجت حوله الأساطير، وأحيطت شخصيته بهالة من التقديس والتبجيل، مازالت ترسباتها وبقاياها في الذاكرة الجمعية إلى يوم الناس هذا، عرف بتجواله، وهو دفين مليانة، وقد بنى الباي محمد الكبير على ضريحه مسجدا وقبة، تنسب إليه جملة من المؤلفات، على الرغم من كونه لم يهتمّ بالتأليف والكتابة.

Scanned with OKEN Scanner

رحمه الله، فأحرى الدّنيا وقد اختبر بعض المشايخ الجزولية[1] مُريدا له بأن بعث له الفقراء ليأتوا بماله كلّه ولا يتركوا له إلّا حمارا، فلمّا قدموا عليه وأخبروه بما قاله الشّيخ، فرح وقدّم لهم ما عنده بطيب نفس، إلى غير ذلك من أحوال أهل الصّدق - رضي الله عنهم-. ومما سمعه مولاي علي الجمل من شيخه سيّدي العربي بن عبد الله[2]، رحمهما الله، أنّه قال له: ومن آداب المرُيد مع شيخه إذا قال له الشّيخ: أردتك أن تخرج من عين المِخيَط لا يردّ عليه القول. وإنّما يقول له نعم من غير التفات ولا تردّد. واسمع ما قاله أئمّة الدّين في حقّ المريد الصّادق: العبد وما كسب لسيده. إلى غير ذلك.

وأمّا قولك إنّ النّاس توهّموا أنّ بيننا وبينك تباينا، فلا يدخل في قلبك شيء من جانبنا، ولو أقبل عليك أهل السّموات، وأهل الأرض، وكانت لك الفتوحات العظيمة الّتي كانت لبعض أهل الله قديما وحادثا، لم تحصل لنا منك غيرة، لأنّ المشايخ لم تحصل لهم غيرة من [تلامذتهم][3] ولو بلغوا مقاما فوق مقاماتهم، بل يفرحون بذلك ويفتخرون به لأنّ ذلك نتيجة وثمرة من إقبالهم بهممهم على أهل محبّتهم واضطرارهم إلى الله في حال ترتيبهم لهم، إذ لا راحة لهم منهم حتّى يدفعوهم لحضرة ربّهم. ويقولون لهم: ها أنتم وربّكم فكيف تحصل لهم غيرة ممّن ودّوه بهذه المودّة العظيمة؟ لا، والله.

1 - الجزولية: طريقة صوفية شاذلية تنسب إلى محمد بن سليمان الجازولي(807-870هـ)، المالكي، الأشعري.

2 - عبد الله بن محمد العربي بن أحمد بن احمد بن محمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي(ت 1188هـ/ 1775م) أخذ عن والده وعن جماعة من الشيوخ طريق التصوف، ومنهم الشيخ التاودي بنسودة المري وكذا أبي العباس أحمد التيجاني. وهو شيخ مولاي علي الجمل شيخ العربي بن أحمد الدرقاوي شيخ المؤلف.

3 - في المتن (أ): تلاميذتهم.

نعم، لا يتضرّر المريد من المشايخ في حال البداية ولا في حال النهاية إلّا بسبب سوء الأدب معهم وعدم امتثاله لأمرهم ونهيهم. إذ كم من [فرد][1] سُلب بسبب سوء أدبه مع المشايخ بعد النّهاية في العلم بالله. فأحرى في زمن البداية ومنهم تلميذ لأستاذنا -رضي الله عنه- (نهاية ص22) من الّذين عرفوه في أوّل الأمر قد سلبه سوء أدبه مع الشّيخ بعد تحصيله مقام القطبانيّة أو الاستشراف عليه. وقد شاهدناه [بالعصيان][2]، وكذلك [تلميذ][3] لأبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي[4]، رحمه الله، [أنّه][5] سلبه سوء أدبه بعد الفتح وإقبال النّاس عليه، واتّخاذهم له شيخا مربّيا، وسبب سوء أدبه هو أنّ الشّيخ بعث له بعض الفقراء ليقبضوا منه الزّيارة[6] فامتنع وانتفخ حتّى كاد أن يبلغ الثُّريّا. نسأل الله السّلامة والعافية، والقصّة مذكورة في مناقب سيدي يوسف الفاسي، رحمه الله، إلى غير ذلك، والسّلام.

## [الاشتغال بذكر الله:]

واعلموا يا إخواني أنّي أحبّكم -بارك الله فيكم- أن تعتنوا بالاشتغال بذكر الله تعالى حتّى تستغرقوا فيه أناء الليل وأطراف النّهار، وإيّاكم

1 - ب : واحد.

2 - ب: بالعيان، وهو الأصح والأدق والموافقة للسياق.

3 - ب : ساقطة.

4 - أبو المحاسن يوسف بن محمد القصري الفاسي(937ه1013-ه): انتهت إليه مشيخة التصوف الشاذلي عن شيخه عبد الرحمن بن عياد المجذوب، كما اشتغل بالإفتاء والتدريس، من مبادئه في التصوف: حب الخمول وكراهية الظهور، الابتعاد عن الفتن، والصبر عند البلاء...

5 -ب: ساقطة.

6 - تعني في الاستعمال العامي الدّارج الهدية التي يقدمها المريد للشيخ إكراما وتقديرا له، ولا زالت مستعملة إلى يوما هذا بدلالتها الأولى مع بعض التوسّع.

والتّفريط فيه لأنّ ذكر الله يطفئ غضب الرّب ويُظفِر برضاه، والقرب منه، ويكفي في فضله قوله تعالى:«فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ»[1]، وقوله [سبحانه][2] وتعالى فيما رواه عنه نبيّه محمّد، صلّى الله عليه وسلّم: «أنا جليس من ذكرني»[3]، وقوله أيضا: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»[4]. ولا بدّ [ولا بدّ][5]، [أن][6] [تعتنوا][7] به دائما حتّى يفنى الذّاكر في المذكور، ويغيب عن نفسه وعن ذكره وعن الوجود بأسره، ويصير هو الذّاكر وهو المذكور كما وقع لكثير من أهل الله، رضي الله عنهم.

وعليكم أيضا بمواصلة المشايخ وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم، لأنّه لا يستقيم للمُريد شيء من الأعمال والأذكار والقُربات من حيث هي إلّا بمواصلة المشايخ والإخوان[8] في كلّ ساعة. لأنّ النّبيّ، صلّى

1 – البقرة/ 151.

2 – ب : ناقصة.

3 – رواه الديلمي بلا سند عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا.( ينظر: أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق وجيه كمال الدين زكي، دار السلام، القاهرة، 1429- 2008، الحديث رقم 7، المجلد الأول ص110).

4 –رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت،ح7405، دار ابن كثير، دمشق- بيروت،1423ه/ 2002م، ص 1827.

5 – ب : ساقطة.

6 – لا يوجد في المتن.

7 – في المتن :اعتنوا.

8 – مصطلح صوفي يراد به المنتسبون إلى الطريقة ذاتها.

الله عليه وسلّم، قال في بعض الأحاديث: «تعلّموا اليقين بمجالسة أهل اليقين»، وفي رواية: (نهاية ص 23) «تعلّموا اليقين فإنّي أتعلّمه من جبريل» اه[1].

واسمعوا قوله تعالى: «يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ»[2]، وقوله تعالى أيضا: «يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ»[3]، إلى غير ذلك، والشّرط في هذه الأحوال كلّها، والأصل فيها هو المحبّة للمشايخ والإخوان، وجميع أهل الله، والصّدق معهم في القول والفعل، لأنّ ذلك يوجب [قرّة][4] العين لمحبّة الله ومحبّة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وإذا حصلت هذه الحالة للمُريد فهي الغنيمة الكبيرة والظّفر بالخصوصيّة العظيمة الّتي شارك الأكابرُ أهلُ الله فيها الأنبياءَ -عليهم الصّلاة والسّلام-. [وذلك لأنّه][5] كما أنّ النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، خُصّ بالمحبّة والرّؤيا، شاركه من كان على قدمه من أولياء الله في ذلك، وكما أنّ موسى -عليه السّلام- خُصّ بالمكالمة، وسُمّي كليم الله شاركه من كان على قدمه من أولياء الله تعالى، وهكذا. فانظر ما أعظم ما ينتج للذّاكرين لله تعالى، وأهل المحبّة من أسرار الخصوصيّات العظيمة الّتي تفضّل الله بها عليهم والسّلام.

1 - لم نطلع له على إسناد.

2 - التوبة / 120.

3 - المائدة / 37.

4 - في المتن(أ) :قرت.

5 - ب : زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

[ردّ وتوضيح وتصويب:]

واعلم أنّه قد بلغنا مكتوبك، وفهمنا ما وقع بالنّفس الأمّارة من الزّلزلة والطّامة والصّيحة، وذلك من تسخّط القدر الّذي أدّاها إلى الضّيق، والحرج والغيار الّذي لم يقع لأحد من أهل المعرفة بالله تعالى، وذلك كلّه من ضيق فهمها وعكس الحقائق حتّى انقلب لها الفهم الّذي يوافق معنى ما [كاتبناك][1] به من قولي لك: أنا شيخك في عالم الغيب، وقد ربّيتك بالجلاليّات إلخ، ونحن -والله- ما مرادنا ما فهمته، أنت من كوني نأمرك أن تتعلّق بنا، وتترك شيخك الّذي أخذت عنه أوّلا، وتعلّقت همّتك به حتّى انجمع همُّك عليه في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة لأنّ النّفع يحصل للمُريد من الشّيخ على حسب (نهاية ص 24) ذلك، ولا [يزال][2] الشّيخ يربيّ المُريد في بدايته وفي الاستشراف على النّهاية، بل حتّى [في][3] وصوله تارة بالجلاليّات، [وتارة بالجماليّات][4]، وهكذا [لأنه][5] لا غناء له عن تربيته ولو بعد الوصول، كما قال لنا أستاذنا[6]، رحمه الله: صاحب الفناء يحتاج للمُريد، بل حتّى صاحب البقاء، لأنّ المُريد لا يخلو من [الرعونات][7]، وهذا إذا كان المريد صاحب صدق كبير، والشّيخ من أهل التّحقيق الكبير، كما هو معلوم عند المشايخ المحقّقين.

---

1 - في المتن (أ) :كتبنك.

2 - ب : زال.

3 - ب: زائدة.

4 - ب : ناقصة

5 - ب : زائدة

6 - يقصد مولاي العربي بن أحمد الشّريف الحسَني الدّرقاوي، مع ملاحظة أنّ إطلاق هذا الوصف أو ما حمل معناه يتكرّر كثيرا في رسائل المؤلف.

7 - في المتن (أ): الرُّوعَانات

وأمّا ما قلناه لك من أمر مشيختنا عليك، فما مرادنا في ذلك إلّا أنّ من تولاه الله وغطّى وصفه بوصفه، ونعته بنعته يصير هو قلب الوجود، يتصرّف فيه على حسب ما تجلّ فيه من الوارد الحقّي الّذي لا يقدر أحد على دفعه، لأنّه إذا ورد عليه بالميل إلى الجذب، يظهر في العالم الخراب من الفتن وغلاء الأسعار، وغير ذلك من الجلاليّات، وإذا ورد عليه بالميل إلى السّلوك يظهر في العالم كذلك البسط من العوافي، ووسع النّعم وغير ذلك من الجماليّات. فمن هنا كان فيما مضى إذا توجّه الفقراء إلى البسط والجماليّات بالدّخول في السّلطنة الحسّيّة نتعرّض لهم ولا أرضاه لهم، لما في ذلك من الضّرر. لأنّ الدّنيا سلبت الرّجال فما بالك بالعِيال، وذلك بأن تتجلّى في باطني قوّة إلهيّة ندفع بها عنهم ما يفسدهم من التّعلّق بالدّنيا. وذلك كلّه غيرة منّا على هذه الطّائفة المنوّرة المنسوبة إلى أستاذنا صاحب القطبانيّة الكبرى، لأنّ طريقه هي الّتي كان عليها الأكابر من مشايخنا الأقدمين، إلى أبي الحسن الشّاذلي -رضي الله عنه- ومنه قطب عن قطب إلى سيّدنا الحسن بن عليّ، وهو أوّل الأقطاب، رضي الله عن جميعهم. فهذا هو الّذي حملني على ما قلت لك. لأنّي رأيتك [أحرص][1] النّاس على السّلطنة الحسّيّة فلذلك (نهاية ص 25) وجّهت همّتي إلى الله تعالى في عدم موافقتكم على ذلك، وردّكم إلى المسكنة، والقناعة بالله، والاكتفاء به دون [ما][2] سواه، ووافقني مولاي في ذلك، وذلك كلّه محبّة منّي فيكم، وفي الطّائفة المنوّرة، والله مطّلع علينا إن حدّثنا بغير ما وقع لنا. وحملني على ذلك أيضا خوف شماتة الأعداء بالطّائفة حتّى صاروا يحكمون علينا بالزّندقة والباغية وغير ذلك من المفاسد،

1 - في المتن (أ و ب): أحرس.

2 - ب: زائدة.

وهـذا سيّدنا هـارون -عليه السّـلام- قال لأخيه سيّدنا موسـى -عليه السّـلام-: «فَلَا تُشْمِتْ بِيَ اَلاعـداءَ»[1]، فضـلا عن غيره.

وأمّـا مـا فهمتـه أنت مـن كلامنـا وخافت نفسـك منه حتّـى بالغت في سـوء الأدب بالـكلام الفاسـد فلـم يخطـر لي ببـال ولا أعتقـده أبـدا، وأيضـا فـإنّ المشيخة على النّـاس، والتّقـدّم عليهـم ليس لها شـأن عندنا حتّـى نطلبهـا منـك أو من غيرك. لأنّنـي -والله- منذ مات أسـتاذنا رحمه الله، مـا قلـت لأحـد: اقبـض عنّـي الـورد، واتّخـذني شـيخاً، ولا أرضى أن أعلّـق همّتـي بالقطبانيّـة، فضـلا عـن غيرهـا، لأنّ مـن كان في حضرة الحـقّ لا مقـام له. وقد قال أسـتاذنا الكبيـر -رحمه الله-: القطـب ما تولّى القطبانيّـة إلّا لضيقـه، وأيضـا هـي [مفتـاح][2] مـن المقامـات والدّاخل في حـضرة القـدس منزّه عنهـا وعـن غيرهـا مـن المقامـات كلّهـا. قـال بعضهـم :

تَرَكْـتُ لِلْنَّـاسِ مَـا تَهْـوَى نُفُوسُـهُمْ
مَـنْ حُـبِّ الدُّنْيَـا وَمِنْ عِزٍّ وَمِـنْ جَاهِ
[كذَاكَ][3] تَرْكُ المَقَامَاتِ هُنَا وَ[هُنَا][4]
والقَصْـدُ غَيْبَتُنَـا عَـما سِـوَى اللهِ[5]

1 - الاعراف/ 150

2 - ب : مقام، وهو الأصوب.

3 - في المتن(أ وب) : لذاك

4 - في المتن(أ وب): هنالك.

5 - ينظر :أحمد بن عجيبة الحسني الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله قرشي رسلان، نشر عباس تركي حسن، القاهرة،1409هـ-1999م،ج2، ص503. لم نعثر للبيتين على قائل، إذا يستشهد بهما دون نسبتها لأحد، ولا شك أن المؤلف قد نقلهما عن أحمد بن عجيبة، وخاصة إذا علمنا

Scanned with OKEN Scanner

إلى غير ذلك، وقد قال أستاذنا رحمه الله: كنت ذات يوم جالسا بمسجد القرويّين بفاس -عمّرها الله- وأنا على حال عظيم من الاستغراق في عظمة الباري جلّ جلاله، وإذا برجل غائب عن إحساسه وقف على رأسي، ووضع يده عليه، ثمّ قال لي: أنت والوجود نقطة في بحر، (نهاية ص 26) فقلت في نفسي: إيشْ هو؟، وإيشْ الوجود؟، وإيشْ هي النّقطة؟، وإيشْ هو البحر؟. بل وجدت الأمر الّذي أنا فيه فوق ما يصف الواصفون، إلى غير هذا. وأيضا ينبغي لك حين حكّمت الفهم ووقع بك ما وقع أن ترجع إلى حسن الظّنّ، والاعتقاد الحسن، ولم تتعرّض لسوء الأدب المفضي بك إلى العطب من مخاطبتك لنا بما كاد الكاغط أن يتمزّق منه لثقل ما فيه من قُبح الكلام بأن تقول: هذا رضًا من الله واعتناءٌ بنا، حيث اهتمّ بنا أهل الله وكانوا يمدّوننا بالخير في عالم الغيب، ويكون شيخك هو عمدتك، وقد قال المشايخ رضي الله عنهم: المُريد الصّادق مثل النّحلة ترعى في كلّ [نوّاره][1]، ولا تبيت إلاّ في [جَبْحِهَا][2]. وأيضا قد كان المشايخ -رضي الله عنهم- لا يمنعون المُريد الصّادق من زيارة المشايخ والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم، وإنّما كانوا يمنعون المبتدئ، لأنّه دخل الطّريق وهو جاهل بالعلم والعمل، ولا يدري ما يضرّه، ولا ما ينفعه، يُخاف عليه أن تفسد نيّته في شيخه، لأنّه قريب عهد بالنّفس لقوّة ظلمتها عليه، وجاهل أيضا بحقيقة الشّيخ المُربّي، ولم يفرّق بينه وبين غيره من مشايخ التّعليم، ولم يعلم أيضا عقد الصّحبة أيّ شيء هو. فهذا الّذي أخبروا به وهو واضح ولا ينكره أحد. وأمّا أمثالك

---

أنّه معاصر له، ومن تلامذة أستاذه.

1 - من الاستعمال العامي الدارج، ويراد بها الزَّهرة والوردة.

2 - الجَبْح: لفظ عامي دارج يراد به خلية النحل. والمثل لأحمد زروق، قواعد التصوف، مصدر مذكور، ص54.

فما كنا نظن بهم ذلك. الله أكبر، هذا قطب الدائرة مولاي علي الجمل -رحمه الله- كان تحت تربية شيخه سيدي العربي بن عبد الله، رضي الله عنه، وحين يأتيه بقصد التفنن معه في فنه [فيجدد][1] عليه القبض أحيانا، يرجع ولا يتكلم معه في شيء حتى يأتي إلى جحر ويتذاكر عندها في مقصوده فيستمد منها، كما يستمد من شيخه، رضي الله عنه. فهكذا سمعناه من أستاذنا، رحمه الله [ورضي عنه][2]. [يحكي عنه][3] وأما ما أخبر به الشيخ الشعراني، رحمه الله، في طبقاته[4] من استفادته من مشايخ زمانه فكثير، وهذا مع (نهاية ص 27) وجود شيخه سيدي علي الخواص[5] وقد ذكرهم في منظومة فقال:

وَأَذْكُــــرُ الآنَ رِجَــالاً
كَانُواكَأَنجُمِ يَزْهُو بِهِ الزَّمَانُ*[6]

1 – في المتن: يجد ونظنه سهو من الناسخ.

2 – ب : ناقصة.

3 – ب: زائدة.

4 – الإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المشهور بالشعراني(898 ه – 973 ه)، عالم زاهد، فقيه محدث، مصري، شافعي، شاذلي، صوفي، أنصاري. لقب ب«القطب الرباني». خلف مكتبة غنية من أشهر ما فيها طبقاته.

5 – علي الخواص البرلسي، من أعيان الصوفية بمصر خلال القرن العاشر الهجري تتلمذ عليه عبد الوهاب الشعراني، وله مقالات في السلوك وآدابه ومتطلباته، إلى غير ذلك من الكشف الصريح، والفتح الكبير الفسيح، مع كونه أميا، وقد توسع العلامة الشعراني في ترجمته في كتابه الطبقات.

6 –* وجدنا في نَسْخ قصيدة الشعراني من قبل الناسخ الكثير من الخلط والتصحيف، لسنا ندري إن كان مصدره الناسخ أم المؤلف، كما أن القصيدة ليست للشعراني، حسبما ما أثبته هو ذاته في طبقاته قائلا: «وقد سبقني إلى نحو ذلك سيدي الشيخ عبد العزيز الدريني -رضي الله عنه- في منظومة له فقال: في

مَشَايِخاً صَحِبْتُهُمْ زَمَاناً
أَوْ زُرْتُهُمْ تَبَرُّكاً أَحْيَاناً
مَشَايِخِي الأَئِمَّةُ الأَبْرَارُ
وَإِخْوَتِي الأَحِبَّةُ الأَخْيَارُ
أَرْجُو بِذِكْرِهِمْ بَقَاءَ الذِّكْرِ
لَهُمْ وَفَوْزِي بِجَزِيلِ الأَجْرِ
فَإِنَّهُمْ عَاشُوا بِأُنْسِ الرَّبِّ
سِرّاً وَذَاقُوا مِنْ شَرَابِ الْحُبِّ
فَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَعِيمِ الحَضْرَه
وُجُوهُهُمْ فِي نَضِرَةٍ مِنْ نَظْرَه
وَكُلُّ شَيْخٍ نِلْتُ مِنْهُ عِلْمَا
أَوْ مَأْدَبًا فَهُوَ إِمَامِي حَتْمَا
وَكُلُّ شَيْخٍ زُرْتُهُ لِلْبَرَكَةِ
فَقَدْ وَجَدْتُ رِيحَ تِلْكَ الحَرَكَةِ

إلى أن قال -رضي الله عنه وأرضاه-:

لَمْ يَبْقَ فِي السِّتِّينَ، وَالسِّتِّمِائَةِ
فِي النَّاسِ مِنْ أَشْيَاخِنَا إِلَّا فِئَه
وَإِنَّنِي لِغَفْلَتِي أَقَلُّهُمْ
وَقَدْ تَقْضِي مِنْهُمْ أَجَلُّهُمْ
وَقَدْ عَدَدْتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً
اشْتَهَرُوا بِالفَضْلِ وَالْبَرَاعَةِ

---

أولها وهو لسان حالي أيضا» (الطبقات/ 447) ثم يأتي على تثبيت الأبيات التي استشهد بها المولف. كما لاحظنا أن أعجاز الأبيات: 7، 8، 9، 10 هي في الأصل صدورها والعكس صحيح.

وَمَـا سَكَتُّ عَـنْ سِـوَاهُـمْ صَـداً
وَلَمْ أُطِـقْ حَـصْرَ الْجَـمِـيـعِ عَـدًا

وَإِنَّـــمَا ذَكَــرْتُ قَــوْمًـا دَرَجُــوا
وَمِـنْ مَضِيقِ سِـجْنِهِمْ قَـدْ خَرَجُـوا

قَـدْ كَـانَ لِي بِأُنْـسِـهِـمْ سُـلْـوَانُ
وَمَـا نَـسِيتُ ذِكْـرَهُـمْ إِذَا بَانُـوا

وَقَــدْ بَـقِـيتُ بَـعْـدَهُـمْ فَـرِيـدًا
مُخَلِّـفًـا عَــنْ رِفْـقَـتِـي وَحِـيـدا

أَقْـــطَـعُ الأَوْقَـــاتَ بِـالـرَّجَـاءِ
لِـيَـحْـضُـرَ الْـوَفَـاةَ بِـالْـوَفَـاءِ

وَفِي الـــزَّمَـــانِ مِـنْـهُـم بَـقِـيَّـه
قَـلِـيـلَـةٌ صَـالِحَـةٌ مَـرْضِـيَّـه

فَـقُـلْ لَهُـمْ إِذَا أَقَـامُـوا بَعْدَنَا
يَدْعُـو لَـنَـا فَقَـدْ دَعَوْنَـا جَهْدَنَـا[1]

(نهاية ص 28)

وكذلـك أيضـا مـا أخـبر بـه صاحـب مـرآة المحاسـن[2] عـن أبيـه سـيّدي يوسـف الفـاسي، رحمهـا الله، مـن أنّ لـه نحـو العشرين شـيخا مع وجود شيخه سيّدي عبد الرّحمـن المجـذوب[3]،رضي الله عنهم، إلى

1 - ينظـر: أبـو المواهـب عبـد الوهـاب الشـعراني، الطبقـات الكـبرى: لواقح الأنـوار في طبقات الأخيـار، دار الكتب العلمية، بـيروت، ط1 1997، ص447.

2 - مـرآة المحاسـن في أخبـار أبي المحاسـن، تأليـف الإمـام أبو حامد محمـد العربي بن يوسـف الفـاسي الفهـري(988هـ1052-هـ).

3 - أبـو محمـد عبـد الرّحمـن بـن عياد بـن يعقـوب بن سـلامة بن خشـان المعروف بالمجـذوب(ت976هـ): شـاعر صـوفي ذاع صيتـه في كافـة أنحـاء المغـرب العـربي برباعياتـه وحكمـه وأمثاله الشـعبية.

غير ذلك. ومع هذا من وسعهم في الأسرار الأزّليّة لم يسيئوا الأدب مع المشايخ أو ينقصوهم، ولو بلغوا ما بلغوا في تعظيم مشايخهم، وقد قالوا: يُسلَّم للمُريد في تعظيم شيخه وغُلوه فيه ما لم يؤدّ ذلك إلى فساد عقد أو تنقيص بالمشايخ، لا سيّما من لم يدخل مع الرّجال في بلدهم، ولم يدرك مقامهم، فلا يحلّ له أن يحوم بالنّقص حولهم، وهو لا يدري أين هم، لأنّ أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس إلّا من كان مَحْرَما كما قال بعض أئمّة الدّين، رضي الله عنهم، لأنّ دائرة الولاية كطبقات الجنان بعضها فوق بعض، وأهل الطّبقة السّفليّة لا يعرفون أهل العلويّة. فكذلك أوليّاء الله، رضي الله عنهم.

يحكى عن قطب زمانه الشّيخ عبد القادر[1]، رضي الله عنه، أنّه كان ذات يوم ماشيا في بعض أزقّة الشّام، وإذا بفقير على حال الخراب جالس على مزبلة، وقد تعلّم مع الشّيخ في بعض المعاني الغريبة، فلمّا سمعه طأطأ رأسه ساعة، ثمّ التفت إليه وقال: يا فقير فتّشت دوائر الأوليّاء كلّها فلم أجدك هناك، وإذا بالنّداء من قبل الله، قل له: يا عبد القادر هذا وليٌّ من أوليّائي لم يطّلع عليه أحد غيري.

وأمّا قولك فكيف تكون شيخي، وأنت لم ينتفع بك أحد من أصحابك، لأنّي قد جالستهم ولم أجد أحدا منهم يفهم [الشَّور][2]. وأشرتَ إلى نقصنا وعدم كمالنا بسبب ذلك، فهذا كلّه من[شؤمك و][3] سوء ظنّك وعدم وسعك في علم أهل الطّريق، وفيما هم عليه من التّحقيق، ألم تعلم أنّ الشّيخ مولاي عليّ الجمل، رحمه الله، كان قطب الدّائرة ثلاثين سنة وله (**نهاية ص 29**) تلامذة كثيرة، ومع هذا لم يُفتح

1 - يقصد سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني.

2 - ربما يريد الإشارة.

3 - ب : زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

على يده سوى شيخنا مولاي العربي، تَقطَّب على يده في حياته وكانت ملاقاته معه في آخر عمره، وكذلك الشّيخ سيّدي العربي بن عبد الله، رحمه الله، عرفه كثير من المُريدين ولم يفتح لأحد على يده سوى مولاي عليّ الجمل. وقد حدّثنا شيخنا عن شيخه مولاي عليّ المذكور، أنّه قال: حين كنت نأتي إلى شيخي يفرح بي فرحا شديدا ثم يقول لأصحابه: والله لولا هذا الرّجل ما خرجت لأحد، أو كلاما هذا معناه.

وهكذا كان جلّ الأكابر، رضي الله عنهم. ويكفي في هذا المعني ما روي عن أبي يزيد البسطامي[1]، رحمه الله، أنّه قال: كانت عندي ثلاثة آلاف من المُريدين أصحاب المرَّقعة، ومع هذا لم يعرفني أحدٌ منهم إلاّ رجلٌ ونصف رجل إلى غير ذلك، أَوَ هؤلاء لم يكونوا كاملين؟ لا، والله، ما كانوا إلا محمَّديّين ظاهرا وباطنا. وما ذكرناه هنا هو الّذي يردّ قولك، وقول أمثالك الّذين يستدلّون على أوليّاء الله بما سوّلت لهم أنفسهم من الظّهور وكثرة المُريدين، هو الدّليل على كمال الشّيخ وهم كلّهم أهل حقيقة صوفيّة، وذلك لأنّهم تعلّموا كلمات في الفناء والبقاء من أهل الحقيقة الذّوقيّة، ولم يثبتوا في فعل شرائعها حتّى وصلوا إليها، وعاينوها وما حملهم على المشيخة إلّا محبّة الاستتباع وحصول الجاه عند النّاس. ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

واعلم أنّي لم تكن لي شهوة في المشيخة منذ زمان، لأنّنا كنّا بحضرة شيخنا -رحمه الله- وفهمنا منه أنّ علو الهمّة هو العمدة عنده وعند سائر المحقّقين. ومن هنا قال الشّيخ أبو العبّاس المرسي، رحمه الله:

---

1 - أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي( 188 هـ- 261هـ) صوفي من أهل القرن الثالث الهجري، يلقب ب «سلطان العارفين» اسمه الفارسي «بايزيد» كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جدّه شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعلي. ولد في بسطام في بلاد خراسان في محلة يقال لها محلة موبدان. روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق.

والله، ما تصدّرت للمشيخة حتىّ هدّدت بالسّلب. فمن هنا كانت المشيخة عندنا ليست بشيء حتىّ كنّا ننكر على من يدّعي المشيخة من إخواننا، مع وجود شيخنا مولاي العربي، رحمه الله، ولا نرى ما هو عليه من المشيخة شيئا، (نهاية ص 30) فلذلك حين قدمتُ إلى زيارة شيخنا حين كان في السّجن قلت له: يا سيّدي أريد الانتقال من بلدنا إلى بلدة أخرى، فقال لي: لا تفعل واصبر هناك حتّى يأتيك أهل المحبّة من المشرق ومن المغرب ومن الجوف[1]، ومن القَبلة، ومن السّماء ومن الأرض ومن كلّ جهة. وهذا الذي قلت لك قد قاله لي شيخي مولاي علي الجمل، رحمه الله، حين أشار لي بالإذن في التّربية والمشيخة. ومع هذا لم أبال بذلك، ولكن قد سكن قلبي واطمأنّ بما أشار عليّ، رحمه الله، وامتثلت أمره في عدم الانتقال. فلما تُوُفّي -رحمه الله- جاءني بعض الإخوان يطلبون منّي المشيخة. فقلت لهم: لا أفعل هذا أبدا، ولا أطيعكم فيه، وإنّما نحن أخوان في الله نتذاكر في طريق شيخنا على سبيل الإخوّة لا غير، كما فعل السّلف الصّالح. فألحّوا عليّ غاية، المرّة بعد المرّة في أيام عديدة ولم أرض بذلك، فتذكّرت كلام الشّيخ فيما مضى فوجدته إذنا من الله في الحقيقة وقد حان أوانه، ثمّ إنّه ورد على باطني واردٌ قويّ من ناحية الحقّ، المرّة بعد المرّة: قد أذنّاك، قد أذنّاك في التّربية، وقد سمعت منه، رضي الله عنه، أنه قال ورد عليّ قوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ»[2]. فدفعت ذلك الوارد مرّة ومرّتين، وفي الثّالثة امتزج مع لحمي ودمي ولم يندفع، ولم يثبت، رضي الله عنه، فحينئذ ساعدتهم على ذلك، فإذا بالإخوان جاءونا من كلّ جهة. وعدت ألقّنهم الورد وأتذاكر معهم ولا أبالي، فأوّل من فُتح له على أيدينا مُريد لا يعرف اسمه في اللوح فلقّنته الاسم

1 - الشمال.

2 - النحل / 125.

الأعظم، وعاد يذكره ففُتح عليه في أقرب مدّة ووقع به سكر عظيم حتّى خِفْت عليه المحْقَ والذّوبان، وبقي عليه ذلك السّكر مدّة وهو (نهاية ص31) لا شعور له بالخَلق ولا بنفسه. فاضطررت إلى ربّي في سلوكه وعدم ذوبانه، فرجع إلى السّلوك ببركة أهل الطريقة، وسلِم من الذّوبان، ولكن توفّي بعد ذلك بمدّة قليلة بمرض أصابه. فتحقّقت إذ ذاك بالإذن من شيخنا حقيقة، إذ الإذن من المشايخ المحقّقين إِذْن من الله في الحقيقة. وقد وقع لأستاذنا، رحمه الله، حين أَذِن له شيخه مولاي علي الجمل، رحمه الله، كما وقع لنا، أي أوّل مُريد له يقال له: سيدي أحمد العربي لقّنه الذكر بعد الإذن، يفتح الله عليه في أقرب مدّة، حتّى خاف عليه المحْق لقوّة الجذب الّذي حصل له، قال لنا شيخنا، رحمه الله، كنت أتبعه بالأمور الحسيّة من المأكل والمشارب ليسلَم من المحْق بسبب رجوعه إلى الحسّ حتّى أغاثني الله فيه فأخرجته إلى مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار، فاسترحت منه، ولكن توفّي بعد ذلك ولم يَطُل معه في الطّريق الخ. ثمّ فتح الله على كثير من أهل محبّتنا بعد الفقير الّذي ذكرته أوّلا حتّى غابوا عن إحساسهم في عظمة الباري، جلّ جلاله، ونطقوا بالأنانيّة كما نطق بها الحلّاج وغيره. ومع ذلك لم أذكرهم ولم أفتخر بهم كغيري، لأنّ صاحب الاكتفاء بالله لا يبالي، وهو علامة على الوصول. كما قال لنا أستاذنا الشّريف، رحمه الله، من ادّعى الوصول، فانظروا هل حصل له الاكتفاء، أم لا ؟ لأنّ الاكتفاء بالله هو دليل الوصول إلى الله، الله أكبر.

لمّا كنتَ متوجّها إلى السّلطنة الحسّيّة وتسبّب فيها بكلّ حيلة أشهدت حيلتك إلى أن توسّلت إليها بالكافر وجعلته واسطة في ذلك ومع ذلك لم [يَسْخُرْ][1] لك شيء منها لانّ الحقيقة الإلهيّة قد

1 - تعبير عامي دارج يراد به يَصِّح

فهرتك ومنعتك منها، وذلك بواسطة أهل الله لما وجّهوا هممهم إلى الله في المنع من ذلك، (نهاية ص 32) فساعدهم القدر، وذلك غيرة منهم على طريق أهل الله لِئَلّا تفسدَ. لم [تتفكّرْ][1] حينئذ شيخك، ولم تشاوره فيما توجّهت إليه من ذلك، وتكتفي به فيما توجّهت إليه بإذن منه إذ المأذون مأمون. وحين خاطبك أخو شيخك الّذي هو معه ذاتٌ واحدة، كما قال أستاذنا الشّريف، رحمه الله: نحن وإخواننا الفقراء ذاتٌ واحدة ومن فرَّقنا أو عدّدنا فالله حسبه. وأعلمَك بما كان يدفع عنك في عالم الغيب، اشمأزّت نفسُك، وتغيّرْت فلم تشعر بما صدر منها من سوء الأدب مع أهل الله الّذي يُسقِطها من عين الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، مع أنّه لم يخاطبك إلّا بما يحبّ الله ورسوله، وتحبّه النّفس الذّاتيّة وتفرح به، وتقرّ عينها به، وتحمد الله على عطف قلوب المؤمنين عليها، حيث تسبّبوا في إبعادها عن الأمور الفاسدة، وردّوها إلى ما يحبّه الله ورسوله من أوصاف العبوديّة الّتي هي الفقر والذّل والضّعف وغير ذلك، وأيضا يا أحمق كيف تدّعي مشاهدة الحقيقة، وكنت فيما مضى تنعتها لأصحابك في الحجارة وغيرها، وحين تجلّت لك في العربي الطّويل[2] وخاطبتك على لسانه بالتّربيّة في عالم الغيب أنكرتها وتبرّأت منها وحصرتها في شيخك فقط. ألم تعلم أنّ الشّيخ الشّاذلي[3]، رحمه الله، لّما قيل له: ألك شيخ؟ قال: كنت أنتسب إلى رجل يقال له مولاي عبد السّلام بن مشّيش[4]،

1 - توظف في العامية بمعنى تتذكّر

2 - يقصد المؤلّف شخصه، والنّص يؤكّد صحّة لقب الطّويل الذي اشتهر به المؤلّف تمييزا له عن شيخه.

3 - يريد: أبا الحسن الشاذلي.

4 - عبد السّلام بن مشيش العلمي( 559هـ - 626 هـ / 1163 - 1228 م) عالم متصوّف عاش في زمن الخلافة الموحدية، ولد بمنطقة بني عروس بالقرب

وأنا الآن اغترف من عشرة أبحر: خمسة سماويّة وخمسة أرضيّة. فالسّماويّة: جبريل ومكائيل وإسرافيل وعزرائيل والرّوح. والأرضيّة: محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضي الله عن جميعهم. فأين أنت من هذا الوسع العظيم الّذي أعطاه الله لأكابر أوليائه، رضي الله عنهم؟، وفي علمك أنّ المريد الصّادق إذا ربّاه (نهاية ص 33) شيخه وبلّغه مبلغ الرّجال يقول له: ها أنت وربّك. ويقطع عنه المدد من جهته ويتركه مع ربّه. وحينئذ يصير يستمدّ من الوجود بأسره، لأنّه أطلق عنان الحقّ في كلّ ما يرى، ولا يحصره في شيخه أو غيره إلى غير هذا. وإذاً والله لو اطّلع أخونا في الله سيدي محمد المدني[1] على ما كاتبتنا به من قبيح الكلام لقال فيك ما قاله أبو يزيد[2] في تلميذ له قد [أساء][3] الأدب مع بعض المشايخ، ولم يمتثل أمرهم لوقوفه مع حاله. وذلك أنّ أبا يزيد، رحمه الله، استضافه شيخان من العارفين، فلمّا قدّم [لهما][4] الطّعام [قالا][5]

---

من مدينة طنجة وانتقل بعدها للعيش بجبل العلم قرب العرائش وهناك توفي حيث يوجد ضريحه، يعد أحد أعلام الصوفية وأستاذ المتصوف أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية.

1 - الشيخ محمد حسن ظافر المدني (ت 1864م) ولد بالمدينة المنورة، ثم جاء إلى المغرب وقابل مولاي العربي الدرقاوي وصار أحد أتباعه، وهو رفيق المؤلف في التتلمذ على هذا الأخير، وقد زار الحاج موسى الدرقاوي المؤلف بالونشريس بناء على وصية شيخه محمد المدني. عاد إلى المدينة المنورة، وصار خليفةً لشيخه بها، ثم استوطن مصراتة (ليبيا)، وأسس بها زاويته وطريقته التي عرفت بالمُدنِية، ودفن بها، وترجع طريقته إلى الطريقة الشاذلية وقد انتشرت بعده انتشاراً واسعاً على يد ابنه الشيخ محمد ظافر بن الشيخ محمد بن حسن بن حمزة بن ظافر المدني.

2 - يقصد أبا يزيد البسطامي.

3 - في المتن (أ): ساء

4 - في المتن(أ وب):لهم

5 - في المتن (أ وب): قالوا

لتلميذ لـه: كُلْ معنا. قـال: إنّي صائم. فقـال له أحدهما: كُل معنا و لك صوم سنة. فأبـى. ثـمّ قـال لـه الآخـر: كل معنـا و لـك صوم سنتين. فأبى، فقال لهما الشّيخ أبـو يزيد: دعـوا من سقط من عـين الله. فرُؤي ذلك الرّجل بعد ذلـك على الفواحش والمعاصي[1]. نسـأل الله السّلامة والعافيـة. وذلـك من سـوء الأدب مع المشايخ، والعيّـاذ بالله.

وأمّـا ذمُّـك الدّنيـا في أوّل مكاتبتك لنـا و[اعتذارك][2] لنـا بكونها لم تكـن عنـدك، ولو كانـت لتكرّمت بها علينـا، فما هو إلّا بخـل ظاهر. وما وقـع لـك ذلك إلّا من قيام نفسـك عليـك حين فهمـت العكس في قولي لـك أنا شـيخك... الـخ. وأنا عبـد الله لم يخطر ببـالي ما فهمتَه أنـتَ، وما مـرادي إلّا أخـبرك بـما تجلّى فينـا فيما مضى مـن منعكم من الدّنيـا. وأيضا والله إن كنـت مـن الرّجـال الّذين يحسـنون لمن أسـاء إليهم كالحسـن بن علـيّ، كـرم الله وجهـه، وذلـك أنّـه مهما قابلـه أحـد بالإذاية سـكت عنه حتّـى بلغ مـراده في ذمّـه. وحين يذهب يبعـث إليه مائة دينـار أو مائتين. وكذلـك سـيّدي أحمد بن يوسـف، كان يحسـن لمن أسـاء إليـه. ومع هذا لم تصـدر منّـا إليكم إسـاءة مذمومـة في الـشّرع، (**نهايـة ص 34**) بل هو معـروف وخـير وعطـف يُنتِـج لـذوي العقـول أسرارا عظيمـة، وترقيّة وزيـادة فيها ولـولم يكونوا مـن طائفتهم، فأحـرى أهل الطّائفـة لأنّهم لا

1 - يقول أبو القاسـم القشـيري: سـمعت الشـيخ أبا عبد الرحمن السّـلمي، يقول: سمعت عبـد الله بـن علي الطـوشي يقول: سـمعت أبـا عبـد الله الدينـوري يقول: سمعت الحسـن الدامغـاني يقـول: سـمعت عمي البسطامي يحكـي عن أبيـه: أن شقيقا البلخـي، وأبـا تـراب النخشـبي، قدمـا عـلى أبي يزيـد، فقُدِّمـت السـفرة، وشاب يخدم أبـا يزيـد، فقـالا لـه: كل معنـا يا فتـى. فقـال: أنـا صائم. فقـال أبو تـراب: كل ولـك أجـر صـوم شـهر. فأبـى. فقال لـه شـقيق: كل ولك أجـر صوم سنة. فأبى فقـال أبـو يزيـد: تدعُـوا مـن سـقط مـن عـين الله تعـالى. فأخـذ ذلك الشاب في السرقة بعد سـنة، فقطعـت يده( الرسـالة القشـيرية،ص362-363).

2 - في المتن (أ و ب): استعذارك.

يوجّهون إلى بعضهم إلّا الخير. والسّرّ في [مُحاككتهم][1] في منع النّفس من مفسداتها كالتّعلّق بالدّنيا وغيرها. وليس قصدهم في ذلك الحسد، وإنّما كان ذلك منهم غيرة على الطّائفة فقط. فمن ذلك اضطررت إلى ربّي اضطرارا كبيرا، ووفّقني القدر في سدّ باب الدّنيا عنكم.

## [رفض التعلّق بالسّلطة الحسّيّة:]

وقد جمع الله لي فيما مضى في عالم الغيب كلّ من تعلّق [بالسّلطنة][2] من أهل طريقتنا، فأوّل ما خاطبتهم به أن قلت لهم: هذه السّلطنة الّتي تريدونها قد دككْت عليها، ثمّ لم تكن لكم أبدا، والكاذب عليه لعنة الله. وأيضا لو كنت أطلب المشيخة على النّاس لطلبتها مِن بعض مَن يحبّنا من مقاديم الشّيخ مولاي الطّيّب[3]، وقد رأيت فيه محبّة كثيرة فينا وفي شيخنا مولاي العربي، رحمه الله، لأنّه قد تحقّق به أنّه من مشايخ التّربيّة المحقّقين، وذلك لشدّة بحثه معنا في علم الطّريقة حتّى عاد يفهم كل ما أشرت به [إليه][4] في علم [الطّريقة][5]، ومع هذا لم أقل له: اتّخذني شيخا، واترك شيخك وطريقه. ومنذ زمان وهو معنا، ولم يفارقنا، ويحبّنا المحبّة الكبيرة

1 - تعبير دارج يراد به احتكاكهم والتفافهم ببعضهم البعض.

2 - ب: السلطانة، ويظهر أنه سهو بدليل أنها كتبت في السطر الموالي السلطنة.

3 - مولاي الطيب بن محمد(1181 ه - 1767 م): تولى المشيخة بعد وفاة أخيه مولاي التهامي، سارع إلى تنمية مداخيل الزاوية وإيجاد فروع جديدة لها في الجزائر والجهة الشرقية للمغرب، وكانت له علاقة طيبة مع المخزن، وقد التقى به الشيخ سيدي احمد التيجاني، والشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وفي عهده تحولت وزان إلى مدينة بفضل البناءات الجديدة التي شيدها بها. ومنه اتخذت الطريقة اسما لها(الطيبية)

4 - ب: عليه

5 - ب: الحقيقة.

قبل اجتماعه به. وها هو الآن معنا، ولم يتمنّ فُرقتنا إلّا إذا فتح الله[ على هذه الأمّة][1]، والله الموفّق.

وأيضا فما حملني على جوابي لكم على ما كاتبتمونا به، وأطلت الكلام في ذلك إلّا للاقتداء بشيخنا، رحمه الله، حين كاتب بعض المدّعين وأطال في الكلام معه، وذلك لّما سمع عنه أنّه قال: سيّدي العربي الدّرقاوي ليس شيخا مربّيا، وإنّما هو رجل صالح ظهر بإطعام الطعام، أو كلام هذا معناه. قال لنا، رحمه الله، حين قرأ علينا تلك الرّسالة: ما حملني على كثرة الكلام مع هذا الرّجل (نهاية ص 35) إلّا بيان ما جهله من حالنا ولِئلّا يتوهّم أنّنا [مْزَاوُدْ][2] له، وإلاّ ففينا قدرة على ترك الكلام معه اكتفاءً بربّنا. ثم قال لنا: إيّاكم أن تتركوا جواب من انتقد عليكم من المدّعين لِئَلّا يتوهّموا فيكم ما قلناه لكم.

وأمّا جوابكم على مكاتبتكم لنا فيما مضى من سوء الكلام فتركناه واكتفينا بربّنا، وحين أكثرتم من الكلام الّذي لا يناسب ما تكلّمنا به معكم، وفهمتم فيه ما لا يخطر لنا ببال، كاتبناكم بهذه الرسالة لِئلّا تحملكم النّفس الأمّارة على معاودة مكاتبتنا بما لا يليق، فيؤدّي ذلك إلى الجدال و[المعاندة][3]،وهو بعيد من طريق أهل الله، لأنّه يؤدّي إلى الرّياسة وهي أعظم المفاسد من المنتسبين إلى علم الباطن فضلا عن غيرهم. وأمّا أنا فوالله لا أعود أكاتبكم على شيء بعد هذا، لأنّ الكلام في علم الطّريقة عند المشايخ المحقّقين إنّما يكون مع ظنّ

1 - ب : عليه، ويبدو أنها الأصوب والأقرب إلى السياق.

2 - مفرده مَزْوَد، لفظة عامية يضرب بها المثل في السذاجة والعَيِّ وقلة الفهم. وفي الأصل المزود هو جلد الماعز يدبغ ويُحضّر لكي يخزّن به السّميد والدّقيق لوقت الحاجة.

3 - تعبير عامي يراد به العناد واللجاج

الإفادة، وإلّا فتركُه أولى. وقد تكلّم العلماء بالله والمشايخ المحقّقون في الرّياسة التّي تحصل لأهل العلم الظّاهر به، وبكثرة العبادة من غير إخلاص وأوضحوها وبيّنوها وذمّوها غاية الذّمّ، وتكلّموا أيضا في الرّياسة الّتي تحصل لمن تعلّم علم الباطن من أهله، ولم يتمكّن من العمل به، ولم يحصل على مقاماته بالذّوق والوجدان، وادّعاء المشيخة على النّاس دون تحقيق كحال كثير من المنتسبين في إكبابهم على قراءة مصنّفات القوم، وأخذهم في دقائق التّوحيد الخاص وعلوم المواجيد، والحقيقة بالفهم مع الخلوّ من العمل والحال، وعدم التّصريح على التّحقّق في مقامات الإنزال، فحُرِموا التّحقيق والعمل، وتعلّقوا بالأماني والأمل، وبقوا في خطّة القصور ودائرة الفتور، وصدق فيهم ما كان يقوله سهل[1] -رضي الله عنه- وهو (نهاية ص 36) قوله: «بعد ثلاثمائة لا يحلّ أن يُتكلَّم بعلمنا هذا، لأنّه يحدث قوم يتصنّعون للخلق، ويتزيّنون بالكلام، لتكون مواجيدهم لباسهم، وحيلتهم كلامهم، ومعبود هم بطونهم»[2]. وفي رواية عنه

1 - أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُّستري(ت283ه)، أحد أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري. أصله من «تستر» أحدى مدن محافظة خوزستان الموجودة حاليًا في إيران. سكن البصرة وعبادان مدة. له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك.

2 - أبو طالب المكي، قوت القلوب، مصدر مذكور، ج1، ص448.

أنّه أوصى عند موته فقال: من كان عنده شيء من كلامنا فليدفنه ولا يظهره فإنّه بعد ثلاثمائة سنة إلى ما فوقها يصير زهد النّاس كلامهم وعبادتهم لباسهم ومعبودهم بطونهم، لا يعبأ الله بأعمالهم. وكيف لا؟ وتلك العلوم والمعارف ليست ممّا يدرك بالدّرس والبحث ومطالعة كتب القوم وحفظها وترتيب ألفاظها والتّشدّق بها، وليس ما يحصل بالفهم بواسطة الألفاظ من صور معانيها المنقوشة في القدرة، وهو ما أشار إليه القوم من علوم الأذواق والكشوف والمشاهدات. إلى آخر كلامه، رضي الله عنه.

وأعلمك أيضا أنّ ما كاتبتك به من أوّله إلى آخره، هو بعض ما منّ الله به علينا من الكشف عن بحر واحديّته. وأمّا ما منّ الله به علينا من الكشف عن بحر أحديّته، وبحر العمى فلم أطق إفشاءه لك ولا لغيرك، لأنّه بحر تطوى فيه الإشارة فضلا عن العبارة، لأنّه كنز مطلسم. ولذا قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حين سأله اليهود لعنهم الله: «أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال لهم: كان في عمًى ليس فوقه هواء، ولا تحته هواء»[1]. يعني لا حقّيّة ولا خلقيّة، أي لا حقّيّة حتّى يدركها أو يجدها المشير إليها بإشارته، ولا خلقيّة حتى يدركها المعبّر عنها بعبارته. وقد قال أئمّة الدّين: العارفون بالله صدور الأحرار قبور الأسرار. إلى غير هذا، والسّلام.

وبعد فإنّي قد سمعت بكم أنّكم حين قرأتم رسالتنا الّتي بعثناها لكم جوابا على ما كاتبتمونا به من سوء الكلام قلتم: (نهاية ص 37)

1 - رواه الترميذي، الجامع الكبير، باب «ومن سورة هود»، ح3109، المجلد الخامس، ص186. الحديث: «أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين قال قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء». وقال عنه: «وهذا حديث حسن».

كيف ينكر علينا التّوجّه إلى السّلطنة وهو أمرنا بالجهاد مع قبائل زواوة[1] ؟! أو كلام هذا معناه. فاعلم -رحمك الله- أنيّ ما كاتبتكم بذلك إلا لتكونوا فيه من جملة عامّة المسلمين فقط، مخلصين في التّوجّه للجهاد في سبيل الله دون توجّه إلى سلطنيّة وظهور بالأمور المخزنيّة، إذ: «الأعمال: صور قائمة، وأرواحها: وجود سرّ الإخلاص فيها»[2]. كما في الحِكَم. فإذا بكم قد ظهرتم بالأمور المخزنيّة والجور العظيم، كقتل النّاس وأخذ أموالهم وهتك أستارهم وغير ذلك، وقد جاءتنا بطاقة من عندكم مطبوعة بالطّابع المخزنيّ الّذي علامة السّلطنة، فلمّا قرأتها اعتراني قبض كبير، نسأل الله السّلامة والعافيّة، حتّى حصل لي اليأس من نصركم على الكفّار، ومِنْ نصر كلّ مَنْ تصدّر للجهاد ومقصودُه الدّنيا، وقد جُرِّب فصحَّ، وشاهدنا ذلك بالعيان وكذلك حين سمعنا أنّ أبا معزى[3] يجاهد بزعمه في سبيل الله، كاتبته وحرّضته على الجهاد ووعدته بالقدوم لملاقاته في تلك النّواحي، وقلت له في مكاتبتي له: إن أردت النّصر على القوم الكافرين فاترك دعوى السّلطنة والظّهور بها وبالأمور المخزنيّة، وكن مخلصا في جهادك لله لا غير. فكاتبني: بأنّه لا يطلب شيئا من ذلك سوى الإخلاص، فإذا به حين اجتمع بمن سبقت له الأمور المخزنيّة وصار يُدِلُّه عليها استحسن ذلك فخذله الله، ووقع به ما وقع. وكذلك أمرت مولاي محمد ومولاي

1 - منطقة القبائل في الجزائر.

2 - الحكمة العاشرة.

3 - يقصد المدعو محمد بن عبد الله الملقب بالشريف بومعزة قائد ثورة الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي (1844- 1847) في زمن الأمير عبد القادر، والذي ادعى أنه المهدي المنتظر، والذي اختلف في شأنه، فقيل إنه فتى مغربي الأصل، وأغلب من تصدى لترجمته يرى أنه من أولاد خويدم وهي قبيلة عربية هلالية يحدها غربا قبيلة أولاد صابر (جنوب جديوية)، وشرقا صبيح وجنوبا عمي موسى والولجة، وشمالا وادي رهيو وسيدي عابد.

إبراهيم[1] وأذنت لهم في الذّهاب إلى بلاد زواوة، وقلت لهم: إيّاكم ثم إيّاكم والتّعلّق بالسّلطنة، وعليكم بالإخلاص في الجهاد ولابدّ، ولابدّ، لعلّ الله ينصركم ويكون في عونكم ويثبّت أقدامكم لقوله تعالى: «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[2]، (**نهاية ص 38**) إلى غير ذلك، وكذلك حين سمعت بقدوم الحاج عبد القادر من المغرب[3] كاتبته وقلت له لا تقصد بجهادك السّلطنة واقصد [بها][4] الإخلاص التّام، وإيّاك والغزو على العرب ومعايرتهم بالكفر[5] وغير ذلك. ونحبّك أن تربّي الإيمان في قلوبهم وإقامة شعائر الإسلام فيهم بملاطفة، وإحسان كما أمر الله نبيّه محمّدا - صلّى الله عليه وسلّم- بقوله: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[6]، وانظر قوله سبحانه في كتابه العزيز: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»[7]، فلم يسمع لنا ولم يردّ جوابا علينا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

1 - لم نتمكّن من التّرجمة لهذين الشّخصين لأنّ المؤلف لم يذكر التّسمية الكاملة لهما من لقب أو وكنية أو اسم شهرة أو أي قرينة ترشدنا إلى التعرف عليهما، والإلمام بحقيقة المهمة التي كلّفا بها في منطقة القبائل عدا ما ذكره المؤلف.

2 - محمّد/ 8

3 - يريد الأمير عبد القادر بن محي الدين، وأما المغرب فيقصد به الغرب الجزائري قياسا إلى إقامة المؤلف بمنطقة الونشريس.

4 - ب: زائدة.

5 - ينظر: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد. دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح. دار الغرب الإسلامي. ط1. 1996. وفيها رد على ما استفتى فيه الأمير علماء فاس بشأن القبائل التي تمردت عليه، والرد الذي تلقاه بشأن تكفيرها، وهو الأمر الذي يبدو أن المؤلف يشير إليه ويرفضه.

6 - النّحل/ 125

7 - آل عمران/ 159

Scanned with OKEN Scanner

فانظر ما وقع به بعد ذلك الهزيمة المُرّة بعد المُرّة، ورجعوا ناكصين على أعقابهم فارّين من الكفّار وأصحابهم ولم تكن لهم نصرة أبدا. وسبب ذلك كلّه عدم إخلاصهم في توجّههم إلى الجهاد. لأنّ الإخلاص هو روح الأعمال كلّها، وما أقبح العكس. وقد تفكّرت فيما مضى حين كنّا مع المجاهدين، وقلت: لأيّ شيء فُقد النّصر في هذا الزّمان، ونحن مسلمون مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والله تعالى يقول: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُومِنِينَ»؟[1]!، وتحيّرت حيرة كبيرة وقلت: هذا كلام، الله، فما العلّة في عدم النّصرة في هذه الأزمنة؟، وإذا بوارد قد ورد عليّ بقوله تعالى: «إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»[2]، فوجدت الظّلم من جهتنا لا غير. ثم لمّا حصلت لي ملاقاة مع السلطان[3] قصصت [عليه][4] ما تحيّرت فيه وما ورد عليّ فسكت عني. فقلت له: الأمر حقّ لا[شيء][5] فيه، وذلك بما رأيت من ظهور النّاس كلّهم بالمناكير والمعاصي، وترك الواجبات، وغير ذلك حتّى كأنّهم استحلّوا ما حرّم الله، والعيّاذ بالله إلّا النادر، والنّادر لا حكم له.

ولتعلم يا أخي أنّ الصّحابة رضي الله عنهم **(نهاية ص 39)** ما نصرهم الله على القوم الكافرين إلّا بالإخلاص التّام وحبّ الموت على الحياة، وقد حُكي عن عليّ -كرّم الله وجهه- أنّه كان لا يضرب

1 - الروم/ 46

2 - الرعد/ 12

3 - ربّما قصد بالسّلطان الأمير عبد القادر، وهو الذي حسب ما تشير إليه الرسائل المتبادلة بينه وبين المؤلف أنه كان يحظى باحترام كبير لديه.(ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، ج4، الجزائر، 2009، ط6، ص197.)

4 - ب: عليهم.

5 - ب: لا شكّ، ونرى أنها الأصوب والأدق.

بسيفه إلّا إذا استحضر الإخلاص لله في ضربه، وكذلك قد حُكي عن بعض الصّحابة أنّه لما سأله بعض التّابعين، وقال له: مالكم أنتم كنتم في قِلّة وتهزمون الجيوش، ونحن [والله][1] في عدد كثير ولم يكن لنا ما كان لكم من النّصرة فقال له: نحن كنّا نحبّ الموت على الحياة، وأنتم تحبّون الحياة على الموت، فلذلك وقع في قلوبكم الرعب أو كما قال.

وأعلمك يا أخي أنّي قد كتبت رسالة طويلة وذكرت فيها الأمور الّتي وقعت من طائفتنا وشاهدناها بالعيان أو سمعناها من أستاذنا رحمه الله. وقد قلت لكم فيما كاتبتكم به في الرّسالة الأولى: لا أعود أكاتبكم، ولكن قد ظهر لي أن أكاتبكم بما هو مستقرٌّ في باطني وسمعته من أستاذي، رحمه الله، وكان سبب ذلك تذكُّر ما سمعت من قولكم: كيف ينكر علينا ما توجّهنا إليه من الجهاد؟، وقد كاتبنا وأمرنا به، فلذلك بيّنت لكم مقصودنا في ذلك في مكاتبتي هذه لكم ومكاتبتنا الّتي نبعثها لكم مع هذه. فإن اعتبرتم وفهمتم المقصود فتبارك الله، ولا يعود نفع ذلك إلّا عليكم، وإن لم تبالوا بذلك وأدبرتم عنه بالقلب والجوارح، واستغنيتم بعلمكم ونظركم ف: «لله الْأَمْرُ مِن قبلُ وَمِن بَعْدُ»[2]، هذا رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- أمرنا بالتّبليغ فقط، فأحرى غيره، فقد قال تعالى له: «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**»[3]، وقال [له][4] أيضا: «**مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**»[5]،

1- ب: الآن، ونرى أنها الأصوب لمناسبتها للسياق.

2- الروم/ 3

3- القصص/ 56

4- ب: زائدة.

5- المائدة/ 101

Scanned with OKEN Scanner

وقال[لـه](1) أيضـا: «لَعَلَّـكَ بَاخِـعٌ نَّفْسَـكَ أَلاَّ يَكُونُـوا مُومِنِينَ»(2)، وقال[لـه](3) أيضـا: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّـكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِـمَا يَقُولُونَ»(4)، إلى غير ذلـك ممّـا ورد مـن الآي في حقّه - صـلّى الله عليه وسـلّم- وقد كان ذلـك تربيـة لـه مـن الله (نهايـة ص 40) عـزّ و جـل، بـلا واسـطة لقوله -صـلّى الله عليه وسـلّم-: «أدّبنـي ربّي فأحسـن أدبي»(5)، لأنّ الحقّ تعالى تـولّى تربيّتـه، صلّى الله عليه وسـلّم، [بنفسـه لشرفـه وعلـو مرتبته، صلى الله عليـه وسـلم](6).

وأمّا سـؤالي منكـم أن تبعثوا لي بغلتـين مملؤتين بالزّيـت والزّبيب فما هـو إلا [استخبارٌ](7) لكـم في أمـر الدّنيـا، هل هـي سـاكنة في قلوبكم، أم هـي في أيديكـم؟ لأنّي رأيتكم متلبّسـين بها غايةً، حتّى عدتم تلبسـون لبـاس الملـوك، وتملكـون مـا ملكـوه مـن الحوائـج المثمّنـة وغـير ذلك، حتّـى أدّاكـم ذلـك إلى الطّمـع في المملكـة مـع وجـود كلامكـم في علم القـوم دائـما، وادّعائكم الوصـول إلى الله.

فهـذا هـو الّـذي حملنـي عـلى ذلـك، وحملنـي عليـه أيضـا، وصيّة

---

1 - ب :زائدة.

2 - الشعراء/ 2

3 - ب: زائدة.

4 - الحجر/ 97

5 - إسـناده ضعيـف وقـال السـخاوي: ضعيـف وإن اقتصـر شـيخنا يعنـي ابـن حجـر عـلى الحكـم عليـه بالغرابـة في بعـض فتاويـه وقـال ابـن تيميـة: لا يُعـرَف لـه سـند ثابت.(المناوي، فيـض القديـر في شرح الجامـع الصغـير، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1994، ج1، ص291).

6 - ب : زائدة

7 - في المتن (أ وب): استخبارا.

شيخنا قطب الدّائرة مولاي العربي بن أحمد، رحمه الله، حيث قال: إذ رأيتم من يدّعي الخصوصيّة فاختبروه في الدّنيا وحكّوا له في الدّبْرة. فإن كان صادقا فلا يضرّه ذلك، وإن كان كاذبا فبنفس [ما تَحُكّ له في الدّبرة يزعرط][1]، فهذا لفظه رضي الله عنه.

وحملني عليه أيضا حكاية بعض العارفين، وذلك أنّه بعث لبعض المدّعين المشيخة، وقد ملك بذلك دنيا عريضة، فقال له: ابعث لنا شيئا من دنياك. فقال له المدّعي: اسأل دنياك من مولاك. فقال له العارف: دنياي حقيرة وأنت حقير، فسألت الحقير من الحقير، ومولاي عزيز فلا أسأل [من مولاي][2] سوى مولاي. انظر هؤلاء كيف حالهم ومقامهم -رضي الله عنهم- في التّلوين بجميع الأحوال والمقامات مع وجود تمكينهم في ذلك، [حتّى][3] لا يعجبهم جمعهم عن فرقهم ولا فرقهم عن جمعهم. وهكذا كما قال الشّيخ مولاي عليّ الجمل في كتابه حين تكلّم على وصف صاحب التّلوين في التّمكين، والتّمكين في التّلوين، قال بعد كلام صاحب هذه المرتبة العظمى: تجده شَفْعُه منطوٍ في وِتْره ووتره منطوٍ في شفعه، **(نهاية ص 41)** وهو هو، وشريعته منطويّة في حقيقته، وحقيقته منطويّة في شريعته، وهو هو وعلويّاته

1 - تعبير عامي يراد به تشبيه الإنسان في بعض سلوكياته بالحيوان، وبالأخص الحمار حينما يولي مدبرا، وقد رفع قائمتيه الخلفيتين مبديا حالة استعداد للفرار أو الصك، وخاصة عندما يحك دبره بشيء يزعجه. لمزيد من التفصيل ينظر: مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، المتوفى(1239ه)، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1420ه/ 1999م، ص114.

2 - ب: زائدة.

3 - ب: زائدة.

منطويّة في سفلياته والعكس، وهو هو. إلى أن قال وعزّه منطوٍ في ذلّه والعكس، وهو هو وغناه منطوٍ في فقره والعكس، وهو هو، فهذه بعض أوصافه. وصاحب هذه الحالة الخلْقُ كلّهم محجوبون عنه، إلّا أهل الزّهد في النَّفسِ والفِلسِ[1]. إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

واعلم أنّ جلّ مشايخ الطّريق لا يختبرون أصحابهم وغيرهم إلّا بالدّنيا، لأنّها أعظم المصائب على جميع عباد الله لا سيما المُدّعون، وهي أعظم في خراب بواطن المتوجّهين إلى الله من موارد الأنوار والأسرار والعلوم اللّدنيّة، والمعاني الرّبّانيّة، حتّى ترى بواطنهم منها خرابا مع وجود قلقلة اللّسان بذلك، ولذلك قال الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم: «حبّ الدّنيا رأس كل خطيئة وبليّة»[2] وقال أيضا: «حبّ الدّنيا كاد أن يكون كفرا»[3] الى غير ذلك، ولهذا قال أستاذنا -رحمه الله- في بعض كلامه: الدّنيا سلبت الرّجال فما بالك بالعيال ... الخ[4]. وقال قطب الدّائرة شيخ شيخنا مولاي علي الجمل رحمه الله: «اعلم أنّ فضيحة عورة العامي هي كشف سوءة بدنه من الثّياب وفضيحة عورة الفقير كشف سوءة قلبه بمجالسة أهل الدّنيا والبخل بها. الفقير

1 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، ويسمى أيضا اليواقيت الحسان في تصريف معاني الإنسان، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1426ه/ 2005م، ص155.

2 - رواه البيهقي في مراسيل الحسن البصري، ورواه أبو نعيم من قول عيسى، وقيل من كلام مالك بن دينار، وجزم السيوطي بوضعه، وقال الدراقطني بوضعه(محمد بن درويش الحوت، الأحاديث: المشكلة في الرتبة، تعليق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403ه/ 1983م، ص131)

3 - لم نقف له على إسناد.

4 - ينظر: مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، الرسائل، ص95( الرسالة السابعة عشرة: روى العبارة منسوبة إلى شيخه مولاي علي الجمل).

وإن زنى وإن سرق لا تسقط مروءته ولا تكشف سوءته، ولا يسقط مروءته شيء مثل البخل بالدّنيا، أو مزاحمته لكلابها بالتّناهش عليها، وكلاب الدّنيا هم أبناؤها وأحبّاؤها، وما حَالَ بين الفقير وبين مولاه إلّا الدّنيا الفانيّة. لأنّ الخوض في الفاني يحجبك عن الباقي، والفاني هو نفسك والوجود، والباقي هو اسم مولاك وذاته وصفاته، والجاه والمروءة من قبيل النّفس وهما دنيا، والخلق والفلس (نهاية ص 42) من قبيل الوجود وهما دنيا، والدّنيا ظلمة والحقّ نور، والنّور لا يجتمع مع الظّلمة في القلب أبدا. إذ مهما امتلأ القلب بالنّور يفيض على الجوارح كلّها كما قيل، كماء فيك خرج على فيك، ولا تنطق الأواني إلّا بما سكن»[1]. انتهى كلامه رضي الله عنه. وقد قال أستاذنا رحمه الله: أقبح من كلّ قبيح صوفي شحيح. إلى غير ذلك من كلام أكابر أهل الله -رضي الله عنهم- في سبّ الدّنيا، والسّلام.

## [الدّرقاوية والسّلطة الحسّيّة:]

واعلموا -رحمكم الله- أنّه ما حملني على تقييد ما سأذكره من الأمور الّتي وقعت وشاهدناها بالعيان، وسمعناها من أستاذنا رحمه الله، حتّى انتقش ذلك الأمر في قلوبنا إلّا من رأيناه من بعض طائفتنا المنوّرة يطلب السّلطنة ويتمناها بقلبه. فإنّي أكره ذلك[غاية][2] منه كيف ما كان، لأنّي شاهدته من أستاذي رحمه الله، وذلك لا يرضى لنا إلّا الهمّة العاليّة عن الدّنيا وأهلها، بل حتّى نعيم الجنان، وقد

1 - ينظر: مولاي علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص167. (أدخل المؤلف تعديلات كثيرة على النص المقتبس، بحيث حافظ على معناه دون حرفيته، مع أن الظاهر يقول إنه نقله تم كما في الأصل).

2 - ب: زائدة.

كان يقول: والله لا أرضى بملوك الدنيا كلّهم يحملون لي [سَبَّاطي][1] .. الخ، اللهمّ إلّا إذا كان النّظر الّذي سمعناه منه مرارا المقصود من علوّ الهمّة والاكتفاء بالله في السّرّ فقط، وأمّا في العلانيّة فلا فحسن [بيان][2]، وقد كان -رضي الله عنه- يحذّرنا من طلب الدّنيا والتّوجّه إليها بالقلب والجوارح لا سيّما الرّياسة الحسّيّة، كطلب السّلطنة أو المشيخة دون تحقيق ولو حصل التّحقيق، اللهمّ إلّا إذا كان الأمر محتّما على العبد بالقهر والغلبة كالتّهديد من الله بالسّلب فالطّاعة واجبة على العبد في ذلك، كما وقع لكثير من أوليّاء الله في توجُّههم إلى التّربيّة. وقد كان أستاذنا كثيرا ما يحذّرنا من ذلك، ويذكر لنا الحديث الّذي روي في شأن عبد الرّحمن بن سمرة[3] رضي الله عنه، ويقول لنا: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال له: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ لَا تَطْلُبْ الإِمَارَةَ، (نهاية ص 43) فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ»[4]. ثمّ بعد ذلك يخبرنا، ويقصّ علينا ما وقع له مع تلميذه، سيّدي محمّد بن أبي زيد،[5] رضي الله عنه، في ابتداء أمره، وذلك أنّه قال لنا،

1 - تعبير عامي ويراد به: حذائي أو نعلي.

2 - ب: زائدة.

3 - عبد الرحمن بن سمرة هو ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو سعيد القرشي العبشمي الأمير. صحابي أسلم يوم الفتح، وكان أحد الأشراف. نزل البصرة، وغزا سجستان أميرا على الجيش. هو الذي قال له رسول الله: يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة. مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل توفي سنة إحدى وخمسين.

4 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب طلب الإمارة والحرص عليها، ح1652، ص884.

5 محمد بن أحمد البوزيدي الحنفي الغماري الحسني (ت1229)، ولد بقبيلة بني سلمان الغمارية في بيت عبادة وصلاح، دفن بزاويته بقبيلة بني زيات

رضي الله عنه، لما عرفنا سيّدي محمّد أبو زيد، وشغّل مصباحه منّا آذنته في إعطاء الذّكر للنّاس، وتذكيرهم وصدّرته للمشيخة، وأقبل عليه خلق كثير وأخذوا عنه الورد وعاد يذكّرهم الله، فأتته الخلائق أفواجا، أفواجا بالزّيارة الكثيرة، ثم صار يأتي للشّيخ مولاي العربي في نحو المائة بالطّبول والغوايط[1]، فتروّع أهل المغرب من قوّة الخلق، ووقع في قلوبهم شيء، وكذلك وقع في قلب سيّدي محمّد أيضا خاطر السّلطنة، واستحسنها بأن ظهر له أنّ الدّين ضعيف، وقد أفسده الأمراء الجائرون وقال: لا يصلح بنا السّكوت عنه. فصار يشير بذلك إلى الشّيخ ويتكلّم به مع أصحابه، ففهمه الشّيخ رحمه الله، فحذّره من ذلك غاية الحذر. ويقول له: إيّاك ثمّ إيّاك أن تحوم حول الدّنيا، فإنّها سلبت الرّجال فما بالك بالعيال. ثمّ يقول له: اترك هذا الخاطر الّذي يدلّك على ذلك لِئلّا تتوهّمه واردا ربّانيّا، لا والله، ما هو إلّا خاطر نفساني يريد لك الخديعة بالتّوسّط للدّنيا بالدّين، إيّاك ثمّ إيّاك أن تترك النّاس يجتمعون عليك بالقوّة، وتذهب إلى بلدة أخرى، وتأتينا بهم في تلك القوّة لأنّ المُلك عقيم، وأهله غيّارون لا يقبلون من يزاحمهم فيه، ولو كان ولدهم أو أخاهم أو غير ذلك، فاحرى الأجنبيّ، ونحن بين أظهرهم وشياطين الإنس كثير، كما قال تعالى: «شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ»[2]. فلم يسمع له

---

الغمارية، على هضبة بساحل البحر المتوسط، وقبره معروف يزار، كل تآليفه عن طريق الإملاء لأنه كان أمّيا (موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص2491)، أخذ عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، وشيخ أحمد بن عجيبة. من مؤلفاته الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية.

1- كلمة عامية، مفردها غايطة، وهي آلة موسيقية تقليدية شائعة الاستعمال في كافة مناطق المغرب العربي، عربا وأمازيغ، وهي من الآلات التي تعتمد النفخ.

2 - الانعام/ 113.

Scanned with OKEN Scanner

حتىّ ظهرت فيه من الشّيخ، رحمه الله تصرّفات ملوّنة تارة بالمرض وتارة بغيره.(نهاية ص 44) وقد حُكي لنا أنّ سيّدي محمّد المذكور استأذن الشّيخ، رحمه الله مرّة في السّياحة إلى القَبلة فأذن له في ذلك، وقال له بشرط ألّا تزيد فوق اثني عشر فقيرا، وعليك بالمسكنة والاشتغال بالذّكر صباحا مساء، وإيّاك والفضول، فذهب من عنده بهذا القصد لا غير، فإذا به كاتب الإخوان بكلّ بلدة، ووعدهم إلى نواحي البلدة الّتي هي مقصوده، ولم يُعلم الشّيخ بذلك، حتّى قدم بعض الفقراء من تلك النّواحي الّتي بلغها سيّدي محمّد، فسأله الشّيخ عنه فأخبره أنّه قدم من عنده، وترك معه من الإخوان ما يزيدون على المائة فتغيّر الشّيخ ورفع عصاه بيده في الهواء وأومأ بها إلى ناحية الشّيخ سيّدي محمّد، ثمّ قال: أين أضربه؟ فعاد الفقراء الحاضرون يشفعون له برسول الله،صلّى الله عليه وسلّم، فسكن حال الشّيخ، ولكن حين رفع يده بالعصا سقط سيّدي محمّد في الحين كأنّه ميّت فحمله الفقراء في المحمل ورجعوا به إلى الشّيخ، وهو على حال الموت سوى النَّفس يخرج منه فبقي على ذلك مدّة تزيد على السّنة، والله أعلم. وحين شافاه الله بقي اعوجاج في فيه حتىّ لقي الله.

ومرّة أخرى ذهب أصحابه إلى مكناس، واشتروا له فرسا ذكرا من خيل الملوك وأقاموه من سرج وسلاح وغير ذلك ممّا لا يقيمه النّاس إلّا للملوك وقدموا به على فاس حتّى وصلوا به إلى الشّيخ رحمه الله، فلما رآه، قال لهم ما هذا ؟ فقالوا له جئنا به لسيّدي محمّد البُزيدي، فقال لهم من أين أقمتم هذا ؟، فقالوا من مكناس. فقال ومن أين كان طريقكم حتىّ وصلتم إلينا؟ فذكروا له الطّريق الّتي جاءوا معها، فنهرهم وزجرهم. فقالوا له: (نهاية ص 45) يا سيّدي أنت ما تسمع إلّا للفقراء في سيّدي محمد، وتأخذ رأيهم فيه. فتغيّر الشّيخ وانقبض، فأصبح الفرس ميّتا ووقع بأولئك الفقراء ما وقع.

Scanned with OKEN Scanner

ومرّة أخرى قدم إليه سيّدي محمّد في خلق كثير، فقال له لا تعد تأتينا في أكثر من خمسة من النّاس فلم يسمع له، فقال له إن لم تمتثل أمرنا يفترق عنك جميع النّاس، حتّى تعود تأتينا وحدك فوقع لسيّدي محمّد كما قال الشّيخ رحمه الله. حتّى شاهدنا ذلك بالعيان وذلك أنّه وقع وباء عظيم في المغرب[1] حتّى لم يترك إلاّ القليل من النّاس لا سيما أصحاب سيّدي محمّد رحمه الله، فصار يركب على بغلته ويأتي وحده سوى فقير يأتي معه، فترى بعد هذا بالقهر والغلبة من الشّيخ رحمه الله. وكان الشّيخ يقول لنا المرّة بعد المرّة، قد ارتحت من سيّدي محمّد والحمد الله. فانظر يا أخي كيف كان المشايخ يربّون أصحابهم ولو بلغوا ما بلغوا.

وقد كان أستاذنا يتذاكر مع سيّدي محمّد ذات يوم وإذا به اعترته قوّة بين يدي الشّيخ، فقال: أنا لم يبق لي حاجة عند أحد، فبينما هو كذلك إذا بجرو صغير اجتاز عليهم. فقال له الشّيخ رحمه الله، والله يا أخي إلّا حاجتك باقية عند هذا الجرو. فانقهر سيّدي محمّد قهر كبيرا. ومع هذا فقد شهد له بالفردانيّة مرارا بأن يقول لنا: إنْ كانت عندي بصيرة فسيّدي محمّد هو الفرد والفرد أكبر من القطب في العلم بالله، وقد قال ابن العربي الحاتمي[2] رضي الله عنه، وقد تذاكر معه الفقراء في ذلك كثيرا، إذ لم يقبلوا كلام ابن العربي، وقالوا: كيف يكون ذلك يا سيّدي والقطبانيّة الكبرى هي أعلى المقامات ولا يرثها

---

1 - كان ذلك في سنة 1235ه/ 1818 إذ حلّ بالمغرب وباء الطاعون ومات فيه خلق كثير (موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص2508).

2 - محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (558 ه الموافق 1164م- 638ه الموافق 1240م)، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية «بالشيخ الأكبر»، ولذا تنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. دفن في سفح جبل قاسيون بدمشق. واشتهر عند متصوفة المغرب العربي بابن العربي الحاتمي.

Scanned with OKEN Scanner

إلّا من بلغ الكمال التّام إلى غير ذلك. فقال لهم: وإن كان (نهاية ص46) ذلك، ولكنّ الفرد أكبر منه في العلم بالله، ثمّ بالغ في ذلك حتّى قال: القطب ما تولّى القطبانيّة إلّا لضيقه، إلى آخر كلامه. فقالوا له: يا سيّدي نرى الّذي نعتقد فيه القطبانيّة الكبرى أوسع خُلقًا من الّذي شُهد له بالفردانيّة، فقال لهم: هذه الحالة ليست من باب الخُلق الحسيّة الواسعة، وقد يظهر ذلك على من كان من عوامّ النّاس، ولم يبلغ مرتبة واحدة من مراتب الرّجال فسكتوا، ولم يردّوا عليه جوابا، وغير ذلك كثير. والله الموفّق.

ومع هذا قلنا له مرّة: إنّ سيّدي محمّد قال لنا: أصحابي مجتهدون في سلوك الطّريق على أصحاب الشّيخ مولاي العربي، فقال [لنا][1] الشّيخ: نعم لكن نرى بعض النّاس هم مجتهدون مع حرمتهم يشدّون فيها وهي تنصرم، وبعض النّاس طالقون منها وهي تشتدّ، اه.

وصدق رضي الله عنه، والله لقد شهدنا ذلك بالعيان، أي شاهدنا لأصحاب الشّيخ رحمه الله في كلّ وقت يعتريهم سكر عظيم حتّى ينطقوا بالأنانيّة، كما نطق بها الحلّاج وغيره من أكابر أهل الله. وأمّا غير أصحابه فلم أر لهم شيئا من ذلك، مع وجود تشديدهم في المجاهدة والتّربيّة، وقد انقطع أمرهم، وامتدّ أمر شيخنا حتّى تُوفّي [تركه][2] موجودا في أصحابه الّذين كانوا على الانحلال وعدم التّشديد في حياته. والله الموفّق.

وقد سحت مرّة ناحية تِطَّاوُن[3]، والله أعلم، وحين رجعت وجدت الشّيخ جالسا يتذاكر مع الفقراء. فلمّا رآني قال لهم: ها هو

---

1 - ب: زائدة

2 - ب: تركوه، ولكن الأصوب ما في أ لأنه يتوافق مع السياق.

3 - تطّاون أو تطوان: المدينة المغربية التي تقع على ساحل المتوسط تقع بين مرتفعات جبل درسة وسلسلة جبال الريف.

Scanned with OKEN Scanner

فلان رجع من سياحته، ثمّ قال لهم: انظروا كيف هو يتختّل [1] ويحتال حتّى يقبض صاحبه، مع وجود الانحلال، ثم ضحكة ضحكة كبيرة، رضي الله عنه، إلى غير ذلك. ومع ذلك كان يقول لنا قد تركتكم شيوخ أهلِ وقتكم إن سمعتم لنا، ولا أترك لكم عورة (نهاية ص 47) ولا غشيمة، وإذا تركت لكم ذلك فالله يعوّرني، ثم بعد ذلك عرفه ابن الشّريف وابن الأحرش [2]، وبنفس ما عرفوه أشعلوا مصابيحهم منه، لا سيّما سيّدي عبد القادر بن الشّريف فقد شاهدنا كلّ من لقيه من اللّصوص الّذين كانوا يقطعون الطّريق يجذب من حينه. فشاع خبره من ناحيّة تلمسان إلى ناحيّة تونس، وعرفه كثير من النّاس، وعمّر زوايا كثيرة وعاد يذهب إلى زيارة الشيخ في نحو مائة أو أكثر، فكره الشّيخ رحمه الله ذلك منه، فصار يتذاكر معه في الخمول، ويقول له: الخمول نعمة والنّفس تأباه والظّهور نقمة والنّفس ترضاه. ولم يمتثل أمره حتّى وقع في الطّائفة أمر عظيم من القتل والسّبيّ وغير ذلك، وقد حكم عليهم المنكرون بالباغيّة والزّندقة، وغير ذلك. ولا حول ولا قوّة إلا بالله، «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن». قد كان سبب ذلك غلبة الطّبع لأنّه كان مغلوب الطبع لأصحابه، حتىّ لا يقدر أن يكون على غير نظرهم، ولا زال الشّيخ -رحمه الله- يحذّره من ذلك، وقد كاتبه برسائل كثيرة ولم ينتهوا عن ذلك، ويرجعوا إلى نظر الشّيخ

---

1 - تعبير عامي يراد به: يناور في مشيته.

2 - محمد بن عبد الله بن الأحرش: درعي النسب، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، زعم انه من شرفاء فاس. كان بليغ الأسلوب في الحديث، فصيح اللسان في خطابة الناس، قاد ثورة في فترة حكم عثمان باي (1803 - 1804) حاكم بايلك الشرق بالجزائر، وقد اندلعت هذه الثورة من المنطقة الشرقية للبايلك(جيجل والقل وميلة)، فراح ضحيتها الكثيرون وعلى رأسهم الباي عثمان، التحق بابن الشريف الدرقاوي الذي أعلن الثورة ضد الاتراك بالغرب الجزائري. اختلفت الروايات في شأن مقتله.

رحمه الله حتّى وقع بهم ما وقع، وقد شاهدنا ذلك كلّه عيانا. فهذا الّذي حملني على كراهة ذلك، وقد تكلّمت أيضا فيما مضى مع السّيّد محمّد بن إبراهيم[1] حين صدر منه ما صدر، وقلت له: ما بالكم يا سيّدي محمّد قد حصل منكم القلق والعجلة على السّلطنة، ونحن قد أراحنا الله في هذه السّاعة من المخزن وأهله وصرنا نجتمع مع بعضنا على حلقة الذّكر والمذاكرة، ونجهر بالهيللة بالأسواق والمدن والمداشر والحمد لله. فإذا بكم أردتم إحياء الفتن الّتي كانت بين الطّائفة والمخزن والمنكرين من أهل الزّوايا وغيرهم، (نهاية ص 48) فلا يصلح بكم هذا الأمر فاتركوه، ولابدّ واصبروا واشتغلوا بذكر ربّكم ونزّهوا هممكم عن الدّنيا وأهلها، كما كان شأن أهل الله قديما وحادثا وإن سبق شيء من ذلك في أزله فهو لاحق لا محالة. فبنفس ما سمع منّا هذه المقالة، قال لنا: قد سبق ذلك في الأزل، فسكتّ عنه وقمت وتركته، فلم يكن له شيء من ذلك.

وحين وقع الخوض بين الحاج عبد القادر وأبناء عمّه[2] بعثوا لي أنّ الحاج عبد القادر أراد إذايتنا وقتلنا. و ها هي العسّة علينا صباحا ومساء، فدبّر علينا، فتغافلت عنهم. فلمّا اشتدّ بهم الأمر قلت لهم: السّيد عبد القادر بوطالب[3] قد سمعت أنّ فيه دْينا كثيرا فليذهب

---

1 - زعيم من زعماء الدرقاوية الروحيين بالمنطقة الغربية بالجزائر (منطقة أولاد العبد بسيدي بلعباس)، اغتيل في ظروف غامضة سنة 1840.

2 - هم أبناء علي بوطالب عم الأمير عبد القادر: عبد القادر، وأحمد، والميلود، الذين كان الأمير يتوجس منهم خيفة، على الرغم من كون الثاني كان كاتب الأمير (خوجة)، ثم قائدا على فليتة، وكذلك تولى الثالث قيادة القبيلة المذكورة، ويبدو أن الخلاف قد خرج إلى العلن، وهو ما أشار إليه المؤلف.

3 عبد القادر بن علي بوطالب أكبر أبناء عم الأمير كان في الأربعينيات من عمره في الفترة التي يتحدث عنها المؤلف، كان درقاويا على خلاف الأمير الذي كان قادريا (نرجح أن هذا أحد أسباب الخلاف وليست كلها)، عرف بارتياده الكثير لمنطقة الونشريس (مقر إقامة المؤلف) حيث كانت تقام حلقات

إلى ناحيّة الأحرار[1] ليسعى في خلاص دينه، ولِتُطفأ نار الفتن بينه وبين ابن عمّه. فلمّا ذهب إلى الأحرار تبعه النّاس بقصد القيام على ابن عمه، واجتمعوا عليه، فلمّا سمعت ذلك كاتبته بأن يتلقّاني في بني مايدة[2]، فقدم فلقيته فلما اجتمعت به، وبمن معه بعثت إليهم ليلا في خلوة، ثم قلت لهم: ما الّذي حملكم على هذا، هل وجدتم شيئا من كلام الأئمّة يوافقه أو هو وارد ربّانيّ عن كشف وعيان أو إخبار من الرسول صلّى الله عليه وسلّم مشاهدة بالعيان، أو أردتم معايرة النّاس لنا بالبغيّة والزّندقة كما مضى، فاخْبروا بما في قلوبكم. فحاروا ورجعوا القهقرى، ولم يكن لهم جواب. فلمّا رأيت عليهم أثر الحيرة والقبض. قلت لهم: اذهبوا وغدا يكون خيرا إن شاء الله. فبينما نحن كذلك وإذا بخبر السّيد موسى[3] قدِم بقصد الجهاد، فلمّا سمعنا به

---

الذكر الدرقاوية، مثقف، شجاع، له تأثير على قبائل الحشم، دائم الخلاف مع الأمير. (لمزيد من الاطلاع حول عائلة الأمير عبد القادر ينظر:
Correspodance du capitaine Daumas, consul à Mascara « 1837 - 1839 », Ed Adolphe Jourdan, Alger,1912

ويبدو أن المؤلف يشير إلى حادثة خروج عبد القادر بوطالب وإخوته عن الأمير ويذكر ملابساتها، وموقفه الرافض الانغماس فيها رغم أن أتباع طريقته منغمسون فيها.

1 - قبيلة هلالية، يمتد إقليمها من توسنينة (ولاية تيارت) غرب السوقر إلى مدريسة، منهم طائفة أشراف تعرف بأولاد زيان، والأحرار كانوا من كبار مساندي عبد القادر بن الشريف الدرقاوي في ثورته ضد الأتراك في الفترة الممتدة من 1800 إلى 1813.

2 - قرية تتبع إداريا ولاية تيسمسيلت، تبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 3كلم، التسمية الاستعمارية: لاصاص.

3 - يقصد الحاج موسى الدرقاوي المدعو موسى بوحمار، درقاوي مصري، من أتباع الشيخ محمد المدني مؤسس الطريقة المدنية الدرقاوية بطرابلس الغرب، دخل الجزائر، وزار المؤلف بنصيحة من شيخه رفيق المؤلف في التتلمذ على مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، أعلن الجهاد ضد الفرنسيين، دخل في

Scanned with OKEN Scanner

اتّفق رأينا على أن نكاتبه بأن يتلقّانا لنتكلّم معه، كما تكلّمنا مع أهل محبّتنا في عدم موافقتهم على ذلك، فلمّا بلغه كتابنا أجابنا: أن لا ملاقاة بيني وبينكم، اذهبوا ( **نهاية ص 49**) أنتم ناحية وهران للجهاد، ونحن نذهب إلى ناحية الجزائر، فلمّا قرأتها، قلت للإخوان: لا أرى لي مخالطة ولا ملاقاة لا معكم ولا معهم. وإن ساعدني القدر نذهب إلى بلدة لا نسمع فيها بخبر من يريد السّلطنة من أهل طريقتنا حتّى يفرّج الله عنا. فبعثت إلى أهلنا يأتون من جبل الونشريس إلى ناحية أولاد عيّاد[1]. فلمّا قدم أهلنا ذهبت إليهم وتركت ملاقاة النّاس كلّهم وتمنّيت الرّحيل إلى الصّحراء. فقدم إلينا أهل الجبل بدوابّهم يبكون، ويتضرّعون فرجعت معهم وحين لم يصبر الإخوان على البقاء معنا سرّحتهم إلى بلاد بني اوراغ[2]. فلمّا سمع بهم الحاج عبد القادر اتّفق مع بعض النّاس على أن يقبضوهم له فسمعوا، فجاءوا إلينا هاربين. حين لقيتهم قلت لهم: هل تبتم من مقصودكم ؟ وسُلبتم الإرادة إلينا أم أنتم مقيمون على ذلك؟. فقالوا: نحن تائبون لله فبقوا معنا نحو عشرة أيّام، وإذا بأصحاب السّيّد موسى قد أتونا ببطاقة من عنده يطلب منّا القدوم إليه لا بدّ ولا بدّ. فقلت للإخوان ما تقولون في هذا الأمر؟، فقالوا لي: هؤلاء من طائفتنا والرّجل قادم إليهم في جيوش

---

معارك ضد الأمير عبد القادر، فهزمه هزيمة نكراء بمنطقة المدية، استشهد في ثورة الزعاطشة سنة 1849.

1 -أولاد عياد بطن من قبيلة أولاد عمار، يقع إلى الجنوب الغربي من ثنية الحد، ويبعد عنها بحوالي 44 كلم، على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبل أورجين. تتبع حاليا ولاية تيسمسيلت.

2 - بني وراغ قبيلة أمازيغية الأصل، تتخذ من جبال الونشريس محلا لإقامتها، وتنقسم إلى ثمانية فروع تتوزع على ثلاث ولايات: غليزان، تسمسيلت، تيارت. تعرف بالعروش وهي: اولاد العباس، ماريوة، أولاد بويكني، اولاد موجار، أولاد علي، أولاد دفلتن، العجامة، أولاد أزمر.

كثيرة، والعرب فاسدون، والسّيّد موسى وأصحابه في غشيمة كبيرة، وخفنا أن يقع بهم ما وقع بابن الشّريف فنحبّك أن تساعدنا على القدوم إليهم، لنأمرهم أن يذهبوا إلى بلاد القبائل ولا يقاتلونه، فإن ساعدونا فتبارك الله، وإلّا تركناهم، فلمّا قالوا لي ذلك، قلت في نفسي: هذا رأي حسن. فوافقتهم على القدوم، فلمّا وقع به ما وقع رجعنا من الطّريق. فهذا الّذي وقع من أوّله إلى آخره. والسّلام.

وقد كان سبب دخول شيخنا مولاي العربي السّجن الفقراء الّذين تعلّقت همّتهم بالدّنيا وصاروا ينتظرونها ليلا نهارا، **(نهاية ص 50)** وقد كنت عنده في السجن نحو خمسة أيام، وإذا برجل من الْوَدَايَة[1] كان في بعض الأسواق فسمع بعض أصحاب الشيخ [يُبَرِّح][2] ويقول: إن الشّيخ مولاي العربي أمركم بنصرة مولاي سعيد[3]. فلمّا

1 - قصبة الأوداية، أو قصبة لوداية هي قصبة تاريخية، وحي سكني وموقع سياحي في الرباط بالمغرب، على الضفة الجنوبية لنهر بورقراق. كما أن الوداية إحدى بطون اتحادية قبائل مكناسة القديمة، وبعد أن داخلتها فروع أخرى انقسمت الى ثلاثة أقسام منتشرة في المغرب وهي: -1 فرقة في حوز مدينتي فاس ومكناس، -2 فرقة في حوز مدينة الرباط، -3 فرقة في حوز مدينة مراكش. وقد اتخذ السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبدالرحمن من الوداية حرسا ملكيا خاصا، حتى عرفوا لدى العامة باسم (مخازنية السلطان).

2 - تعبير عامي، يراد به رفع الصوت بالنداء للإعلان عن أمر ما، وهي عادة ما زالت سائدة إلى يوم الناس هذا، وخاصة في المناطق الريفية، وقد أدخلت على هذه المهنة بعض التحسينات كالاستعانة بمكبرات الصوت الكهربائية، ويعرف صاحب هذه المهنة ب«البرّاح». ونرجح أن مراد الكاتب هو الفرقة المقيمة في حوز مدينتي ومكناس.

3 - هو سعيد بن اليزيد العلوي بن محمد بن عبد الله ابن أخ السلطان سليمان، وأخ إبراهيم بن اليزيد، بايعته طائفة من أهل فاس بعد وفاة أخيه إبراهيم سنة 1236ه، وقد كانت تؤازره قبائل الوداية، تمكن منه عمه وعفا عنه(موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص2510-2511).

Scanned with OKEN Scanner

قدم الرجل أخبر أهله بذلك، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، ثمّ سرّحني الشيخ فدخلت فاس البالي، فوجدت جمعا كثيرا من الفقراء في الزّاوية فعادوا يتكلّمون في أمر الإمام المهديّ، فقال بعضهم: الشّيخ مولاي العربي هو الإمام المهديّ واستدلّ على ذلك بقول الشّيخ المجذوب رحمه الله: النّاس يقولون صاحب الحقّ يأتي من سوس[1]، وأنا أقول بين السّواري معسوس[2]. فلمّا سمعت كلامهم قلت لهم: ألم تعلموا أنّ الشّيخ لا يقوم من موضعه إلّا إذا قوّمْناه؟!، أيرجع من حال الهرم والكبر إلى حال الصّغر حتّى يكون له ذلك ؟! قالوا: نعم، ولا غرابة، فقلت لهم: أنا لا علم لي، إلى غير ذلك. فإذا بالشّيخ قد توفي رحمه الله، ولم يكن شيء مما ظنّوه فيه.

وكذلك كان أصحاب سيّدي عبد القادر بن الشّريف يظنّون أنّه هو الإمام المهديّ ولا وارث للشّيخ في الولاية والتّربيّة سواه، حتّى كانوا لا يعبؤون بالشّيخ مولاي العربي، وقد سمعت منهم ذلك، ورأيته بالعيان وذلك حين قدم إليه الشيخ بوهْران ونحن معه، فلمّا وصلنا إلى سيّدي عبد القادر وجدناه على هيئة الملوك، ووجدنا أصحابه الّذين كانوا على الخراب لابسين [الْمُلْف][3] على هيئة المخزن

1 - بلاد سوس : أطلق هذا الاسم قديما على سهل سوس الحالي وهي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب، تحده سلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الأمازيغ الشلوح، ثمتل ربع مساحة المغرب. تشتهر بتواجد غابات الأركان النادر، كما تشتهر أيضا بالفلاحة حيث إنها من أكثر المناطق المسقية. وتتكون من عدة أقاليم ومدن أشهرها: أكادير عاصمة سوس، تارودانت، تزنيت، إنزكان، أيت ملول.

2 - السواري: جمع سارية، الأعمدة التي يرتفع عليها البناء كما في المساجد والقصور، ومعسوس: بمعنى محروس ومحمي.

3 - نوع من القماش الفاخر، والمعروف بالكاشمير (Cashmeer) عند الغربيين،

لا يعبؤون بالشّيخ فضلا عنّا. فرأيت الشّيخ رحمه الله يمشي ويحيّ بوسط محلّتهم، ويقول بلسان فصيح: من الكفر فرّوا فوقعوا فيه. يكرّرها المرّة بعد المرّة. وقد حصل القبض لأصحاب الشّيخ حتّى خفنا أن يقع بهم الأمر ونحن معهم. فلمّا ذهبنا، ما وصلنا تلمسان حتّى وقع بهم ما وقع[1]. نسأل الله السّلامة (**نهاية ص 51**) والعافية. فمن ذلك الوقت لم تقم له قائمة، ومع ذلك لم يتركوا التّسبّب في السّلطنة، حتّى رجع بعضهم على بعض بالبغض، فأدّاهم ذلك إلى التّنافر فوقعوا في قتل بعضهم بعضا على الدّنيا الخسيسة. نسأل الله السّلامة والعافيّة. والسّبب في ذلك كلّه سوء الأدب مع المشايخ والإخوان. والله ينجينا من كلّ مصيبة بجاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وهل رأيتم أحدا من العارفين المتقدّمين بعد الصّحابة رضي الله عنهم طلب السّلطنة، وأذن فيها لأحد من أصحابه؟ لا والله، اللهمّ إلّا أنّ الشّيخ الغزالي[2] رحمه الله لما أذاه بعض ملوك زمانه عاد

---

تصنع منه الجلابة والبرنوس في المغرب العربي، مازال هذا النوع من القماش يحتفظ بوجاهته إلى يومنا هذا.

1 - يشير المؤلف إلى محاولة الصلح التي حاول الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي بإيعاز من سلطان المغرب مولاي سليمان إجراءها بين زعيم درقاوة بالغرب الجزائري عبد القادر بن الشريف وباي وهران، أثناء الحصار الذي ضربه بن الشريف على المدينة، وقد باءت محاولته بالفشل،، وكان ذلك حوالي العام1222ه(1805-1806م)، وبعد مراسلات حاول من خلالها العربي بن أحمد ثني تلميذه ابن الشريف عما عزم عليه، وأخيرا قصده في موقعه، فلم يجدِ ذلك نفعا، فحمل الشيخ حفنة تراب، ورماها باتجاه الريح وصرخ كذلك يكون مصير ابن الشريف، فوقع ما وقع - هذا تفسير المؤلف للحدث- (ينظر: Louis Rhinn. Marabouts et khouans. Op.Ct.pp234-235).

2 - أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أهم أعلام القرن الخامس الهجري(- 450ه 505 / 1058م1111م)، فقيه وأصولي وفيلسوف، شافعيّ، متصوف، سنّيّ المذهب، أشعري العقيدة، وقد

يدعـو عليـه بالهـلاك، وواحـد من أصحـاب الغـزالي جالس وهـو يقول لـه: على يـدي يا سيّدي، والشّـيخ يتغافـل عنه ويدعـو على الملـك، فلمّا ألـحّ عليـه ذلـك المريـد. قال لـه: على يـدك يا ظـالم، فلمّا أهلـك الله ذلك الملـك عـلى يد المريـد، وتولّى الملـك كان عـلى الظّلم حتّـى كاد يقرب من الكفـر، والعيـاذ بالله، فهـذا الّذي سـمعناه من أهل الطريـق، والله أعلم.

لكـنّ شرّ النّـاس الأتبـاع وقـد قيـل: كـم قطعـت مـن رأس طقطقة النّعـال حـول الرّجـال، وكـم أذهبت من ديـن. قالـه الشّـيخ الرّفاعي[1] رحمـه الله وقـد قالـوا أيضـا: الظّهـور يقطـع الظّهـور. إلى غـير ذلـك من كلامهـم رضي الله عنهـم، والسّـلام.

## [في بيان حقيقة الفناء:]

اعلـم أنّ بعض أهل الدّعـاوى العريضة عيّرنا بالجذب، فلمّا سـمعنا مـا قاله فرحنا فرحا شـديدا. فنسـأل الله تعالى أن يجعلنا مـن أهله، وذلك لأنّ الجـذب الحقيقـيّ عنـد أهـل التّحقيـق هو الفنـاء في الذّات مـن أوّل وهلـة، وقـد قـال الشّـيخ ابـن عطـاء الله في حكمـه: «فأربـاب الجـذب يَكشِـف لهم عـن كمال ذاته ثمّ يردّهم إلى شـهود صفاته، ثـمّ يرجعهم إلى التّعلّـق بأسـمائه، ثمّ إلى شـهود آثـاره. والسّـالكون على عكس هـذا»[2]،

عُـرف كأحد.[6] لُقّـب الغـزالي بألقـاب كثـيرة في حياتـه، أشـهرها لقـب «حجّة الإسـلام»، ولـه أيضاً ألقـاب مثل: زيـن الديـن، ومحجّة الديـن، والعـالم الأوحد، ومفتـي الأمّـة، وبركة الأنـام، وإمام أئمـة الديـن، وشرف الأئمة.

1 - أحمـد الرفاعي، الفقيه الشافعي الأشـعري الصوفي512 - 578) ه( الملقب ب «أبـو العلمـين» و«شـيخ الطرائـق» و«الشـيخ الكبـير» و«أسـتاذ الجماعـة». إليه تنسـب الطريقة الرفاعية من الصوفيـة. وأحـد أقطاب الصوفية المشـهورين.

2 - الحكمة الخمسون بعد المائتين.

(نهاية ص 52) وإذا حصل الجذب على هذا المنوال فالكمال حاصل لا محالة، لأن، الذّات العالية جامعة للصّفات والأسماء والأفعال وجميع الشّؤون الإلهيّة. ومن هنا قيل: كُلُّ مَا يَشْتَاقُ المُشْتَاقُ في ذَاتِ الخَلاَقِ.

وقد قال صاحب العينية:

فَأَوْصَافُهُ وَالاسْمُ وَالأثَرُ الَّذِي

هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ وَالله جَامِعُ[1]

فهذا هو الفناء الحقيقي و[الجمع][2] التّام، وصاحب هذا الحال يرجع إلى الكمال الّذي هو إثبات الآثار بالمؤثّر، بالتّدلّي من مقام الفناء في الذّات إلى الفناء في الصّفات، ثمّ إلى التّعلّق بالأسماء، ثمّ إلى شهود الآثار بالمؤثّر، والسّالك على عكس هذا، ولكنّ صاحب التّدلّي يكون في تدلّيه أقرب وأسهل مراما في حال رجوعه إلى الكمال بلا كلفة ولا مشقّة. لأنّه كان في ذلك بالله لا بنفسه بخلاف صاحب السّلوك في حال سيره لأنّه سلك الطّريق بنفسه لا بربّه، فلذلك احتاج إلى المجاهدة العظيمة والمشقّة الكبيرة ولا راحة له إلّا بعد الوصول. وفرق كبير بين من سلك ببيّنة من ربّه وبين مَن سلكها بوجود نفسه، إلى غير ذلك. ولم يعلم هؤلاء المدّعون أنّ الجذب هو الفناء الّذي هو أساس الطّريق وبه يُتوصّل إلى مقام التّحقيق، وهو أيضا كما قال ابن الأعرابي[3]: [الفناء][4] هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدّنيا

1 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص202.

2 - ب: الجامع.

3 - أبو سعيد بن الأعرابي، أحد أعلام التصوف من البصرة، وشيخ الحرم في وقته، توفي 341 ه.

4 - ب: زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

والآخرة، والأحوال والدّرجات والمقامات، والأذكارُ [تغنيه][1] عن كلّ شيء وعن نفسه وعن فنائه عن الفناء، لأنّه يغرق في بحار التّعظيم. ولا شكّ أنّ الجذب إذا حصل لصاحبه على هذا المنوال يحصل له حتما السّلوك الّذي هو مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار. لأنّ الفناء في الذّات يستشرف على البقاء بالصّفات في الصّفات، والبقاء بالصّفات يستشرف على البقاء بالذّات في الذّات، ويرحم الله القائل:

أَفْنَانِي ذَا الْحُبُّ عَنْ فَنَائِي وَصِرْتُ بَعْدَ الفَنَا وُجُودْ

(نهاية ص 53)

تَعَجَّبَ النَّاسُ مَنْ بقائي مَعَ حُبِّ مَنْ نَهْوَاهُ نَسُودْ[2]

إلى غير ذلك. نعم قد يحصل لأهل المقامات العظيمة التّنزّه عن الجذب والسّلوك، أو نقول عن الفناء والبقاء، لأن هذه الأحوال لا يسلكونها إلّا عن عقبات النّفس وحين يظفرون بالاستغراق التّام في بحر [الواحديّة][3] أو نقول بحر العمى. يتنزّهون عن ذلك حتّى يصير لا جذب ولا سلوك ولا فناء ولا بقاء ولا سكر ولا صحو وهكذا، كما قال الشُّشتري[4] في بعض أزجاله:

---

1 - ب : تفنيه، ونرى الأصوب ما في أ.

2 - أبو الحسن الششتري، البيتان غير موجودين في الديوان، ولكنهما ضمن قصيدة «يا قلب، يا قلب كم تصادر» على الموقع : http://ara.bi/poetry/

3 - ب : الوحدانية.

4 - أبو الحسن الشُّشتري(610ه - 668 ه) شاعر زجّال ومتصوف أندلسي، وصفه لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة بقوله: «عروس الفقراء، وأمير المتجردين، وبركة الأندلس، لابس الخرقة، أبو الحسن. من أهل ششتر، قرية من عمل وادي آش معروفة(جنوب الأندلس)، وزقاق الششتري معروف بها. وكان مجوداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل». زار الشام، وتوفي بمصر، وله ديوان شعر.

فتشــت مــن يفنــى إيـش هـو الفنـاء[1]

لأنّ في هـذا المقام تضمحلّ أوحال التّوحيد الّتي تؤدّي العبد إلى الحلول والاتّحاد، وغير ذلك من التّخليط، وإذا حصل يا أخي هذا التّنزّه فلا تتوهّم أنّ العارف يبقى محصورا فيه، بل العارف هو الّذي لا يحصره شيء ولا حال عن حال. لأنّه يتطوّر بجميع الأطوار ليقضي سائر الأطوار، وإذا كان هكذا فلا بدّ أن يتنزّل الكلام في المقامات كلّها، وذلك بحسب التّدريج من البداية إلى الوسط إلى الغاية إلى غاية الغايات. إذ هو يعطي كلّ ذي حقّ حقّه ويوفّي كلّ ذي قسط قسطه. كما هو شأن الأكابر من أهل العزم من الرّسل، وممن كان على قدمهم من أوليّاء الله. وأمّا الجذب الّذي هو نصف ولاية، فصاحبه غريق الأنوار، مطموس الآثار، فالشّريعة عنده في غاية الاضمحلال لحجابه عن رؤية الشّارع صلّى الله عليه وسلّم، ولكن من حصل له هذا الحال قبل معرفة الشّيخ المربّي فلا سلوك له البتّة، وإن حصل له بعض السّلوك فهو ناقص تهذيب وتأديب لا محالة، ومن حصل له في حضرة المشايخ الرّبانيّين فحتما يأخذون بيده ويخرجونه إلى مقام البقاء المقتضي الآثار، اللهمّ إلّا من فاتت فيه الطّبخة بالذّوبان والاحتراق فلا رادّ لحكم الله وقضائه، كما وقع لمريدين للقطب مولانا عبد السّلام بن مشّيش، وكما وقع لتلميذ للشّبلي[2] رحمه الله، ( نهاية ص 54 ) وذلك حين تجلّت له الحقيقة بقوّة ولم يطقها مات من حينه، وكذلك

---

1 - لا وجود للبيت في ديوان الشاعر أبي الحسن الشُّشتري.

2 - هو الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي، ولد في سامراء عام 247 ه، الموافق 861م، تركي الأصل من قرية شبلية. عاش حياة الحظوة في مبتدأ أمره، واعتزل كل ذلك، وعاش حياة الزهد والتصوف والمجاذيب، التقى بالرجل الصالح (خير النساج) وكان من مشاهير الوعاظ في عصره، ووجهه نحو الجنيد البغدادي.

وقع لكثير من أصحاب شيخنا مولاي العربي رحمه الله سكر عظيم واصطلام كبير حتّى خاف عليهم المحق والذّوبان. ولكن نجّاهم الله بفضله وكرمه وجوده.

وأمّا من استغرق في عظمة الباري جلّ جلاله بالسّكر العظيم مع الصّحو العظيم وصار يشاهد ذات الله في ذات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذات الله، والكون قد غاب عنه بالكلّيّة بحيث لا تحجبه ذات الله عن ذات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ولا ذات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم عن ذات الله، حتّى استقرّت الأنانيّة في باطنه بحيث لا يقدر على دفعها. ولولا القوّة الّتي مدّه الله بها على كتمان الأسرار لقال لكلّ من لقيه من العباد: انظروا إلى الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة لا يغيبان عنكم طرفة عين، ولا أقلّ من ذلك. كما وقع للشّيخ أبي العبّاس المرسي رحمه الله، فصار يخبر عن حاله بقوله: لي أربعون سنة ما حجبت عن الله، ولو غاب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما أعْددت نفسي من المسلمين إلى غير ذلك. ولا شكّ أنّ النّاس كلّهم لا يشاهدون في الحقيقة إلّا [الله][1]، وكذلك لا يشاهدون في الحقيقة إلّا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولكن لا يعرفون ذلك، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، أوَ هذا محال أيّها المدّعون ليس بكمال ؟!. لا والله، ما هو إلّا الكمال التّام لم يبق وُسع فوق الجمع بين الشّريعة والحقيقة، والشّريعة إشارة إلى الشّارع وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. والحقيقة إشارة إلى الحقّ وهو الله سبحانه وتعالى، وإن رأى هؤلاء المدّعون مقاما أعظم من هذا وأوسع منه فليدلّونا عليه ويخبرونا به. فإن صحّ ذلك نعطهم الانقياد فيما أمرونا به. وإن كان

1 - ب: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ما يتكلّمون به عن جهل ونقص ودعوى باطلة. فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعليهم، والله (**نهاية ص 55**) الموفّق.

وقد كان أستاذنا رحمه الله يقول لنا: اذهبوا وفتّشوا على من هو أكبر منّا وأكمل، فإن وجدتموه أعلمونا نذهب إليه وأنتم لنأخذ بأيدينا. ولا غرابة في ذلك، والله الموفّق.

واعلموا يا عباد الله أنّي ما نرى ضالّا و[مغلوبا][1] ومتعوبا وممكورا به إلّا: «من استولت عليه النفس صار أسيرا في حكم الشّهوات، محصورا في سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذّ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه»[2] لقوله تعالى: «سَأَصْرِفُ عَنَ ايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الَارْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»[3]،أو كما قال الجريري[4] رحمه الله تعالى.

وهذا النّوع من المدّعين للولاية وهم جُهّال بها وبأحوال أهلها، وبشرائع الطّريق الّذي هو لُبّ الطّرق وغايتها كثير، ولا حول ولا

---

1 - ب : مغبونا

2 -أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت597)، ذم الهوى، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1418ه1998-م، ص84.

3 - الاعراف/ 146.

4 - أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، كان من علماء مشايخ الصوفية، ومن كبار أصحاب الجنيد، فلما توفي الجنيد أجلسوه مكانه، وأخذوا عنه آداب التصوف، وقد أسند الحديث. قال عنه أبو نعيم الأصبهاني: «كان للأثقال حمولاً، وعن القواطع ذبولاً، وكان للحكمة من غير أهلها صائناً، وللمدّعين والمتكسبين بها شائناً».

Scanned with OKEN Scanner

رحمه الله في بعض كلامه حين ذُكر له بعض من تشبّه بالقوم وليسوا منهم، فقال: نقضوا أركان التّصوف، وهدموا سبيلها، وغيّروا معانيها بأسامي أحدثوها: سمُّوا الطّمع «زيادة»، وسوء الأدب «إخلاصا»، وإتّباع الهوى «ابتلاء»، والخروج عن الحقّ «شطحا»، والتّلذّذ بالمذموم «طيبة»، والرّجوع إلى الدّنيا «وصلا»، وسوء الخلق «صَوْلة»، والبخل «جلادة»، والسّؤال «عملا»، وبذاءة اللسان «ملامة». ثم قال: «وما هذا كان طريق القوم»(2). وكان الجنيد رحمه الله كثيرا ما يقول: «أخذنا التّصوّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدّنيا وقطع المألوفات والمستحسنات»(3). وقال أيضا رضي الله عنه: «الطّرق كلّها مسدودة على الخلق إلّا من اقتفى آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»(4). وقد قوّة إلا بالله. وقال أبو العبّاس [الدّينوري](1)

1 - في المتن: الديناوي ولكن من المؤكّد بالقرائن اللفظية والمقالية، وخاصة المقولة المستشهد بها أن المقصود هو أبو العبّاس الدينوري. وهو: أحْمد بن مُحَمَّد، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: «من أفتى الْمَشَايِخ وَأحْسَنهمْ طَرِيقَة واستقامة، وَكَانَ يعظ النَّاس وَيتَكَلَّم على لِسَان الْمعرفَة بِأحْسَن كَلَام»، وقال عنه أبو القاسم القشيري: «كان عالمًا فاضلاً صحب يُوسُف بن الْحُسَيْن وَعبد الله الخراز وَأَبا مُحَمَّد الْجريرِي وَأَبا الْعَبَّاس بن عَطاء وَلَقي رويماً»، ورد نيسابور وَأَقَام بهَا مُدَّة، ثمَّ رَحل من نيسابور إِلَى سَمَرْقَنْد وَمَات بهَا بعد 340 ه.

2 - في النص الذي أورده المؤلف زيادة وحذف، وما أثبتناه في المتن تصحيح له اعتمادا على: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، المتوفى سنة465ه، الرسالة القشيرية، تحقيق خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية- بيروت، 1422ه/ 2001م، ص84.

3 - أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تلبيس إبليس، مصدر مذكور، ص162.

4 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق ناصر بن سليمان السعوي وآخرين، دار الصميعي، ط1، 1432ه2011-م، ج4، ص2632

قلت في بعض رسائلنا: إنّ العلم طيّار يسوق صاحبه إمّا إلى الجنّة وإما إلى النّار، والجنّة جنّة المعارف، (**نهاية ص 56**) ولا شيء أرفع وأعظم منها ومن دخلها لا يشتاق إلى جنّة الزّخارف، والنّار نار الحجاب ولا شيء أشدّ عذابا منها ونكالا. نسأل الله السّلامة والعافية.

فهذه هي ثمرة العلم. فعليكم به وبصحبة أهله القائمين به الرّاسخين فيه الجامعين بين حقيقة وشريعة، إذ الشّريعة بلا حقيقة تعطيل، والحقيقة بلا شريعة تعطيل، والجمع بينهما كمال، كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم، وقالوا أيضا: قوم حجبوا بالشّريعة عن الحقيقة، وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشّريعة، وقوم جعلوا الشريعة بابا والحقيقة بابا، أولئك حزب الله: «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[1]، وقالوا أيضا: «من تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومَن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق»[2] إلى غير هذا، والسّلام.

اعلم أنّه قد تكلّم معنا بعض المدّعين للمشيخة من أهل طريقنا، وقال لي: أصحابك لم يتربّوا في الطّريقة كأصحابنا، فقلت له: نعم، أنت رجل كنت في برّ التّرك مكتوبا عسكريّا زمانا طويلا وحين دخلت طريقتنا تصدّرت للمشيخة قبل أن تدوم فيها، ولم تلازم أهلها فوق أربعة عشر شهرا، فلذلك لم تترك الأمور المخزنيّة. وأمّا نحن فقد تربّينا في حجر أناس بُلْه غائبين عن أنفسهم وعن الوجود بأسره في حضرة من ليس كمثله شيء، وبقينا في صحبتهم نحو عشرين سنة، وهؤلاء هم الّذين ورد فيهم الحديث النّبويّ، وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أكثر أهل الجنّة البُلْه» فقيل له: من البله

1 - المجادلة/ 21.

2 - مقولة مشهورة تنسب للإمام مالك بن أنس (نقلا عن: مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي، مصدر مذكور، ص168).

Scanned with OKEN Scanner

يا رسـول الله؟. فقـال: «هم الحُمقـاء في دنياهم العقـلاء في أخراهم»[1].
ثـم قلـت لـه: أصحابك الّذيـن ربّيتهم هـم الّذيـن يقولون لـك الكرائم بـدع. وحين ذكـرت له مـا وقـع بيني وبينهـم في تلـك المذاكـرة تقهقر وحـار وأخسـأ، وسـبب قـول ( نهاية ص 57 ) أصحابـه لنـا في تلـك المقالـة هـو: قد كنـت أنّي أتذاكـر معهـم، ومع بعـض إخواننا فيـما تكرّم الله بـه عـلى أوليّائـه وأصفيّائـه مـن الأسرار الأزليّـة والأنـوار الرّبّانيّة والمعـاني الغريبـة والكشـوفات والمشـاهد، وغـير ذلك من المنح الإلهيّة. فلمّا سـمعت مـا [قاله][2] مـن أنّ الكرائم بـدع. فقلت لهـم: كيف تكون الكرائـم بدعا، وهـي مرتبـة الرّبّانيّين مـن الأنبيّاء والرّسـل صلوات الله وسـلامه عليهـم أجمعـين، وأكابر أوليّـاء الله رضي الله عنـه أجمعين، وهي للأنبيّـاء معجـزات واجبـة للتّحـدي، وللأوليّـاء كرامـات [جائـزة][3]، وليسـت مقرونـة بالتّحـدي في حقّهـم وقـد قيل: إنّهـا للتّحـدي حتّى في حـقّ الأوليّـاء لئـلّا يدّعـي سرّ الولايـة مـن كان سـفيها والله أعلم.

ثـمّ قلـت لهم: ويحكـم ألم تعلمـوا أنّ البدع هـي الّتي تكـون خارجة عـن الكتاب والسّـنّة وكلام السّـلف الصّالـح؟!، إلّا أنّ مشـايخ الطّريق قـد حـذّروا المُريدين مـن القناعة بهـا والوقوف معهـا، والسّـكون إليها. لأنّ القناعـة مـن الله حرمان، والسّـكون إليهـا حجاب عـمّا وراءها، من أسرار الولايـة الّتـي لا نهايـة لهـا،ولا حـدّ ولا غايـة، ولا راحـة إلى الله، إلّا بالرّسـوخ والتّمكين في مشـاهدة الحـقّ بالعيـان. ولأنّ الوقوف معها

1 – رواه البـزار مضعّفـا، والقرطبـي مصحّحـا، كـذا في المقاصـد. وروي بزيادة: «وعليّـون لـذوي الألبـاب». (الأسرار المرفوعـة، ص125، 126، 127).

2 – ب : قالوه، وهو الأصوب.

3 – ب : جائزات.

[أيضا][1] يؤدّي إلى علل باطنيّة، وهي أشدّ الحجاب على العبيد كإقبال الخلق والرّياسة والتّصنّع والعُجب، والعُلو والارتفاع وغير ذلك من الكبائر. والمُريد السّائر ضعيف اليقين ضعيف الاستغراق في مشاهدة الحقّ، فلذلك حذّروه منها، وقد قال الشّيخ الشّاذلي رحمه الله: «من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّا على الكبائر وهو لا يشعر»[2] إلى غير ذلك، فما بالكم أيّها المدّعون لا تفهمون ما عليه أهل العلم بالله من الوسع في المعارف الرّبّانيّة؟ (نهاية ص 58)، ولا تبصرون ما كان عليه أهل الهمم الرّبّانيّة من ظهور الآيات العظيمة عليهم، ولا تسمعون ما تحدّثوا به من ظهور المنح الإلهيّة عليهم، فإنّي أخاف عليكم أن تكونوا في حيز من نزل فيه قوله تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا»[3]. والسّلام.

## [التفسير الإشاري لآيات القرآن الكريم:]

اعلم أنّ بعض الفقهاء تنازعوا [واختلفوا][4] في معنى قوله تعالى: «قُلَ اَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»[5]، فمنهم من قال: الله تعالى يُقال فيه شيء، ومنهم من قال ليس بشيء، وقد كفّروا من قال إنّه شيء، وقد بعثوا لي بذلك لأجيبهم، فأجبتهم بما في وسع علمي، والله سبحانه أوسع علما من كلّ شيء. فأقول وبالله استعين:

---

1 - ب: زائدة.

2 -أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم، مصدر مذكور، ص 21.

3 - الأعراف/ 179

4 - ب: زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

إنّ معنى الآية -والله أعلم- [قل لهم][1] يا محمّد أيّ شيء أكبر شهادة على ما جئتكم به من الرّسالة، ونزول الوحي في توحيد الباري جلّ جلاله، وبطلان ما زعمتم [من][2] أنّ مع الله آلهة [أخرى][3] غيره. فإذا عجزوا قل لهم: الله أكبر وأعظم من كلّ شهيد، وإن لم تقولوه فلا جواب لكم غيره، فهو: «شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» على صدقي. وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ، أي من الجنّ والإنس. أي لأعلّمكم به مع تخويف بما يحقّ عليكم من عقابه لأجل ادّعائكم أنّ مع الله آلهة أخرى، وقوله: «لا أشهد»، أي على ما ادّعيتموه من تلك الأباطيل، قل: إنّما هو إله واحد وما سواه باطل، وإنّني بريء ممّا تشركون، فهذا هو ظاهر الآية، والله أعلم. وأمّا باطنها من باب الإشارة فمعناها: قل: يا محمّد لمن ادّعى مشاهدة الحقّ في كلّ شيء لا تدّعوا أنّكم أنتم الذين تشاهدونه، بل الحقّ هو الّذي يشاهد (نهاية ص 59) نفسه بنفسه في نفسه. وأمّا أنتم ومشاهدتكم فكالهباء في الهواء. إن فتّشتم ذلك لم تجدوه شيئا، ومن ثمّ قيل:

فَتِّشْتُ مَنْ يَفْنَى ... إِيْشْ هُوَ الْفَنَاء

وقال صاحب العينية:

هُوَ الموجِدُ الأشيا وَعَينُ وُجُودِهَا

وَعَيْنُ ذَوَاتِ الكُلِّ وَهُوَ المُوَانِعُ[4]

---

1 - ب: زائدة.

2 - ب: زائدة.

3 - ب: ناقصة.

4 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص 201

بل هو الشيخ عبد الكريم الجيلي توفي سنة 826هـ

وقال[ فيها][1] أيضا:

فَأَنْتَ الـوَرَى حَقـاً وَأَنْـتَ إِمَامُنَـا
وَأَنّـك مـا يَعْلُـوا وَما هُـوَ وَاضِـعُ[2]

وفيها أيضا:

فَأَوْصَافُهُ والاسْـمُ وَالأَثَـرُ الـذِي
هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الـذَّاتِ وَالله جَامعُ[3]

إلى غـير ذلـك، وقولـه: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـذَا ٱلْقُـرْءَانُ لِأُنْذِرَكُـمْ بِهِ»[4]، لأخوِّفكـم به أيّها المدّعون المشـاهدة الخفيّة، وأنتم مسـتغرقون في الشّرك الخفيّ لإضافتكـم مشـاهدة الحـقّ لأنفسـكم، مـع أنّه لم يشـاهده سـواه أبـدا لا في أزلـه ولا في أبـده. إذ: «الأشـياء ثابتـة بإثباتـه ممحـوة بأحديـة ذاتـه»[5] كـما في الحكـم. فكيـف يصـحّ مـا ادّعيتمـوه مـن مشـاهدة الحقّ بأنفسـكم، قـل: يا محمّد لا يشـهد مولاي سـوى مـولاي وإنّي بريء ممن تشركـون أي مـن الـشّرك الخفـيّ والجـليّ، ومن هنـا قال شـيخنا مولاي عـليّ الجمـل في بعـض كلامـه: مـن قـال لـك: أنـا أشـاهد الحقّ فقـل له كذبـت، ومـن قـال [لـك][6]: الحـقّ يشـاهد الحـقّ قـل لـه: صدقت إلى غـير هذا.

---

1 - ب : زائدة.

2 - نفسه، ص204

3 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص202.

4 - الأنعام/ 20

5 - الحكمـة الواحـدة والأربعـون بعـد المائـة، في الأصـل : «الأكوان ثابتـة بإثباته ممحوة بأحديـة ذاته».

6 - ب: زائدة.

وأمّا من فهم منكم أيّها الطّلبة أنّ الله سبحانه وتعالى شيء: فإن كان مراده في ذلك الوجود القديم الّذي هو وجود ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، واعتقد أنّ ذاته وصفاته منزّهة من كلّ شيء وليس كمثله شيء وهو السّميع البصير. فلا بأس بذلك، إذ لا [مقاشحة][1] في الألفاظ حينئذ. وقد علمتم أنّ اسم الوجود يطلق على الحقّ ووصفُه: القدم، ويطلق على الأشياء ووصفُها: الحدوث، ولا شكّ، **(نهاية ص 60)** أنّه إذا قُرن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم. لأنّ الوجود الحقيّ نفسيّ، وله الصّفات الخمس السّلبيّة، وهي: القدم، والبقاء، والمخالفة، وقيامه[تعالى][2] بنفسه، والوحدانيّة. وله أيضا صفات المعاني وهي سبعة: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسّمع، والبصر، والكلام. [وكذلك له الصفات المعنوية][3]: وهي كونه تعالى قادرا ومُريدا وعالما وحيّا وسميعا وبصيرا ومتكلّما.

وأمّا إطلاقه على الأشياء، فصفاته هي أضداد الصّفات العليّة، وهي أوصاف الرّبوبيّة الّتي ذكرناها أولا، وهي: العدم، والحدوث وغير ذلك من صفات المخلوقين فلذلك كان عند الأئمّة: إذا فُهمت المعاني فلا مقاشحة في الألفاظ.

وأمّا ما قاله الأئمّة من أنّ الله ليس بشيء وليس هو عن شيء، فمعناه ظاهر لأنّ مرادهم بذلك الدّفع لئلّا يتوهّم من ليس عنده علم وفهم وإدراك من الله تعالى يدخل في حيز الأشياء الحادثة وهو منزّه عن ذلك، كما توهّمه أهل الطّرائق الضّالة والعياذ بالله، اللهمّ إلّا

---

1 - تعبير عامي يراد به لا اختلاف ولا جدال في مسألة التسميات وإطلاق المصطلحات، ويقابلها في التعبير الفصيح: لا مُشَاحّةَ في المصطلح.

2 - ب: زائدة.

3 - ب: زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

أن يكون اعتقاده كاعتقاد المجسِّمة والقدريّة والشّيعة وأهل الحلول والاتّحاد وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة فلْيَتُبْ إلى الله، وليرجع إلى اعتقاد أهل السّنّة المتقدّمين والمتأخّرين.

وأمّا الأسماء فما سُمّيت بذلك إلّا لإضافتها إلى المشيئة الحقيّة، لقوله تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»(1)، لأنّ: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وكذلك الأكوان ما سُمّيت بذلك إلاّ لإضافتها للمكوِّن، وما سُمّيت المخلوقات أيضا إلّا لإضافتها للخالق، وكذلك المربوبات ما سمّيت بذلك إلّا لإضافتها للرّبوبيّة وقس على هذا ما أشبهه من متعلّقات الأسماء والصّفات، لأنّ كلّ اسم يطلب حقّه في الظّهور في عالم الحكمة، إذ القدر يبرز والحكمة (**نهاية ص 61**) تستر، فمن هنا كان ما روي عنه، صلّى الله عليه وسلّم من الأحاديث القدسيّة، كقوله تعالى: «كُنْتُ كَنْزًا لم أُعْرفْ فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعرفَ فخَلَقتُ خَلْقًا فتعرّفْتُ لَهُم، فَبِي عَرفُونِي»(2) فافهم الإشارة في قوله: «فبي عرفوني» .

و أمّا اسمه تعالى: «المُنْشِئ»، فمعناه المريد الّذي أراد شيئًا أن يقول له: «كُنْ فيَكُونْ»، والله أعلم. فمن قال منكم إنّ الله شيء، وقصد بذلك ما قلناه من وجود الذّات القديمة أو كان مقصوده المشيئة الحقيّة الّتي معناها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلا بأس بذلك أيضا.

1 - البقرة / 254

2 - قال ابن تيمية : ليس من كلام النبي، عليه الصلاة والسلام، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والعسقلاني، لكن معناه صحيح، مستفاد من قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والانس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» الذاريات/ 56، أي ليعرفوني، كما فسره ابن عباس، رضي الله عنه. (ينظر: الملا علي القاري، الأسرار المرفوعة، مصدر مذكور، ص269 ). حديث353 :«كُنْتُ كَنْزًا لَا أُعرفُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعرفَ، فَخلَقتُ خلقًا، فَعَرّفْتُهُمْ بِي، فَعَرفُونِي»

Scanned with OKEN Scanner

والحاصل أنّ السّلامة من التّخليط في التّوحيد هي الاعتقاد الحسن الّذي عليه أهل السّنّة قديما وحادثا، وقد كانوا رضي الله عنهم، لا يكفّرون أحدا بالألفاظ الموهمة لذلك، وإنّما كانوا ينظرون للاعتقاد وبسلامة القلوب من التّخليط في التّوحيد، والله أعلم.

وقد ذكر ابن السّبكي[1] رضي الله عنه عدم تكفير من كان مؤمنا أصليّا، وهو يحبّ الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، فقال رضي الله عنه: «اعلم أيّها السّائل أنّ كلّ من خاف الله تعالى استعظم التّكفير لمن يقول: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إذ التّكفير أمر هائل عظيم الخطر، لأنّ من كفّر شخصا فكأنّه أخبر أنّ عاقبته في الآخرة الخلود في النّار أبد الآبدين، وأنّه في الدّنيا مباح المال والدّم لا يُمكّن من نكاح مسلمة، ولا تجري عليه أحكام المسلمين لا في الحياة ولا بعد الموت، والخطأ في قتل ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم» وفي الحديث: (لأن يخطئ الإمام في العفو أحبّ إلى الله من أن يخطئ في العقوبة)[2].

ثمّ إنّ المسائل الّتي يُفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدّقة والغموض لكثرة شُبهها واختلاف مراتبها (**نهاية ص 62**) وتفاوت

---

1 -تقي الدين السبكي(683هـ- 756هـ)، علامة موسوعي شافعي المذهب، صوفي الطريقة، يلقب «بشيخ الإسلام وقاضي القضاة»، وهو والد الفقيه تاج الدين السبكي. نسب إلى البلدة التي ولد فيها، وهي قرية سبك الأحد في مصر وكانت تسمى ب «سبك العبيد».

2 - رواه الترميذي، الجامع الكبير، المجلد3، باب ما جاء في درء الحدود، ح1424. الحديث: حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أبو عمرو البصري، قال: حدثنا محمد بن ربيعة، قال: حدثنا يزيد بن زياد الدمشقي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة».

دعاويها والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطّلاع على حقيقة التّأويل وشرائطه في الأماكن، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتّأويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللّسان من قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها، ومعرفة دقائقها وغموضها إلى غير ذلك ممّا هو متعذّر جدا على علماء عصرنا فضلا عن غيرهم، وإذ كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده في عباراته، فكيف يحرّر اعتقاد غيره من عباراته، فما بقي الحكم بالتكفير إلّا لمن صرّح بالكفر واتخذه دينا وحجة، وجحد الشهادتين وخرج عن دين الإسلام جملة، وهذا نادر وقوعه. فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتّسليم للقوم في كلّ شيء قالوا ممّا لا يخالف صريح النّصوص. انتهى كلام الإمام تقي الدّين السّبكي رضي الله عنه[1].

واعلم أنّ العلم طيار يسوق صاحبه إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار، والجنّة جنّة المعارف ولا شيء أرفع وأعظم منها، ومن دخلها لا يشتاق إلى جنّة الزّخارف، والنّار نار الحجاب، ولا شيء أشدّ منها نكالا ولا عذابا. نسأل الله السّلامة والعافيّة.

فهذه هي ثمرة العلم، فعليكم بالعمل بهٖ وبصحبة أهله القائمين به الرّاسخين فيه الجامعين بين الحقيقة والشّريعة، إذ الشّريعة بلا حقيقة تعطيل، كما أن الحقيقة بلا شريعة تعطيل، والجمع بينهما كمال، كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم، وقالوا أيضا: قوم حجبوا بالشّريعة عن الحقيقة وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشّريعة، وقوم جعلوا الشّريعة بابا والحقيقة بابا: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ

1 - ينظر: الإمام عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر في لباب عقائد الأكابر، وبأسفله الكبريت الأحمر لمحي الدين بن عربي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، دت، ج2، ص530-531.

هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ»[1]،، وقالوا أيضـا: (نهاية ص 63) من تـشّرع ولم يتحقّق فقـد تفسّـق، ومـن تحقّـق ولم يتـشرّع فقد تزنـدق، ومـن جمع بينهـما فقد تحقّـق، إلى غـير هذا. والسّـلام

اعلـم أنّ معنـى قولـه تعـالى: «أَنَّ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَـا رَتْقـاً فَفَتَقْنَاهُمَـا وَجَعَلْنَـا مِـنَ الْمَـاء كُلَّ شَيْءٍ حَـيٍّ اَفَـلاَ يُومِنُـونَ»[2]، يعنـي من بـاب الإشـارة، والله أعلم معناهـا، أوَلم ير الّذين كفـروا، أي حجبوا عن مشـاهدة مولاهـم في مظاهـر تجلّيّاتـه في عـالم الحكمـة مـع شـدّة ظهوره «أنّ السَّـمَوَاتِ وَالارضَ كَانَتَـا رَتْقاً» يعني سـماء الحقائـق الإلهيّة وأرض الحكمـة الرّبّانيّـة كانتـا رتقـا أي جمعا متّصـلا لا انفصام لـه في علم أزله، وهـو بحـر العمى الّـذي هو بحـر الطّمس، بحيـث لا ظهـور للحقّيّة في ذلـك حتّـى يدركها المـدرك في إشـارته، ولا ظهور للخلقيّـة كذلك حتّى يدركهـا المعبّر عنهـا بعباراته، بـل هو بحـر متّصل لا ظهور فيه للأسـماء ولا للصفـات ولا للأفعـال، ولا تمييـز لها في ذلـك البحر، وقولـه تعالى: «فَفَتَقْنَاهُمَـا» يعنـي فصلناهمـا وبينّاهما في التّجـلّي الأوّل الّذي هـو التّنزّل مـن بحـر العمى إلى بحر الأحديّـة. وهو ظهور الـذّات الأقدس بصفاتها وجميع شـؤونها، وفي بحـر الواحديّة، وهو التّنزّل الثّاني لإعطاء كل اسم مـن أسـمائها حقّـه في تفصيل تجلّيّاتها في عـالم حكمتها، فـأوّل ما ظهر من أسرارهـا هـو النّـور الأحمدي الّـذي قبض من النّـور الأصلي المشـار إليه بقولـه: فقبـض قبضـة مـن نـوره، فقال لها كـوني محمّـدا ومن محمّـد كان مـا كان ومـا يكون، وقوله تعـالى: «وَجَعَلْنَا مِـنَ الْمَـاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»، أي أظهرنـا مـن سرّنـا وغيـب غيبنـا كلّ تجـلٍّ مـن حقائقنـا، وكلّ مظهر من حكمتنـا لأجـل ظهـور سرّ علمنا فيـه وسرّ حياتنـا وسرّ قدرتنا في جميع

1 - المجادلة/ 21

2 - الانبياء: 30

مظاهرنا. وحينئذ تجلّت خمرتنا لنفسها بنفسها في نفسها ولا فرق ولا حجاب ولا غطاء، بل احتجبت بشدّة ظهورها في عالم حكمتها فمن (نهاية ص 64) عرفها وشاهدها فيها عرفها وبها شاهدها:

الْبَحْرُ بَحْرٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قِدَمِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ أَمْوَاجٌ وَأَنْهَارُ[1]
لَا يَحْجُبَنَّكَ أَشْكَالٌ يُشَاكِلُهَا
عَمَّنْ تَشَكَّلَ فَهِيَ أَسْتَارُ[2]

كما قال ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه، وقال الجنيد رحمه الله:

تَوَضَّأْ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ
وَإِلَّا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ وَالصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَامًا كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ
وَصَلِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ
فَهَذِي صَلَاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ الْبَرَّ بِالْبَحْرِ[3]

1 – عبد الغني النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق في صريح المواجيد الإلهية والفتوحات الأقدسية، المطبعة الشرفية، مصر، ط1، 1306، ص157.

2 – ورد البيت دون نسبة في جامع الأسرار ومنبع الأنوار، لحيدر الآملي، تحقيق هنري كيربين وعثمان إسماعيل يحي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2005، ص161.

3 – تنسب هذه الأبيات كذلك لمحي الدين بن عربي (ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص67).

وقل سبحانه: «أَفَلاَ يُومِنُونَ»، ألا [يؤمن][1] هؤلاء المدّعون بظهورنا في مظاهر حكمتنا ويشاهدوننا بعين حقيقتنا في جميع تلوّنات خمرتنا واختلاف آثارها وانتقالات أطوارها وجميع تعرّفاتها، وحينئذ تكون مشاهدتهم لخمرتنا في قُربها وبُعدها، ولا قُرب ولا بُعد، ويشاهدونها بها، كذلك في علويّاتها وفي سُفليّاتها وفي جماليّاتها وفي جلاليّاتها وفي لطائفها وفي كثافتها، إذ ليس معها سواها في جميع تلوّناتها في عالم ملكها وفي عالم ملكوتها وفي عالم جبروتها، قال في العينيّة:

فَيَا أَحَدِيِّ الذَّاتِ فِي عَيْنِ كَثْرَةً
وَيَا مُوجِدَ الأَشْيَاءِ ذَاتُكَ شَائِعُ[2]

وقال فيها أيضا:

وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ
وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ
وَغَيْرَ أَنَّ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع[3]

وقوله جلّ ثناؤه: «وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ

1 - في المتن (أ و ب) : يؤمنون.
2 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص204.
3 - المصدر نفسه، ص205.

عبد القادر الجيلاني

عَنْ ءايَاتِهَا مُعْرِضُونَ»(1)، يعني أرض النّفوس والعقول المحسوسة جبال العقل والمعارف الرّبّانيّة فترسيها لئلّا تميد بهم إلى الأوهام الخياليّة فيُحجبون عن حقائق المعارف الإلهيّة. وقوله: (نهاية ص 65) «وَجَعَلْنَا فِيهَا»، أي أرض الحكمة الرّبّانيّة «فِجَاجًا سُبُلًا» يعني طرقا إلى معرفتنا ومشاهدة حقيقتنا «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»، أي يهتدون بها إليها، وبوسع علمنا يشاهدوننا، وقوله سبحانه: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ»، أي سماء الحقائق «سَقْفًا مَحْفُوظًا»، أي محروسا ممنوعا عن إدراك من لا يعلمها في مظاهر تجلّياتها، وقوله: «وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ» أي هم معرضون عنها مع شدّة ظهورها، والسّلام وقد وردت إليّ أبيات في شرح هذا الآية نظما أيضا، وهي هذه:

أَيَا نَاظِراً لِلْأَبْيَاتِ الَّتِي مَعْنَاهَا
وَرَاءَ العُقُولِ لاَ تُحِيطُ بِفَهْمِهَا

إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَشْفاً وَعِيَانِهَا
عَنْ غَيْبِ مَعَانِيهَا وَمَكْنُونِ سِرِّهَا

وَهَا أَنَا ذا أُنْشِئُ إِلَيْكَ رِوَايَة
عَلَى قَدْرِ طَاقَتِي فِي وِسْعِ مَعَانِيهَا

إِذْ لَيْسَ لِحَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ
فِي تَفْسِيرِهَا إِشَارَةً لِإِدْرَاكِهَا

فَضْلًا عَنْ أَهْلِ التَّقْصِيرِ فِيهَا عِبَارَةٌ
يُعَبِّرُونَ عَنْهَا وَرَاءَ عِيَانِهَا

أَقُولُ وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ فِي قَوْلِنَا

---
1 - الأنبياء / 31، 32.

مَعْنَـى الآيَـةِ الَّتِـي سَـأَشْرَحُ لَفْظَهَـا

أَلَمْ يَـرَ مُدَّعِـي الْحَقِيقَـةِ دُونَ مَـا
يَبْلُغُـهُ أَهْـلُ المُعَـانِي لِسِرِّهَـا

فَخَمْرَتُهَـا إِشَـارَةٌ لِسُـمُوٍّ بِهَـا
فِي كَنْزِيَـةِ العَمَـى وَعَـالَمِ غَيْبِهَـا

لَبَحْـرٌ مَطْمُـوسٌ لَا ظُهُـورَ لِسِرِّهِ
فِيـهِ طُوِيَـتْ أَسْـمَاؤُهَا وَصِفَاتُهَـا

وَلَمَّـا أَرَادَتْ التَّفْصِيـلَ لِجَمْعِهَـا
لِيَبْـدُو كَمَالُهَـا عَيَانًـا لِخَلْقِهَـا

فَقَالَـتْ لِنَفْسِهَـا بِنَفْسِهَـا سِرُّنَـا
فَـلَا يَكُـنْ كَامِـلًا كَـمَا هُـوَ فِي نَفْسِـهَا

إِلَّا إِذَا كَانَ ظَاهِـرًا بِكَثَافَـةٍ
كَـمَا هُـوَ بَاطِـنٌ مِـنْ شِـدَّةِ لُطْفِهَـا

فَمِـنْ هُنَـا كَانَ الْفَتْـقُ لِلرَّتْـقِ يَـا فَتَى
فَاعْجَـبْ بِفَـرْقٍ قَـدْ تَجَـلَّى فِي جَمْعِهَـا

سَـمَاءُ الْأَرْوَاحِ ظَاهِـرٌ بِأَحْكَامِـهِ
فِي أَرْضِ الْأَشْـبَاحِ خُذْ حَقِيقَةَ شَرْعِهَا

(نهاية ص 66)

وَمَـاءُ عُلُـومِ الْغَيْـبِ كَانَ حَيَاتَهَـا
فِي تَفْصِيلِهَـا جَمْعًـا لِسِرِّ كَمَالِهَـا

فَـإِنْ كُنْـتَ ذَا سِرٍّ فَدَعْ عَنْـكَ مَا تَرَى

مِـنْ صُـورَةِ الْكَـوْنِ فَهُـوَ سِـتْرٌ لِحُبِّهَا
وَغِـبْ عَنْـكَ لَا تَـرَاهَـا إِلَّا بِهَـا

فَهَـذِهِ حِكْمَـةٌ قَدِيمَـةٌ عَـنْ طَـهَ
الَّذِي اِنْشَـقَتِ الْأَسْرَارُ مِنْـهُ وَانْفَلَقَتْ

جَمِيعُ الْأَنْـوَارِ مِـنْ قَبْضَـةِ أَصْلِهَـا
وَفِيـهِ مَـنْ بِـهِ عَلَـتْ حَقَائِـقُ سِرِّهِ

وَفَاضَـتْ عُلُومٌ مِـنْ أَصْلِهَـا لِفَرْعِهَا
فَلَيْـسَ لَهَـا حَـصْرٌ وَلَا دَرْكُ غَايَـةٍ

لِمَـنْ لَـهُ عِلْـمٌ مِـنْ أَكَابِـرِ أَهْلِهَـا
مَحَاسِـنُ غَيْبِ الْمُلْكِ فَاضَتْ مِن بَحْرِهُ

كَـذَا مَلَكُـوتِ الـسِّرِّ مَـعَ جَبَرُوتِهَـا
هُوَ الوَاسِطَةُ الْعُظْمَى فِي ظُهُورِ الْعَمَى

وَلَـوْلَاهُ لَمْ يَظْهَرْ وَصْـفٌ مِنْ أَوْصَافِهَا
فَهَـذَا هُـوَ مَعْنَـى الْحَيَـاةِ لِـكُلِّ شَيْءٍ

مِـنْ بَـابِ إِشَـارَةِ الْمَعَـانِي لِصَوْنِهَـا
وَكُلُّ مُشِـيرٍ كَـانَ أَوْ هُـوَ كَـائِـنٌ

لِـذَاكَ الْجَـمَالِ الْأَصْـلِي كَانَ يُشِـيرُهَا
فَمَـنْ فَهِـمَ عَنْهَـا وَحَقَّـقَ إِيمَانَـهُ

يُشَـاهِدُهَا حَقًّـا بِعَيْنِ أَسْرَارِهَـا
وَمَـنْ لَا فَـلَا وَكَانَ فِي ظُلْمَـةِ الدّجَـى

مَحْجُوبًا عَنْهَا وَهُوَ يُشَاهِدُهَا

فَرُصَّ حَالَ الْعَقْلِ إِنْ كُنْتَ عَارِفًا
بِحَقِّ عِلْمِ اليَقِينِ وَاكْرَعْ فِي شُرْبِهَا

لِئَلَّا تَمِيدَ فِي أَوْهَامِ أَرَاضِيهَا
وَتَبْقَى بِلَا فَجٍّ فِي مَسْلَكِ بَحْرِهَا

فَهَا هُوَ سَمَاءُ الْحَقَائِقِ سَقْفُهَا
مَحْفُوظٌ عَنْ أَنْ يَرَاهُ غَيْرُهَا دُونَهَا انتهى

اعلم أنّ معنى قوله تعالى: «هُوَ الاَوَّلُ وَالاَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»(1) من جهة الظّاهر فقوله هو الأوّل بلا بداية، وهو إخبار عن قدم ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وقوله الآخر أي بلا نهاية وهو إخبار عن بقاء ذاته وصفاته وأفعاله. وقوله الظّاهر أي: بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا حصر، **(نهاية ص 67)** وقوله: والباطن، أي: بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله بلا حلول ولا اتّحاد ولا إخبار عن تنزيه الذّات والصّفات، وجميع الشّؤون الإلهيّة، لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»(2)، فهذا هو معنى ظاهر الآية، والله أعلم. وأمّا باطنها من جهة الإشارة والله أعلم، فأوّليّته سبحانه قد امْتَحَتْ فيها أوّليّة كلّ موجود وآخِريّته، سبحانه قد اضمحلت فيها آخريّة كلّ شيء وظاهريّته سبحانه، قد تلاشى فيها ظهور كل ما سواه، وباطنيّته سبحانه قد زال فيها أثر كلّ شيء، حتّى لم تبق [له](3) بقيّة مع وجود الحقيقة الإلهيّة، ومن

1 - الحديد/ 3

2 - الشورى / 9

3 - ب : ساقطة

هنا قيل: الفناء محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال، فإن قلت: لا بدّ من وجود الخلقيّة والحقّيّة، وإلّا وقع تعطيل الأسماء والصّفات والأفعال. قلنا: الخلقيّة والحقّيّة لا بدّ منهما، ولو مع شدّة الظّهور. لكن مثل ظهورها في الحقيقة الّتي هي الكنزيّة كمثل ظهور الثّلجة في وجود الماء، فإن قلت: بالثّلجة، فأين وجود الماء؟ وإن قلت بالماء فأين وجود الثّلجة ؟، أو نقول مثل ظهورها فيها كأمواج البحر، فإن قلت بالأمواج، فأين البحر ؟ وإن قلت بالبحر، فأين الأمواج ؟، فافهم -فهّمنا الله وإيّاك- معاني هذه الحقائق الإلهيّة ومن هنا قيل:

**فتّشت من يفنى *** إيش هو الفنـــاء.**

وانظر يا أخي هل كان ما كان في أزله قبل خلقيّة خلقه خاليا من وجود سبحانه حتّى ظهرت فيه الخلقيّة دونه، لا والله، ما هو إلّا كالثّلجة مع الماء، وانظر ما رواه صلّى الله عليه وسلّم من الأحاديث القدسيّة وهو قوله: «كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخَلَقت الخلق فتعرّفت لهم، فبي عرفوني»[1] فافهم قوله: «فبي عرفوني» تستفد، وقوله صلّى الله عليه وسلّم أيضا جوابا (**نهاية ص 68**) لمن سأله عن كونيّة الحقّ قبل أن يُخلق الخلق. فقال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء». الحديث[2]. وقد قال أئمّة الدّين في قوله: ليس فوقه هواء ولا تحته هواء، أي لا حقّيّة ولا خلقيّة. وقالوا أيضا: كان في عمى، وهو الآن في عمى، إلى غير ذلك والسّلام.

وانظر قول أهل الظّاهر في تنزيه الحقّ تعالى: ليس بخارج عن العالم ولا بداخل فيه ولا بمتّصل ولا بمنفصل، لأنّ الثّلجة هي الماء. والماء هو الثّلجة حقيقة، والسّلام.

---

1 – مرّ تخريجه.

2 – مرّ تخريجه.

Scanned with OKEN Scanner

اعلم يا أخي أنّ مراقبة الخلق لا تصلح بالفقير، وقد قيل: من راقب الناس مات غماً، «وفاز باللّذات الجسور»[1].

ولا شكّ أنّ مراقبة الخلق يتفرّع عنها أعظم المصائب، وهو الرّياء الّذي ينشأ عنه الشّرك المُحبِط للعمل والعياذ بالله. وصاحبه يكون داخلا في حيّز من نزل فيهم قوله تعالى: «يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلًا»[2]. وما كنتَ فيما مضى من أهل هذه الصّفات، بل كنّا نظنّ فيك أنّك من أهل الله الّذين قالوا: ربُّنا الله بالشّهود والعيان، ثمّ استقاموا بالرّجوع إلى الله والتّحقّق بأوصاف العبودية من الذل والفقر والضّعف والعجز، ليتمكّن فيك بسبب ذلك الاستمداد بأوصاف الرّبوبيّة من القدرة والقوّة والعزّ والغنى، حتّى لا يغلبك غالب من جميع الأحوال والواردات الخلقيّة والحقيّة. فإذا بك قد تبيّن أمرك وافتضح على رؤوس الأشهاد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، حتّى صار يتعقّل علينا من لا علم له بحالنا ولا معرفة له بأهل الله، ولا بطريقهم ويتغامزون ويستهزؤون بأهل طريقنا جميعا، ولا حول ولا قوّة إلا بالله «إِنَّا لله وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[3]».

وأعلمك أيضا بما وقع بمن كان مغلوب الطّبع من الضّلال والطّرد والعياذ بالله، وذلك (نهاية ص 69) أنّ بعض أصحاب أستاذنا رحمه الله قد شغّل مصباحه منه في أقرب مدّة، وتصدّر للمشيخة ونال منه أسرارا عظيمة، بحيث صار كلّ من لقيه يجذب من حينه، ويظهر عليه حال عظيم. فلمّا تعرّضت له الدّنيا سلبته حتّى أعرض عن

1 - حديث: «فاز باللذة الجسور». قال السخاوي: لا أعرفه. (ينظر: الأسرار المرفوعة، ص252).

2 - النساء/ 141.

3 - البقرة/ 155.

Scanned with OKEN Scanner

الشّيخ رحمه الله وترك ورده، وأمر أصحابه بالرّجوع إلى ورد[1] الشّيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله. نسأل الله السّلامة والعافيّة. وسببه في ذلك اتباعه لأصحابه وموافقته لهم في نظرهم، والسّلام.

اعلم يا أخي أنّي أسأل الله أن يحشرك: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

---

1 - وِرْد الفاتحة للشيخ عبد القادر الجيلاني: بسم الله الرحمن الرحيم
«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» مُنوِّر أبْصار العارفين بِنُور المعْرفة واليقين، وجاذب أزمّة أسْرار المُحققّين بِجذبات القُرْب والتّمْكين، فاتح أقْفال قُلوب المُوحّدين بِفاتحة التّوْحيد والفتح المُبين، «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ».
«الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ» العزيزِ الحكيم العليِّ العظيم الأوّلِ القديم، خاطب مُوسى الكليمَ بِخِطاب التّكْريم، وشرّف نبيّه الكريم بالنّص الشّريف «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ».
«مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قاهر الجبابرة والمُتمرّدين، ومُبيد الطُّغاة الجاحدين، ذلكم الله ربُّكُمْ فتبارك الله أحسن الخالقين، فيا منْ لا شريك له ولا مُعين.
«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» مُعْترفين بالْعجز عن القِيام بحقّك فِي وَقْتٍ وحِينٍ، يا باعث الرِّيح العقيم، يا مُحْيِيَ العِظام وهِيَ رميمٌ.../...
«اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» صِراط أهْل الإخْلاص و التّسْليم، «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» صِراط الّذين تسلّوا بالهُدى وفرحوا بما لدَيْهم، «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» هبْنا اللّهمّ مِنْك مواجب الصّدّيقين، وأشْهدْنا مشاهد الشّهداء، ولا تجْعلْنا ضالّين ولا مُضلّين، ولا تحْشرْنا فِي زُمْرة الظّالمين، «وَلَا الضَّالِّينَ» آمين.
اللّهمّ بِحقّ هذه الفاتحة افْتح لنا فتْحًا قريبًا، اللّهمّ بِحقّ هذه الشّافية اشْفنا مِنْ كُلِّ آفة وعاهةٍ فِي الدُّنْيا والآخرة، اللّهمّ بِحقّ هذه الكافية اكْفنا ما أهمّنا مِنْ أمْر الدُّنْيا والآخرة، وأجِرْ تعلّقاتي وتعلّقات عِبادك المُؤمنين على أجَلّ عوائدك، واشْفع لنا بِنفْسك عِنْد نفْسك فِي الدُّنْيا والآخرة، إذْ لا أرْحم بِنا وبِهِمْ مِنْك يا أرْحم الرّاحمين، وصلّى الله على سيّدنا مُحمّدٍ وعلى آله وصحْبه وسلّم تسْليمًا كثيرًا إلى يوْم الدِّين، والحمْد لله ربِّ العالمين.

عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ»[1]، ونحبّك يا أخي أن لا تكثر كلاما مع البطّالين الّذين غضب الله عليهم ولعنهم. إذ يكفيك في عدّوك قلّة دينه، ولا شكّ أنّ كثرة الكلام معهم لا تزيدهم إلّا فضاضة وغلظة وعنادا، وغير ذلك من المفاسد. ولا شيء أعظم في قهرهم وحيرتهم من السّكوت عنهم والقيام من مجالسهم وتركهم في خوضهم يلعبون، لقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»[2]. وقد كان سيّدي علّي زين العابدين بن الحسين[3] رضي الله عنهما إذا بلغه عن أحد أنّه يُنقصُه، ويتكلّم فيه يذهب إليه ويتلطّف معه ويقول له: «إن كان ما قلت في حقّا يغفر الله لي ولك، وإن كان باطلا يغفر الله لك»، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكان يقف الرّجل على رأسه في المسجد فما يترك شيئا إلّا ويقوله فيه، وهو ساكت عنه لا يردّ رضي الله عنه، وكان ينشد:

وَمَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى لَئِيمٍ
إِذَا شَتَمَ الكَرِيمَ مِنَ الجَوَابِ[4]

---

1 - النساء/ 68.

2 - الانعام/ 92.

3 - هو الإمام علي زين العابدين السجّاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سمي زين العابدين لكثرة عبادته وكنيته: المشهورة أبو الحسن وقيل: أبو محمد وقيل: أبو بكر. وألقابه كثيرة أشهرها: زين العابدين وسيد العابدين والزكي والأمين وذو النفقات والسجاد وبه شهر.

4 - هذا البيت ذكره المعافي وأسنده إلى الأصمعي مع هذا البيت:
مُتَارَكَةُ اللَّئِيمِ بِلَا جوابٍ *** أَشَدُّ عَلَى اللَّئِيمِ مِنَ السَّبَابِ
ينظر: أبو الفرج المعافي بن زكريا النّهرواني الجريري (ت390)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق إحسان عباس، عالم الكتب، ج3،

واستطال عليه رجل مرّة فتغافل عنه، فقال له الرّجل: «إياك أعني». فقال له: «وعنك أُغضي» وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبّه. فبادرت (نهاية ص 70) إليه العبيد والموالي فكفّهم عنه. وقال: مهلا على الرّجل. ثمّ أقبل عليه. فقال: «ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر. ثمّ قال له: ألك حاجة نعينك عليها؟. فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصته الّتي عليه. وأمر له بعطاء فوق ألف درهم. فقال الرّجل: أشهد أنّك من أولاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[1].

فهذا السّير الّذي نحبّك أن تسير عليه يا نعم المحبّ. وقد كان عليه جلّ أكابر أهل الله من مشايخنا الأقدمين إلى الحسن الشّاذلي رحمه الله، ومنه قطب عن قطب الى أوّل الأقطاب وهو[السيد][2] الحسن بن عليّ رضي الله عن جميعهم، وقالوا رضي الله عنهم: قطب التّصوّف هو كفّ الأذى واحتمال الأذى. إلى غير هذا من أحوالهم المرضيّة وأقوالهم الصّادقة الّتي هي موارد إلهيّة ومعاني ربّانيّة والسّلام.

اعلم أنّ ما أوصيتُ به الفقراء إليك ليس هو منّا شكوى، ولا جزع ولا قنوط ولا منازعة للقدر، وإنّما هو سبب شرعيّ في المقصود، إذ لا بدّ من الأسباب وجودا والغيبة عنها شهودا، كما قال الأئمّة الّذين من مشايخنا المحقّقين رضي الله عنهم، وجعلناكم واسطة في ذلك لعلّ القدر يوافقكم فيه، لأنّ النّاس قالوا الحاضر بصير. وأمّا نحن فما لنا توجّه بقلوبنا إلّا لعنصر القدرة الأزليّة لا غير، وهذا هو

---

بيروت، ط1407،1ه1997-م، ص338.

1 - ينظر: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي(ت742)، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق سعد العارف، دار إحياء العلوم بيروت، ط2، 1418ه1997-م، ص218.

2 - ب: السيد.

المراد والمقصود الكلّيّ من جميع أهل المعرفة بالله. وقد قال الشّيخ ابن عطاء الله في الحِكم في مناجاته: «إلهي قد علمت باختلاف الآثار وانتقالات الأطوار، إنّ مرادك منّي أن تتقرّب إليّ في كلّ شيء حتّى لا أجهلك في شيء»[1].

وحملني على ذلك ما فعله الشيخ المواق[2] رحمه الله حين أخِذت الجزيرة وضاق عليه الأمر، ولم يجد حيلة للفرار (**نهاية ص 71**) من بين أظهر الكافرين لأنّه قد روي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ الكَافِرِينَ»[3] فحمله ذلك على الدّخول على الكافر وقبّل يده ليخرجه إلى برّ الإسلام، فأخرجه في الأمان، فهذا هو الّذي حملني على ذلك، والله الموفّق.

وأمّا مُكاتبتك لنا بكلام القوم في مقام الصّبر، فهو صحيح، لأن الأمر في ذلك واسع والرّجال لهم فيه مقامات وطبقات بعضها فوق بعض، لأنّ دائرة الولاية واسعة، والأوليّاء فيها على حسب مقاماتهم، فأهل البدايات هم الّذين يؤمرون بسلوك المقامات كلّها، وأوّلها مقام المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والتّوبة والزّهد والصّبر والتّوكل والرّضا والتّسليم، وغير ذلك .

وأمّا أهل التّوسّط فإنّهم يؤمرون بعدم الوقوف مع هذه المقامات وغيرها بعد حصولها لهم بالذّوق والوجدان، لأنّ الوقوف معها

---

1 – من مناجاة ابن عطاء الله السكندري (ينظر: ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، دار جوامع الكلم، القاهرة، دت، ص88-90).

2 - أبو عبد الله المواق محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي (ت879هـ/ 1492) فقيه مالكي، وعالم غرناطة، من مؤلفاته: التاج والإكليل في مختصر خليل، وسنن المهتدين في مقامات الدين.

3 - مرّ تخريجه.

حجاب عمّا بعدهـا، وهـو أي الوقوف مع المقامات شعبة وعرة صعبة قاطعة لكثير من المنسوبين للطّريق، فلذلك قيل:

وكُلُ مَقَامٍ لاَ تُقِمْ فِيهِ إِنَّهُ
حِجَابٌ فَجِدَّ السَّيْرَ واسْتَنْجِدْ العَوْنَا
وَمَهْمَا تَـرَ كُلُّ المَرَاتِبِ تُجْتَلَى
عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
وَقُلْ لَيْسَ لِي فِي غير ذَاتِكَ مَطْلَب
فَـلاَ صُورَةٌ تُجْلَى وَلاَ طُرْفَةٌ تُجْنَى[1]

وأمّا من بلغ النّهاية في وسع الولاية فهو مُنزّه عن المقامات والدّرجات كلّها، لأنّ من كان في حضرة الحقّ لا مقام له، وإن توهّم فيه من لا علم له بحاله في وسع معرفته الجزع وقلّة الصبر والشّكوى من ذلك كلّه، فهو بريء من ذلك كلّه، هذا أيّوب عليه السّلام قال: «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[2]. فقد أظهر (نهاية ص 72) الشّكوى مع قوّة علمه به، وهو يعلم أنه عالم بمضارّه ومنافعه، وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يأتي الوفود الّتي تأتي مكّة ويقول لهم: انصروني واتّبعوني فيما نأمركم به من قتال قريش فبعضهم يسخرون منه، وبعضهم يتوقّفون على مشورة أكابرهم حتّى عاد قريش يسمونه صلّى الله عليه وسلّم المذمّم. ومع هذا فقد كان صلّى الله عليه وسلّم أعرف الخلق بالله وأقوى من كلّ أحد في الاكتفاء بالله وبعلمه دون سواه، إذ لم يدركه منّا سابق ولا لاحق صلّى الله عليه وسلّم. فنحبّك

1 - أبو الحسن الششتري، الديوان، تحقيق علي سامي النشار، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1960، ص73.

2 - الانبياء/ 82.

أن تفتّش على أهل هذا الفنّ، وتصحبهم وتجالسهم لعلّك تدخل معهم في بلدهم. وحينئذ تعلم مقاماتهم ومنازلهم وتفهم مقاصدهم في جميع أمورهم الحسيّة والمعنويّة وتُنزل كلّ واحد منزلته. وأمّا من لا يدريهم ولا يسلك طريقهم بالذّوق والوجدان، فربّما نقّص أكابرهم وكمّل أصاغرهم كما هو شأن كثير من النّاس اليوم، وقبل اليوم يتخذون مشايخ لا علم لهم بحقيقة المشيخة والتّربيّة ويعتقدون فيهم الولاية الكبرى، [بل ربّما يقطّبونهم وهم جُهّال بها، وبأحوالهم. وفي علمك أنّ][1] الأعمى لا يقود مثله، بل من كان على بصيرة من الله هو الّذي يقود غيره إلى بلاد السّلامة قال تعالى: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي»[2]. فتب إلى مولاك يا إنسان قبل أن يفوتك الزّمان. ويرحم الله القائل:

وَاصْحَبْ مِنَ الإِخْوَانِ كُلَّ مُهْتَدِ
إِنَّ القَرِينَ بِالقَرِينِ مُقْتَدِ
فَصُحْبَةُ الأَخْيَارِ لِلْقَلْبِ دَوَاءٌ
تَزِيدُ لِلْقَلْبِ نَشَاطاً وقُوَّة
وَصُحْبَةُ البَطَّالِ دَاءٌ وَعَمَى
تَزِيدُ لِلْقَلْبِ السَّقِيمِ سَقَمَا
فَإِنْ اتَّبَعْتَ سُنَّةَ الرَّسُولِ
فَلْتَتَجَنَّبْ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ[3]

---

1 - ب: ساقطة.

2 - يوسف/ 108

3 - محمد الوالي بن سليمان الباغرمي(ت1710)، من أرجوزة أوصيكم يا معشر الإخوان، على الموقع: https://www.unilorin.edu.ng/publications/.../

(نهاية ص 73)

وقد قلنا في بعض رسائلنا: إنّ العلم طيّار يسوق صاحبه إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار، والجنّة جنّة المعارف ولا شيء أعظم منها وأرفع منها، ومن دخلها لا يشتاق إلى جنّة الزّخارف، والنّار نار الحجاب ولا شيء أشدّ منها عذابا ونكالا، نسأل الله السّلامة والعافية.

فهذه ثمرة العلم فعليك بالعمل به، وبصحبة أهله القائمين به الرّاسخين فيه، الجامعين بين حقيقة وشريعة، إذ الشّريعة بلا حقيقة تعطيل، كما أنّ الحقيقة بلا شريعة تعطيل والجمع بينهما كمال، كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم، وقالوا أيضا: قوم حجبوا بالشّريعة عن الحقيقة وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشّريعة، وقوم جعلوا الشّريعة بابا والحقيقة إيابا: «أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون»[1] وقالوا أيضا: من تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق،ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقّق. إلى غير هذا، والسّلام.

اعلم يا أخي أنّ مخالطة أهل الدّنيا قبل الرّسوخ والتّمكين في بلد العيان سُمّ قاتل للقلوب والأرواح، والصّادق يا أخي لا يمتّع أحدا من أهل الدّنيا من كلامه، ولا من نظره ولا من جلوسه لأنه سُنّيّ. وقد كان سيّدي العربي بن عبد الله رضي الله عنه لا يستطيع الجلوس مع أهل الدّنيا، ولا يستطيع أيضا أن يسمع أيضا [فوق][2] كلمتين أو ثلاث في أمور الدّنيا، كما في علمك. وأمّا خوف إذاية الخلق فالفقير

usman2.d

1 - المجادلة / 21

2 - ب: ساقطة.

الصّادق لا يبالي بذلك. لأنّ ذكر الله والانقطاع إليه يكفيه كلّ ما سواه: «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءامَنُوا»[1]. عداوة العدو حقّا هي اشتغالك بمحبّة الحبيب، لا تشتغل بمن يؤذيك قط، واشتغل بالله يردّه عنك لأنّه هو الّذي حرّكه عليك ليختبر دعواك (نهاية ص 74) في الصّدق وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير، فاشتغلوا بإذاية من أذاهم فدام الأذى مع الإثم عليهم، ولو اشتغلوا بالله لكفاهم أمرهم. وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا ينفع حذر من قدر، دع [الدّنيا][2] لبانيها، إن شاء هدمها وإن شاء أقامها، والخوف المفرط لا يقول به أحد لأنّه يوجب اليأس من رحمة الله: «إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»[3]، والرّجاء المفرط أيضا لا يقول به أحد لأنّه يوجب الأمن من مكر الله: «فلاَ يَامَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»[4]. والحالة الكاملة هو أن يكون الجمع بين الخوف والرّجاء، بحيث لا يغلب أحدهما على الآخر. قال أستاذنا الشّريف رحمه الله في بعض رسائله: فإن قال قائل: نرى أهل مقام الفناء والبقاء يخافون ويرجون، والخوف والرّجاء من صفات النّفس وهي كذلك. قلت لهم: كذلك هم لأنّهم رضي الله عنهم مهما ورد عليهم الخوف ورد عليهم الرّجاء، ومهما ورد عليهم الرّجاء ورد عليهم الخوف إلى آخر ما في علمك. والسّلام.

---

1 - الحج/ 36

2 - ب: الدار

3 - يوسف/ 87

4 - الاعراف/ 98

اعلم أنّك أشرت إلينا في مكتوبك أنّ ذهابك إلى البلاد الفلاني على وفق مراد الله لا غير، لأنّ: «سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار»[1] كما في الحكم. نعم، هذا هو المراد والغالب على أهل الصّدق، إذا ما دام المُريد في الطّريق، وهو مطلوب بسلب الإرادة إلى الله، وترك الاختيار حتّى يكون بين يدي الله كالميّت بين يدي الغاسل، يقلّبه كيف شاء. وجلّ الله على هذه الحالة إلّا أنّ خواصّ الخواصّ يرتقون إلى مقام أعلى من المقامات كلّها، وهو الجمع بين السّكر والصّحو، أو نقول بين الجذب والسّلوك وهكذا. فعند ذلك يردّهم الله إلى اختيارهم فيختارون باختيار الله ويتركون الاختيار كذلك بالله، **(نهاية ص 75)** لأنّهم بالله في الاختيار وفي ترك الاختيار، كما قال الشّيخ ابن معاذ الرازي[2] رحمه الله: ما دمت في الطّريق لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتّى تعرف، فإنّك إن عرفت يُقال لك: إن شئت اختر وإن شئت لا تختر، لأنّك إن اخترت فباختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانّك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار. أه.

ولا يحصل لأحد [هذا][3] المقام حتّى يفنى عن نظره ولم يكن، ويبقى من لم يزل، وعلامة صاحب هذا الحال أن يكون في نسك عظيم دائما، وفي صحوٍ عظيم دائما جامعا بينهما، وقويا فيهما القوّة الكبيرة، ويتقوّى في بعض الأوقات سكره وصحوه حتّى يكاد جلده أن يتمزق، وذاته أن تمحق وبعد ذلك يقوّيه الله قوّة لم يعرفها، ولم يحدّثه

---

1 - الحكمة الثالثة.

2 - أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، وصفه الذهبي بأنه «من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة». خرج إلى بلخ وأقام فيها، ثم رجع إلى نيسابور ومات فيها يوم 16 جمادى الأولى سنة 258 ه.

3 - ب : من.

محدّث بها، وذلك بأن يجعل قوّته في ضَعفه، وقدرته في عجزه، وغناه في فقره، واتّصاله في انقطاعه وجمعه في فرقته، وهكذا. كما قال أستاذنا رحمه الله في بعض رسائله مخبرا عما حصل له من الوصول والاتّصال بلا انفصام ولا انصرام أبد الآبدين، والله الموفّق. فنسأل الله أن يجعلنا من أهل هذا الشّراب وأن يديمه لنا بجاه سيّدنا محمّد وآله صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين، آمين.

مِنْ أَحْسَنِ المَذَاهِبِ
سُكْرٌ عَلَى الدَّوَامْ[(1)*]

وَأَكْمَلِ الرَّغَائِبْ
وَصْلٌ بِلَا اِنْصِرَامْ[(2)]

والسلام.

---

1 * البيتان لأبي الحسن الششتري (سبقت ترجمته)، ولكنهما في مدونة المؤلف بيت واحد، على الشكل الآتي:

مِنْ أَحْسَنِ المَذَاهِبِ سُكْرٌ عَلَى الدَّوَام**وأَكْمَلُ الرَّغَائِبِ وَصْلٌ بِلاَ انْصِرَام

2 - أبو الحسن الششتري، الديوان، مصدر مذكور، ص380.

## [التّلوين والتّمكين:]

اعلم - رحمك الله - أنّك سألتنا عن التّلوين والتّمكين، هل التّلوين للقلب والتّمكين للرّوح أو العكس؟. فاعلم أنّ الكلام في ذلك واسع، وها أنا أجيبك إن شاء الله باختصار. وذلك أنّ مقام التّلوين صفة أرباب الأحوال، وهم أهل الفناء في الصّفات قبل الفناء في الذّات، ولا يكون ذلك إلّا مع وجود بقايا النّفس، وتحت حُجب العقل والقلب، وصاحب هذا المقام المحاضرة (نهاية ص 76)، وهذا حال عامّة أهل الطّريق، وأمّا التّمكين فهو حال أهل الفناء في الذّات، إذ الذّات ثابتة الوجود لا تحول ولا تزول، فلذلك صارت منزّهة عن التّغيّر. وهذا المشهد لا يكون إلّا بمطالعة الرّوح العلويّ الجبروتيّ للذّات الاقدس من غير حجاب ولا ساتر، ولا يكون ذلك إلّا بعد الصّحو من رعونات الدّهش الموجب لبقايا ضمضم[1] البشريّة، وبعد محو بقايا النّفس كلّها أيضا، ولهذا قالوا: الفناء محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال. واسمع ما قال القطب أبو الحسن مولاي عليّ الجمل رحمه الله في كتابه قال: أعلم أنّ الفناء فناءان فناء حسيّ بالذّات وفناء معنوي بالصّفات، إلّا أنّ من المُريدين من حصل له علم الفناء بالذّات ولم يحصل الفناء بالصّفات، ومنهم من حصل له الفناء بالصّفات ولم يحصل له الفناء بالذّات، والمتمكّن هو الّذي جمع بين الفناءين الفناء بالذّات والفناء بالصّفات، إلّا أنّ الفناء بالصّفات قول والفناء بالذّات فعل[2]. إلى آخر كلامه.

---

1 - ضمّ الشيء وجمع ما تفرّق منه.

2 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص295.

وقـال السَّـهرَوَرْدِي[1] رحمـه الله في بعـض كلامـه، ومنهـا التلّويـن والتّمكـين: «فالتّلويـن لأربـاب القلـوب لأنّهـم تحت حجـب القلوب، وللقلـوب تخلُّـصٌ إلى الصّفـات، وللصّفات تعـدّد بتعـدّد جهاتها، فظهر لأربـاب القلوب بحسـب تعدّد الصّفـات تلوينات، ولا تجاوُز للقلوب وأربابهـا عـن عـالم الصّفـات. وأمّـا أربـاب التّمكـين فقـد خرجـوا من مشـائم*[2] الأحـوال وخرقـوا حُجـب القلـوب وبـاشرت أرواحَهـم سـطوح نور الـذّات، فارتفـع التّلويـن لعدم التّغـيّر في الـذّات، إذ جلّت ذاتـه عـن حلول الحـوادث والتغـيّرات، فلـمّا خلصوا الى مواطـن القرب مـن أنصبة تجلّي الـذات، ارتفـع عنهـم التّلويـن»[3] إ.ه.

وعنـدي أنّ التّلوين لا يكون للقلـب فقط أو الرّوح فقط، أو لغيرهما مـن عالم الإنسـان، وكذلـك التّمكين لا يختصّ بأحدهمـا دون الآخر بل سـببها قـوّة الوارد(نهايـة ص 77) وضعـف صاحبه أو العكـس، أعني ضعـف الـوارد وقـوّة صاحبـه. كما قال الشّـيخ القشـيري[4] رحمـه الله في

---

1 - شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي (539ه632-ه) أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، صاحب كتاب «عوارف المعارف». وصفه الذهبي ب «الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية» وقال عنه ابن النجار «كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله، والتسليك»

2 * مشـائم: جمع مشيمة، والمشيمة غشـاء ولد الإنسـان يخرج معه يـوم الولادة. والمشـيمة الغلاف (عوارف المعـارف2/ 222).

3 - شـهاب الديـن أبو حفـص عمر السـهروردي، عـوارف المعـارف، تحقيق عبد الحليـم محمـود ومحمـود بـن الشريـف، سلسـلة ذخائـر العـرب، ع73، ج2، دار المعـارف، مـصر، دت، ص222.

4 - عبـد الكريـم بـن هـوازن بـن عبـد الملـك بـن طلحـة أبـو القاسـم القشـيري (376ه - 465 ه)، إمـام الصوفية، وصاحب الرسـالة القشـيرية في علم التصوف،

Scanned with OKEN Scanner

رسالته قال: «واعلم أنّ التّغيّر بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين، إمّا لقوّة الوارد أو لضعف صاحبه، والسّكون من صاحبه لأحد أمرين أيضا، لقوّته أو لضعف الوارد عليه»[1] إ.ه

واعلم أنّ العبد إذا كان ضعيفا، وورد عليه وارد قوّي يظهر أثر ذلك لا محالة على جميع عوالمه، فيتلوّن له القلب والعقل والرّوح والسّرّ وهكذا، لأنّ الوارد يرد أولاً من حضرة قهّار، فلذلك تسجد له عوالم الإنسان كلّها أحبّت أم كرهت، وإذا كان الإنسان قوّيا لا يؤثّر فيه الوارد ولو كان قوّيا، إذ قوّته تبتلع قوّة الوارد فيحصل حينئذ التّمكين للرّوح والسّرّ والقلب والعقل وهكذا.

قال في الرّائية[2]:

وَللنُّورُ فِي كُلّيَّةِ العَبْدِ سَارِي   سِرَايَةُ مَاءِ الزَّهْرِ فِي وَرَقِ الزَّهْرِ
فَيَحْظَى بِهَا رُوحاً وَقَلْباً وَقَالِبَا   وَنَفْسا أَلَا أَكْرِمْ بِذَلِكَ مِنْ بَرِّ[3]

---

ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، الملقب بـ «زين الإسلام»..

1 - أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مصدر مذكور، ص115 الكلمات الموضوعة بين معقوفتين تصحيح لما ورد في متن المؤلف.

2 - هذه الرائية هي التي اشتهرت بالرائية الشريشية، والمسماة: (أنوار السرائر وسرائر الأنوار)، ومجموع أبياتها 141 بيتا، وصاحبها هو أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي، أبو العباس، تاج الدين الشريشي السلوي. متصوف مالكي، برع في علم الكلام وأصول الفقه. له نظم. ولد في سلا (بجوار الرباط عاصمة المغرب)، عام 581 وتوفي عام 641هـ، ونشأ بمراكش ودرس بها وبفاس وبالأندلس، وحج فأخذ عن علماء بغداد ومصر وغيرهما. وتصوف على يد أبي حفص السهروردي (عمر بن محمد) واستقر في الفيوم (بمصر) وتوفي بها، وله قصيدة واحدة وهي المذكورة أعلاه.

3 - ينظر: تاج الدين الشريشي السلوي، أنوار السرائر وسرائر الأنوار، ضمن

ولا شكّ أنّ معيار هذا المقام الكبير وقسطاسه المستقيم هو الاكتفاء بعلم الله في كل حال. إذ المكتفي بالله هو من استوى عنده من يعزّه ومن يذلّه، ومن يقرّه ومن ينكره، ومن يعطيه ومن يمنعه، ومن يمدحه ومن يذمّه، ومن يُسمِّطه*[1] كالمولود ومن يُحكُّك[القنفود][2]، كما قال أستاذنا الشّريف رحمه الله في بعض رسائله. وحاصله أنّ صاحب هذا المقام لو فقد الدّنيا بأسرها بل حتّى نعيم الجنان لم يستوحش.اه.

## [الذّاكر والمذكور:]

اعلم أنّك سألتني عن الشّأن والسّنّة في أمر الذّكر، هل المطلوب من الذّاكر استحضار معنى الاسم الّذي يذكره والمطلوب اشتغاله بالمراقبة؟، فالجواب: إنّ الأمر في ذلك واسع، وذلك أنّ ما سَهُل على الذّاكر يفعله، لكن الّذي يظهر لي أنّ صاحب البداية لا يسهل عليه إلّا استحضار اللّفظ وتَلَمُّحُهُ بقلبه حتّى تضعف مادّة الحسّ منه وتقوى فيه مادّة المعاني، فحينئذ يسهل عليه الذّكر وحضور معناه.(نهاية ص 78).

فإذا كان كذلك دُفِع الى حضرة مولاه لا محالة، ولا يحتاج الى المراقبة في بدايته، إذ هي متعذِّرة على طالب الوصول الى حضرة الذّات، والّذي يتيسّر له هو ما قلناه، لأنّ في ذلك قرب مسافة الطّريق

---

سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي(40)، على الموقع:
/http://kitabweb-2013.forumaroc.net

1 * يسمِّط المولود: يلف حول وسطه السِّماط، وهو القماط من القماش. والقنفود: القنفذ في العاميات المغاربية.

2 - ينظر: مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، الرسائل، مصدر مذكور،275. (الرسالة الخامسة والخمسون بعد المائة الأولى).

وطيّ المقامات كلّها، وعلى هذا درج الشّاذلية وجُلّ أكابر أهل الله، لأنّ طريقهم طريق الفناء في الاسم دون تدريج في المقامات. وما بعد الفناء في الاسم عندهم إلّا الفناء في المسمّى، وقس على هذا سائر الأسماء، ولكن كلّ اسم يفنى صاحبُه في معناه، [فاسم][1] الذّات لا تفني صاحبها ومستعملَها إلّا في حضرة الذّات. وأسماء الصّفات لا تفني صاحبها ومستعملَها إلّا في حضرة الصّفات. وكذلك أسماء الأفعال لا تفني صاحبها إلّا في حضرة الأفعال وهكذا. ومن هنا كانت الطّرق إلى الله تعالى شتّى والنّاس فيها خاصّة وعامّة. وفوق كلّ ذي علم عليم. ولكنّ لُبَّها هي الطّريقة الشّاذليّة لأنّها مأخوذة عن جلّ أكابر أهل الله، والله أعلم. وقد اختار مشايخنا الشّاذليّة رضي الله عنهم. للسّالك كيفيّة أخرى في ذكر اسم الجلالة «الله»، وهي أن يشخّص حروفه الخمس، وهي: الألف واللّامان والألف المحذوفة والهاء بقلبه دون أن يكتبها في لوح أو حائط أو غير ذلك، ومهما غفل عنها رجع إليها حتّى تضعف مادّة الحسّ من قلبه وحينئذ يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل كما تقدّم.

وقد قال أستاذنا الشّريف مولاي العربي بن أحمد الدّرقاوي الحسني رضي الله عنه في رسالته: إنّ السّرّ في تشخيص حروف الاسم هو سجن النّفس عن الخوض في الحسّ، وحينئذ تُطلَق الرّوح من قيودها وسجنها إلى عالمها الّذي هو حضرة المعاني، إذ سبب قيودها تقوية معاني الحسّ. والله أعلم.

وأمّا ذكر الصّلاة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فالمطلوب فيه لصاحب البداية استحضار معنى الصّلاة، مع اشتغاله بالمناجاة

---

1 – ب : أسماء

الّذي تضمّنها (نهاية ص 79) لفظ اللهمّ حتّى يحصل له الإدمان لها والتولّع بها. فحينئذ يسهل عليه استحضار صورته صلّى الله عليه وسلّم الكريمة حتّى لا تغيب عنه ساعة، بل يحصل له الفناء فيها حتّى لا تغيب عنه طرفة عين، كما وقع لكثير من أهل الله. وقد كان شيخ شيخنا وهو مولاي عليّ الجمل رحمه الله على ما ذكرناه من استحضار صورته صلّى الله عليه وسلّم، وصار يخبر عن ذلك المقام بقوله: مهما خطر ببالي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو تذكّرته إلّا وكان حاضرا بين يدي هو وأصحابه العشرة وذلك حسّاً لا معنى يقظة لا مناماً، وكنت أخذ عنه العلوم الظّاهرة والباطنة ،وكان يخبرني بالمغيّبات. انتهى.

ولكن سألت عن هذه المعاني الّتي درج المشايخ في سلّم الولاية بسببها، ودرّجوا المُريد الصّادق صاحب القريحة الكبيرة عليها وساعدهم الوقت، ونحن لسنا أهلا لذلك، إذ ما نرى في هذه الأزمنة إلّا المدّعين دون حقيقة، بل ولا شريعة، ولا أدري أيُّ المصيبتين أعظم فَقْد الشيخ المُربّي، أو المُريد الصّادق؟، على أنّا لا نقول بانقطاعهم وعدم وجودهم، بل لقلّتهم وخفائهم بين أظهرنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ،والبركة لا تنقطع حتّى تطلع الشّمس من مغربها. والله الموفّق، والسّلام.

اعلم -رحمك الله- أنّ طريق السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك هي الّتي كان عليها الأكابر من أولياء الله عزّ وجلّ قديما وحادثا كالشّيخ الجنيد والشّيخ أبي يزيد البسطامي والشّيخ الجيلاني والشّيخ أبي الحسن الشّاذلي والشّيخ مولاي عبد السّلام بن مشّيش من مشايخنا

رضي الله عنهم جميعا[1]. فأوّل بدايتها المجاهدة ثمّ المحاسبة ثمّ المراقبة ثمّ المكاشفة ثمّ المشاهدة ثمّ المعرفة. المجاهدة والمحاسبة والمراقبة بداية، وهذه الحالة لابدّ أن تخرج صاحبها إلى المكاشفة وهي الفناء في الصّفات، والفناء في الصّفات (نهاية ص 80) هو وسط الفناءات الثّلاثة، أعني الفناء في الأفعال، والفناء في الصّفات والفناء في الذّات. وهو أيّ الفناء في الصّفات يزُجُّ صاحبه إلى الفناء في الذّات والغيبة في مشاهدتها مع سقوط الحجاب البتّة، ويعبّرون عنها بالنّهاية، وهذه الحالة تزُجّ صاحبها إلى البقاء بالذّات في الذّات، والصّفات بالصّفات. ويعبّرون عن هذه الحالة بنهاية النّهاية وغاية الغايات: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»[2]. ولكنّ سلوك هذه المقامات العليّة الشّريفة لا يكون إلّا على يد شيخ كامل محقّق مدقّق جامع مانع متمكّن من معانيها وأسرارها بالشّهود والعيان وإلّا فلا. لأنّ من لم يكن له أستاذ فهو بطّال وحذف الوسائط اختلال، كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم. وقال الشّيخ محي الدّين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه: من لا شيخ له لا قبلة له. وقال أيضا: من لا شيخ له فالشّيطان شيخه. إلى غير هذا، فإيّاك أن تطمع في سلوك طريق أهل الله دون معرفة أهلها السّالكين لها شريعة وطريقة وحقيقة، والسّلام.

## [مراتب النّفس:]

اعلم أنّ سلوك طريق الصّوفيّة لا يكون إلاّ بمعرفة النّفس، لأنّ من عرف نفسه فقد عرف ربّه، ولا شكّ أنّ للنّفس سبع مراتب،

---

1 - كتب على الهامش بخط مغاير: فأول بداية الشاذلية المجاهدة ثم المحاسبة ثم المراقبة ثم المشاهدة ثم المعرفة. والثلاثة الأُوَّل بداية، والباقي نهاية.

2 - النجم/ 41

فأوّلها: النّفس الأمّارة بالسّوء، كما حكى الله في كتابه العزيز عن الكريم بن الكريم يوسف عليه السّلام بقوله: «وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ»[1]. فإن جاهدها المُريد وأخرجها من هذه المرتبة تصير لوّامة، وذلك أنّها تلومه على فعل الشّر. وهذه هي المرتبة الثّانيّة، ثمّ يدخل في المرتبة الثّالثة وهي الملهمة، وذلك بأنّ المُريد إذا دام على مجاهدتها يخفّ عنها حال الظّلمة ويقوى فيها حال النّور. وحينئذ تلهمه لفجورها وتقواها بإلهام من الله، وحينئذ يدخل في المرتبة الرّابعة وهي الزّاكية، وهي المعنيّة بقوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»[2]، أي بتقوى مولاه وطاعته ثمّ تزجّه هذه الحالة إلى (نهاية ص 81) المرتبة الخامسة وهي المطمئنّة بذكر مولاها والرّجوع إليه في كل حال. فإذا تمكّن من هذه المرتبة تزجّه إلى المرتبة السّادسة، وهي الرّاضيّة أي بما تجلّى لها به مولاها، من جلاليّات وجماليّات وشرّيّات وخيريّات، إلى غير ذلك، فإذا تمكّن من هذه الحالة تزجّه الى المرتبة السّابعة وهي المرضيّة، أي الّتي ارتضاها مولاها واجتباها إلى حضرته مع أهل حضرته وأدخلها في جنّة معرفته، لأنّ الجنّة جنّتان: جنّة المعارف وجنّة الزخارف، فجنّة المعارف معجّلة وجنّة الزّخارف مؤجّلة ومن دخل جنّة المعارف لا يشتاق لجنّة الزّخارف، والسّلام.

اعلم أنّ مقام علم اليقين هو مقام المحاضرة، والمحاضرة هي أوّل مبادئ التجلّيات بالذّوق والوجدان، وأمّا مقام عين اليقين فهو وسط التجلّيات، وهو الشّراب من عين الحقيقة، وأمّا مقام حقّ اليقين فهو غايتها، ولصاحبها الرّي من شراب بحر الحقيقة الإلهيّة،

1 – يوسف/ 53

2 – الشمس: 9

وصاحبُه لوسعه في الشّراب دائما يقول: هل من مزيد، وهو في التّرقّي والزّيادات أبد الآبدين، والسّلام.

[في بيان حقيقة الذّكر:]

اعلم أنّ الذّكر هو المفتاح لِمُغلَق باب الولاية الكبرى. فمن اعتنى به وتولّع به نالها حقًّا إن شاء الله. قال بعض السّادات رضي الله عنهم: «الذّكر منشور الولاية، فمن أُعطي الذّكر فقد أعطى المنشور، ومن منع الذّكر فقد عزل»[1]، وقال آخر:

وَالذِّكْرُ أَعْظَمُ بَابٍ أَنْتَ دَاخِلُهُ

للهِ، فَاجْعَلْ لَهُ الأَنْفَاسَ حُرَّاساً[2].

والسّلام.

اعلم أنّ الاستغراق في ذكر الله تعالى يوجب الفناء فيه حقّا، والفناء فيه يوجب مشاهدة ذاته وصفاته وأسمائه بالعيان حقّا، وكذلك الاستغراق في الصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوجب الفناء فيه حقّا، والفناء فيه يوجب مشاهدة ذاته الكريمة وصفاته العزيزة بالعيان حقّا كما أخبر الشّيخ أبو العبّاس المرسي (نهاية ص 82) رحمه الله عما وقع له من ذلك حيث قال: «لي أربعون سنة ما حُجبت عن الله، ولو حُجب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[3]. وكذلك ما أخبر

---

1 - تنسب العبارة لأبي علي الدّقاق، لمزيد من التفصيل ينظر: الرسالة القشيرية، مصدر مذكور، ص265.

2 - لم نقف له على قائل، وعزاه بعضهم إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه.

3 - ينظر: تاج الدين بن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي

به مولاي عليّ الجمل رضي الله عنه بقوله: مهما خطر ببالي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو تذكّرته إلّا وكان حاضرا بين يدي هو وأصحابه العشرة. وذلك حسّاً لا معنى يقظة لا مناماً. وكنت آخذ عنه العلوم الظّاهرة والباطنة، وكان يخبرني بالمغيّبات، فكنت آخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل، وآخذ الحقّ والتّحقيق من عين الحقّ والتّحقيق، وآخذ الصّدق والتّصديق من عين الصّدق والتّصديق. إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

وكذلك ما أخبر به شيخنا قطب الوجود مولانا العربي بن أحمد الشّريف الدّرقاوي رحمه الله حيث قال: كنت أشاهد ذات الله في ذات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، في ذات الله والكون قد غبت عنه بالكلّيّة، إلى آخر كلامه رضي الله عنه، إلى غير هذا من كلام أكابر أهل الله رضي الله عنهم. ولكن من ادّعى شهود الحقيقة الإلهيّة من غير الاكتفاء والغناء عمّا سواها فهو كذّاب وحاله يكذّبه أو يصدّقه، والله الموفّق. وقد قال لنا أستاذنا رضي الله عنه: من ادّعى الوصول إلى الله فانظروا هل حصل له الاكتفاء به أولا؟، إلى آخر كلامه. وسبب هذه النّتيجة العظيمة هو الفراغ من الشّواغل كلّها والإعراض عنها قلبا وقالبا ومخالفة الهوى دائما والإقبال على الله بالكلّيّة، والسّلام.

كُلُّ مَنْ يَهْوَى ولَا يَهْوَى الرَّسُولَ كَيْفَ يَعْبَأُ بِهِ
هُوَ بَابُ اللهِ مَا تَمَّ وُصُولْ
إِلَّا مِنْ بَابِهِ حُبُّهُ فَرْضٌ عَلَيْنَا لَا يَزُولْ

---

العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، مكتبة القاهرة، ط3، مصر، 2004، ص162.

اللهُ أَوْصَى بِــهِ فَأَطِيعُــوا اللهَ والرّســولْ
وافْنَوْا في حبِّـهِ هُوَ عَـيْنُ الوُجُودِ يَـا مَقْبُولْ[1]

(نهاية ص 83)

فَشَـاهِدْهُ مِنْــهُ بِــهِ فِيــهِ وَإِيَّـاكَ ثُـمَّ إِيَّـاكَ يـا مَعْلُـولْ
أَنْ تَـرْضَى الدَّنِيــةَ فِي دِينِـهِ هُـوَ إِمَـامُ الأَنْبِيَـاءِ وَالرُّسُـلْ
وَأَصْـلُ الأَرْوَاحِ يَـا نَبِيـهْ بِهـذَا جـاءَ المُنْـزُولْ
عَــنْ رَسُــولِــهِ وَنـبِيـهْ فَأَيـنَ تَهـرُبْ يَـا مَخْـذُولْ
وخَـيرُ الأَدْيَـانِ دِينُـهْ قَـدْ اِجْتَمَـعَ كُلُّ مـا نَـزَلْ
فِـيـمَا أُنْــزِلَ عَـلَـيْـهْ هَـذَا هُـوَ التَّحْقِيقُ يَـا جَهُـولْ
فَـانْـتَـبِـهْ وَارِجِــعْ إِلَـيْـهْ هُـوَ عَـيْنُ قَلْبِـي مَـا يـزُولْ
وَهُـوَ سَـبَبُ اِرْتِقَـاءِ فِي حُبِّـهْ مَـنْ لَا يَفْنَـى فِيـهِ لَا تَقُـولْ
إِنَّــهُ مِــنْ ذَوِي حُـبِّـهْ فَهُـوَ تَأَلُّـفَ عَنْ طَرِيقِ الرَّسُـولْ
وَهُــوَ فِي عَـمًى عَــنْ سِرِّهْ هُـوَ قَلْبِـي وَرُوحِـي وَالْعَقِيْـلْ
وَعَــيـن ذَاتِي فَـانْـتَـبِـهْ هُـوُ الْفَـرْعُ وَأَصْـلُ الأُصُـولْ
وَجَمِيــعُ الْكَــوْنِ مِــنْ سِرِّهْ[2]

1 - من الموشحات والمدائح النبوية الأندلسية المغربية التي لا يعرف لها قائل، وهي من محفوظات الذاكرة الجمعية التي تعرف عند أهل الطرب ب» صنعة شغل» وهي من مشطور الرمل.

2 - من الموشحات التي تداولتها الألسنة ومجالس الذكر، ومقامات الطرب، وحفظتها الذاكرة الجمعية دون نسبتها لقائل بذاته.

Scanned with OKEN Scanner

وله أيضا رضي الله عنه:

أَيَا صَاحِبِي إِنِّي مُخْبِرٌ عَنْ حَقِيقِتِي
مَشَاهِدُهَا كَشْفاً بِعَيْنِ سَرِيرَتِي
فِرَاسَتِي مِيمٌ أَوَّلاً مِنْ مُحَمَّدٍ
وإِبْطِي حَاءٌ مِنْهُ فَافْهَمْ إِشَارَتِي
وسُرَّتِي مِيمٌ ثَالِثٌ مِنْ حُرُوفِهِ
وَرِجْلِي دَالٌ مُنْتَهَى أَحْمَدِيتِي
فَهَا أَنَا ذَا عَيْنٌ اسْمِهُ وَصِفَاتِهْ
أُشَاهِدُ ذَا بِعَيْنِ سِرِّ حَقِيقِتِي
وَهَذَا الجِمْعِ الجَمْعُ غَيْبٌ وَمَشْهَدٌ
وَأَوَّلُ سِرٍّ قَدْ بَدَا مِنْ كَنْزِيَتِي
كَذَاكَ حُرُوفُ الاسْمِ خَمْساً إِشَارَةً
إِلَى أَصَابِعِ أَيْدِي كلَّ الخَلِيقَة
فَأَوَّلُ حَرْفٍ سَالَ مِنْ نُقْطَةِ العَمَى
أَلِفٌ بِنَعْتِ الذَّاتِ ذَاكَ لِحِكْمَةِ
وَمِنْهُ شُكِّلَتْ جَمِيعُ المظَاهِر
لإِعْطَاءِ حَقِّ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَاتِ

(نهاية ص 84)

فَسِرُّهُ فِيكَ مَدْفُونٌ وَمُطَلْسَمٌ
وَأَنْتَ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ فِي ضَرُورَتِي
وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ الأَشْيَاءِ وَأَعَزِّهَا
بِهِ يَحْصُلُ ذُهُولُ كُلِّ الخَلِيقَةِ
وَبَعْدَ هَذَا فَلاَ حِجَابَ يُفَرِّقُ
مَا بَيْنَ تِلْكَ الأَسْرَارُ إِلاَّ لِحِكْمَةِ
وَهَذَا دَلِيلُ صَوْنِ السِّرِ وَعِزِّهِ
عَنْ أَنْ يَكُ مَبْذُولاً لِكُلِّ البَرِّيَةِ(1)

وله أيضا رضي الله عنه:
أَيَا سَعْدَ قَلْبِي حِينَ صَارَ حَدِيثُهُ
وَشُغْلُهُ دَائِماً بِخَيْرِ الْبَرِيَةِ
تَرَى عَيْنُهُ مِنْ نُورِهِ مِلْئاً دِيمَتِي
فَلَيْسَتْ تَرَى سِوَاهُ فِي كُلِّ لَمحَةِ
أَرَى ذَاتَهُ عَيْنَ الذَّوَاتِ بَأَسْرِهَا
لأَنَّــه أَصْلُهَا وَمِنْهُ تَجَلَّتِ
أَنَانِيَّةُ الحُبِيبِ فِي صَدْرِي دَائِمًا
بِهِ ذَاتِي مَمْزُوجٌ وَكُلِّ كُلِّيَتِي
وَمَا خُصَّ عُضْوٌ مِنِّي دُونَ غَيْرِهِ
كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي أَغْصَانِ كُلِّ شَجَرَةِ

1 - لم نتمكن من نسبة الأبيات

وَلَمْ أَكُ مَحْجُوبًا بِفَرْعِ جَمَالِهِ
عَنِ الْجَمَالِ الْأَصْلِي الَّذِي هُوَ بُغْيَتِي
فَطَوْعُ يَدِي شُهُودُ ذِي الْجَمَالَيْنِ
أُشَاهِدُ ذَا وَذَا بِغَيْرِ بَيْنُونَةٍ
بِعَيْنِ حقِيقَتِي أُشَاهِدُ شَرْعَنَا
جَلِيًّا يَفِيضُ السِّرُّ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
فَهَذِهِ حَالَتِي فِي سَائِرِ أَوْقَاتِي
بِذَوْقٍ وَوِجْدَانٍ مِنْ غَيْرِ أَدِلَّتِهِ
حَرَامٌ عَلَيْنَا إِنْ كَذِبْنَا فِي وَصْفِنَا
لِذَلِكَ الشَّرَابُ دُونَ ذَوْقِ السَّرِيرَةِ
فَيَا أَخِي زِدْلَهُ وَلَا تَقِفْ دُونَهُ
تَفُوزُ بِهِ كَمَا فَازَ أَهْلُ الصَّفْوَةِ
وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَلَا تَصِفْ إِلَّا مَا
حَصَّلْتَهُ بِالْعَيَانِ دُونَ الْأَدِلَّةِ
وَإِلَّا حُجِبْتَ بِالْعُلُومِ وَرَسْمِهَا
عَنْ مَعْلُومِهَا الَّذِي هُوَ عَيْنُ خِلْقَتِي

وله أيضا رضي الله عنه أبيات مضافة الى أبيات لبعض الأقدمين التّي أوّلها: (نهاية ص 85)

يَـا الْفُقَـرا اصْبَـاغْ ايْـدِيَّ مَنِّـي اوْفَى
اوْلَادْ سِـيدِي مَـا فِيكُـمْ تَـالِي
إِذَا حْضَرْتُـمْ تَحْضَرْ مَكَّـه وَزَمْـزَمْ
وَإِذْ تْـغِـيبُـوا يَـتْـغَـيَّرْ حَـالِي
أَنْتُـمْ عَـيْنُ قَلْبِـي فِي الطْرِيـقْ
أَنْـتُـمْ مُـؤَدْبِـينْ الـتَّـالِي
مَـالَمْ يَقْتَـدِ بِكُـمْ رَاهْ تَالِـفْ
عَـنْ طَرِيـقْ الحَـقْ فِي جْهَـالِي
أَنْتُـمْ شَـمْسُ بَصِـيْرَتِي فَالسْرِيَـرهْ
أَنْتُـمْ إِيَّـايَ فِي حَـالِ الْعِنَايَـة
خَـصْكُـمْ مُـولَانَـا بَـالْمَحَبَّـة
فِي دْخُـولْ الحَـضْرَة بَالْعَيَـانْ
بِأَوْصَافِـه مَدَّكُـمْ فِي حَـالِ الْوِلَايَـة
حَتَّـى صِرْتُـمْ إِيَّـاه فِي الْحُقِيقَـة[1]

[أهل الطريق:]

اعلم يا أخي أنّه لا غناء لأحدٍ عن أهل الطّريق الّذين هم على بصيرة من الله، الجامعين بين السّكر والصّحو، ونقول بين الجذب

1 - لم يفصح المؤلف عن اسم الشاعر، واكتفى بضمير الغيبة في الإشارة إليه، ولم نتمكن من نسبة كل هذه الأبيات. كما تصرفنا في حرف الروي الذي جاء مفتوحا ومختوما بياء للإشباع في كل الأبيات وهذا مما لا يدخل في الضرورات الشعرية.

Scanned with OKEN Scanner

والسّلوك، أو تقول بين الشريعة والحقيقة إلى غير ذلك جمعا تاما بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان. لأنّه لو استغنى أحد عن أحد لاستغنى أبو بكر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكيف وهو لم يفارقه حتّى لقي الله، وإيّاك أن تقول إنّ الإنسان إذا حصل له شيء من علم الطّريق يستغنى عن المشايخ المحقّقين، لا، والله، لأنّ التّرقي والزّيادة في بحر الولاية لا ينقطع أبدا ولا يُحرَم إلّا صاحب الرّضا عن النّفس والقناعة بدون الوصول إلى الله بالذّوق والوجدان. وفي علمك القناعة من الله حرمان، وقد قال أستاذنا قطب الدّائرة مولاي العربي بن أحمد رحمه الله: صاحب الفناء يحتاج إلى المربّي بل حتّى صاحب البقاء إلى آخر ذلك، فكيف بغيرهما من أهل البداية أو الاستشراف على الفناء.

ولتعلمْ أنّ أهل القريحة في سلوك طريق الله وأهل الصّدق في الطّلب لا يستغنون عن الشّيخ المربّي المحقّق الجامع ولو كان لهم شيخ غير كامل إذ المطلوب منهم أن يفتّشوا على الشّيخ المحقّق (نهاية ص 86) الكامل، وإن وجدوه تعلّقوا به وجمعوا هممهم عليه، وتركوا ما كان قبله من مشايخ التّعليم، فأحرى من مات شيخه وتركه غير كامل فواجب عليه أن يفتّش بعده عن الشّيخ المحقّق ليكمله ويتمّم أمره، ولو ترك له تلامذة كثيرة في حياته، وهذا أمر معلوم عند مشايخنا وعند سائر المحقّقين من أهل الطّريق رضي الله عنهم. وقد قال الشّيخ محي الدين ابن العربي رحمه الله: ويجب على الشّيخ اذا رأى شيخا فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشّيخ هو وتلامذته، فإنه صلاح في حقّه وحقّ أصحابه، ومن لم يفعل هذا فليس بناصح لنفسه ولا لأصحابه ولا صاحبَ همّة، بل ساقط الهمّة ضعيفها، بل

ربّما هو محبّ في الرّياسة والتّقدّم على النّاس وهذا في طريق الله نقص ظاهر. إلى آخر كلامه، والسّلام.

واعلموا أنّ أصل المصائب كلّها على جميع المنسوبين إلى الدّين من العلماء والعُبّاد والزُّهاد وغيرهم من أهل النّسك فضلا عن غيرهم هو حبّ الدّنيا والانهماك في أسبابها، إذ هو أشدّ ظلمة لمرآة قلوبهم: «كيف يشرق قلب صُور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل الى الله وهو مكبّل بشهواته»[1] كما في الحكم. وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: «حبّ الدّنيا رأس كل خطيئة وبلية»[2] وروي عنه أيضا أنّه قال: «حب الدّنيا كاد أن يكون كفرا»[3] إلى غير ذلك من الأحاديث النّبويّة الدّالة على ذمّها والتحذير منها. ولا شكّ أنّ معظم الطّرق وأقربها إلى الظّفر بالدّنيا هو حبّ الرّياسة والجاه ومحبّة الاستتباع، لا سيّما من ينتسب الى طريق الصّوفيّة ويتعلّم علمهم ويتوجّه الى المشيخة قبل الرّسوخ والتّمكين في معرفة الله تعالى، فهو أقبح من كلّ قبيح، وأعظم النّاس فسادا وخسرانا، والعيّاذ بالله، ولو كان (نهاية ص 87) ظاهرا بإطعام الطّعام وبمصالح دينيّة أو دنيويّة، لأنّ الظّاهر بذلك قلّ أن يكون مخلصا في عمله، بل ربّما كان ذلك منه شبكة لإقبال الخلق عليه وتربيّة للرّياسية ممن كان حاله هكذا، فهو فاتن مفتون لا يُعبأ به ولا يُلتفت إليه. لأنّ المُريد الصّادق هو الّذي مات قلبه عن كلّ شيء سوى الله، أي يريد الله وحده، ويريد قربه ويشتاق إليه شوقا يوجب ترك شهوات الدّنيا من قلبه، ولا بدّ، ولا

1 -الحكمة الثالثة عشرة.

2 - مرّ تخريجه.

3 - لم نقف له على إسناد.

بدّ يا من كان مراده الخصوصيّة الكبرى. اترك الرّياسة والجاه وكن على السّفليّات وخرق العوائد الّتي تنفّر الخلق عنك، وتثقل على النّاس غاية، فلا تغفل عنها ولا تتركها حتّى تستوي عندك الأحوال كلّها كالمدح والذّم وإقبال الدّنيا وإدبارها، وغير ذلك من الجلاليّات والجماليّات. وكما قال بعض مشايخ الصّوفيّة لمن أراد الاقتداء به في طريق السّير: كن ذنبا ولا تكن رأسا[1] فان الضّربة أول ما تقع على الرأس .اه. أي وقلّ من يسلم منها من الموت، بخلاف المصيبة الّتي تنزل بالّذي يكون ذنبا.

وأعلمك أنّ جل مشايخ الطّريقة كانوا دائما على التّجريد من الدّنيا وخرق العوائد كالشّيخ مولاي عبد السّلام بن مشّيش، والشيّخ المجذوب، والشيّخ سيّدي العربي بن عبد الله ، ومولاي عليّ الجمل وشيخنا مولاي العربي بن أحمد رضي الله عن جميعهم، وكذلك جلّ المشايخ قبلهم كانوا على ذلك اقتداءً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه كان على التّجريد حتّى لقي الله، ولم يترك دينارا ولا درهما، ولا شاة ولا بعيرا، وقد ترك درعه مرهونة عند يهوديّ في صاع شعير لقوت أهله. كما هو معلوم عند الصّحابة رضي الله عنهم. مع أنّه صلّى الله عليه وسلّم خيّر بين أن يكون نبيّا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون عبدا[2] يجوع يوما ويشبع يوما، إلى غير ذلك من

1 – هو من كلام إبراهيم بن أدهم، وزاد: « فإن الرأس يهلك والذنب يسلم» (ينظر: الأسرار المرفوعة، ص270).

2 –يشير إلى الحديث الذي أخرجه الهيثمي برواية عبد الله بن عمر عن النبي(ص) أنه قال: « خيرت بين أن أكون ملكا نبيّا أو نبيّا عبدا، فقيل لي تواضع، فاخترت أن أكون نبيّا عبدا»(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف،1406ه،ج9، ص195).

أخلاقـه الكريمـة وأوصافـه العليّـة، ومـع أنّـه أيضا كانـت تأتيـه الهدايا (نهايـة ص 88) العظيمـة فيفرّقهـا ولا يبيـت عنـده دينـار ولا درهـم.

وقـد روي عنـه صـلّى الله عليه وسـلّم أنّه صـلّى المغرب مـع أصحابه فلـمّا سـلّم قـام مسرعـا، ولم تكـن عادتـه كذلـك، فتعجّـب أصحابـه رضي الله عنهـم، فلـما رجـع سـألوه عـن سـبب قيامـه، فقال لهـم: صلى الله عليـه وسـلّم: «إنّي تذكّـرت تـبرا أهـدي إلينـا فكرهـت أن يبيـت عندنـا فتصدّقـت بـه»[1] أو كـما قـال، فهـذا رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم كان عـلى هـذه الأحـوال الشّريفـة مـع وجـود عصمته مـن جميع المفاسـد، وكذلـك مـن اقتـدى بـه مـن أكابـر أهـل الله مع ثبـوت الحفظ لهـم أيضـا مـن جميـع المفاسـد ووجـود الإذن لهم مـن الله في الرجـوع الى الأسـباب بعـد الرسـوخ والتّمكـين في معرفـة الله بالشّـهود والعيـان، اختـاروا التّجريـد على الأسـباب، وبقوا عليـه حتّى انتقلـوا الى دار البقاء فكيـف بمـن رجـع إلى الدّنيـا والحسّ بنفسـه، وكان يتزاحم عـلى الدّنيا مـع أهلهـا، وهـي جيفـة وطلّابهـا كلاب، والعيّـاذ بـالله، وهو منسـوب الى الدّيـن الكامـل ويتذاكـر في الفنـاء والبقـاء ويدّعيهما لنفسـه، [بل ربّما يشـير إلى القطبانيّـة الكبرى يدّعيها لنفسـه][2] وهو عبد لنفسـه، وهواه، ولا حـول ولا قـوّة إلّا بـالله، وإنّـا لله وإنّ إليـه راجعـون.

## [حقيقة الصّوفي:]

أَوَ مـا علـم هؤلاء المدّعـون أنّ الصّوفيّـة رضي الله عنهـم تكلّموا في طريقهـم وبيّنوهـا وعلّموهـا ومـا تركـوا فيهـا اعوجاجا، وأعطونـا ميزانا

---

1 - رواه البخـاري في صحيحـه، بـاب يُفكِـرُ الرجلُ الشيء في صلاتـه، ح1221، ص295.

2 - ب : ساقطة.

مستقيما على من ادّعى التّصوف بالذّوق والوجدان [فقالوا][1] رضي الله عنهم. [حقيقة][2] الصّوفي: «هو من لا يعرف في الدّارين غير الله[3] ولا يشهد مع الله سوى الله، قد سُخِّر له كلّ شيء ولم يُسخَّر هو لشيء، وسُلِّط على كلّ شيء ولم يُسلَّط عليه شيء يصفو به كدر كلّ شيء، ولا يُكدِّر صفوَه شيء (نهاية ص 89)، قد شغله واحد عن كلّ شيء وكفاه واحد من كلّ شيء»[4] اه، إلى غير ذلك.

فالحذر الحذر أيّها الإخوان من هذه الحفرة الغريقة الّتي هي الدّعوة بلا تحقيق، لأنّ من سقط فيها لا يخرج منها أبدا ولا [ينجو][5] منها، إلّا من نجّاه الله، نسأل الله السّلامة والعافيّة. والسّلام.

## [في العلم والعمل به:]

اعلموا أيّها الفقهاء الّذين لم يعملوا بعلمهم وجعلوه واسطة للدّنيا والرّياسة والجاه وهم يحسبون أنّهم على شيء، أنّ العلم والعمل به هو قوت الأرواح وسبب قربها من الحضرة الأزليّة والاستغراق في مشاهدتها دائما مع ما منح الله أهلها من المكاشفات، والتّصرّف

---

1 – ب : زائدة.

2 – ب : ساقطة.

3 – نسب الهجويري العبارة لأبي بكر الشبلي: « الصوفي لا يرى في الدارين مع الله غير الله»(الهجويري-ق5ه- كشف المحجوب، تحقيق إسعاد عبد الهادي قنديل، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ج1، 1394ه1974-م، ص235).

4 – أحمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مصدر مذكور، ج4، ص94.

5 – في المتن (أ و ب): ينجى.

Scanned with OKEN Scanner

في العوالم العلويّة والسّفليّة حتّى ظهر عليهم سرُّ تغطية الأوصاف بالأوصاف والنّعوت بالنّعوت، وصاروا يقولون بأمر الله للشيء كن فيكون. فهذا هو حال من كان العلم والعمل قوت روحه دائما. وقد قال تعالى في كتابه العزيز: «إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ»[1]، وقال صلّى الله عليه وسلّم «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَالَمْ يَعْلَمْ»[2]. والعلم نور يضعه الله في قلب من يشاء، إلى غير ذلك من الدّلائل الواضحة من الكتاب والسّنّة وكلام السّلف الصّالح في فضل العلم والعمل به، إذ لا شكّ أنّ من عمل به يطلَع عليه نهارُ الأنوار، ويذهب عنه ظلامُ ليل الجهل حتّى لا يبقى له أثر، فعليكم بالعمل به والجدّ في ذلك والقريحة الكبيرة تنالوا ما نالت الرّجال من أسراره، لأنّ الإنسان إذا كان يجتهد في قوت الأشباح ويساعده الوقت في تدبير ذلك فأحرى من يجتهد في طلب القرب من الله بالعلم والعمل، والحال: «لَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا»[3]. وفي رواية: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ» (نهاية ص 90) وقال تعالى: «وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

---

1 - فاطر/ 28

2 - ينظر: الكلاباذي، بحر الفوائد، مصدر مذكور، باب في فضل الكبراء والحكماء والعلماء، ح154، ج1، ص154. الحديث رواه مالك بن أنس. «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم».

3 - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مصدر مذكور، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح6502، ص1617. الحديث: «إن الله تعالى قال من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه».

Scanned with OKEN Scanner

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»[1]، وقال جلّ من قائل: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ»[2]. فلا تشتغلوا يا عباد الله بطلب الدّنيا والاجتهاد في تحصيلها مع خلو اليد من القُرُبات الّتي تقرّب العبد من مولاه، وهي العلم والعمل به، مع صحبة أهل الله: «الذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اِسْتَقَامُواْ»[3] وكانوا على بصيرة من الله، لأنّ ثمرة العلم والعمل به لا تكون إلّا على يد المشايخ الرّبّانيّين، لأنّ من لا شيخ له فالشّيطان شيخه كما قيل، ومن لا شيخ له لا قبلة له، ومن ليس له أستاذ فهو بطّال، وحذف الوسائط اختلال[4] كما قيل أيضا، وقال جلّ وعلا: «يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ»[5]، وقال تعالى: «يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وابْتَغُواْ إِلَيْهِ اِلْوَسِيلَةَ»[6]، وقال تعالى: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا»[7].

## [النّصيحة:]

واعلموا يا إخواني أنّ النّصيحة في الدّين واجبة علينا، لكلّ مسلم لا سيّما أهل طريقتنا، لأنّ أهلها كانوا على النّصيحة دائما قديما وحادثا، ولكنّ الألسنة حرْبة والقلوب سَلْمة كما هو شأنهم رضي الله عنهم،

1 - البقرة/ 185

2 - الذاريات/ 56

3 - الاحقاف/ 13

4 - العربي بن أحمد الدرقاوي، الرسائل، مصدر مذكور (الرسالة السادسة والتسعون)، ص197.

5 - التوبة/ 119

6 - المائدة / 37.

7 - لقمان/ 14

Scanned with OKEN Scanner

وأوصيكم أنّ الظّهور للخلق وصرف الهمّة إليهم دائما يورث الرّياسة لا محالة، والرّياسة تورث العجب والرّياء والتّصنّع ومحبّة الاستتباع، وغير ذلك من العلل، وقد عدّ أكابر الأوليّاء رضي الله عنهم هذه الأوصاف من الشّرك الخفيّ، وفي علمكم أنّ الله تبارك وتعالى قال: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حبِطَ عَمَلُهُ»[1]. ولا شكّ أنّ الشّرك خفيّ وجليّ، فالجليّ أمره ظاهر، وأمّا الخفيّ فلا يشعر به إلّا الرّجال البالغون الرّاسخون المتمكّنون. فإيّاكم من هذه الأوصاف المذمومة القاطعة لجلّ النّاس عن سلوك الطّريق، وهم: «يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ»[2]. (نهاية ص 91) وذلك أنّ أكثر المدّعين للخصوصيّة يحسبون ويتوهّمون أنّهم على الدّين الّذي هو لأهل علو الهمّة عن الدّنيا وأهلها المتنزّهين عن المقامات والدّرجات الّتي سلكها أهل الولاية، وحصل لهم الوصول إلى الله على سبيل الشّهود والعيان. ومع هذا فقد قال المشايخ رضي الله عنهم: دليل الوصول الى الله هو الاكتفاء بالله والغناء به، كما قال الشّشتري رحمه الله في نونيّته:

وَكُلُّ مَقَامٍ لاَ تُقِمْ فِيهِ إِنَّهُ
حِجَابٌ فَجِدَّ السَّيرَ واسْتَنْجِدِ العَوْنَا
وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ المَرَاتِبِ تُجْتَلَى
عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا

---

1 - المائدة/ 6. (يبدو أن المؤلف قد سها فمزج بين آيتين من سورتين مختلفتين عندما أورد: ومن يشرك بالله فقد حبط عمله).

2 - المجادلة:- 18 19.

وَقُـلْ لَيْـسَ لِي فِي غَـيْرِ ذَاتِـكَ مَطْلَبٌ
فَـلاَ صُـورَةٌ تُجْـلَى وَلاَ طُرْفَـةٌ تُجْنَى[1]

وقد قال أستاذنا رحمه الله، كلّ من ادّعى الوصول الى الله، فانظروه فإن حصل له الاكتفاء بالله فهو صادق وإلّا فلا. لأنّ شاهد الوصول هو الاكتفاء بالله، فهذا هو شأن أهل الله قديما وحادثا. وأمّا أهل الدّعاوى العريضة الّذين يعدّون إقبال الخلق عليهم، وكثرة الأتباع لهم من الخصوصيّة الكبرى والتّربيّة الحقيقة وهو بعيد منهما. وقد كنّا في حضرة شيخنا رحمه الله على المحاككة دائما، وذلك بأمره لنا بذلك، المرّة بعد المرّة، ومن جملة ذلك قوله رضي الله عنه: اعلموا أنّ كلّ من ادّعى الخصوصية فحُكُّوا له في الدَّبْرة فإن زعرط فقد أراحكم الله منه، وإلّا فهو منكم. إلى غير ذلك. وقد سمعنا من جماعة من أصحاب أخينا في الله سيّدي محمّد المدني أنّهم لّما تكلّمنا معهم بمذاكرة [حَرْشَا][2] أوصى بعضهم بعضا بعدم ملاقاتنا والوقوف علينا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. مع انّهم يعتقدون أنّي عمّهم. ومن الأدب أنّه إذا فُقد الأب وغاب يُجعل العمّ في موضعه، ويحسن الأدب معه كالأب. وما كان هذا شأن(نهاية ص 92) أهل الله، وإنّما كانوا على الأدب الكبير والإحسان الكبير والحرمة إلى غير ذلك من جميع عباد الله، فضلا عن أهل الله، وقد قال صاحب المباحث[3] في شأن المُريد فضلا عن المنتسب للمشيخة:

---

1 - أبو الحسن الششتري، الديوان، مصدر مذكور،72.

2 - تعبير عامي يراد به : قول فيه غلظة، وموعظة فيها قسوة وخشونة.

3 - يريد أبا العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي. لم يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة.

Scanned with OKEN Scanner

## ظَاهِـرُهُ الأدبُ والأخْـــلاَقُ

## مَـعَ كُلِّ خَلْـقٍ مَالَـهُ خَـلاَقٌ[1]

وفي سوء الأدب مع العارفين بالله عطب كبير، إلى غير ذلك من المهالك، وقد حكي عن الشّيخ الزّيتونيّ[2] رحمه الله في زمانه أنّه كلّ من أساء معه الأدب من أهل الطّريقة هلك، حتّى كان أهل عصره يسمّونه بالحيّة العمياء، وذلك لأنّه كان صاحب أحوال يتلوّن بكلّ وصف ليختبر كلّ من يدّعي المحبّة والخصوصيّة. فمن ثبت معه نال ما نالت الرّجال، ومن أساء الأدب معه هلك، فهذا هو شور الطّريقة يا من يريدها فاستقم كما أمرت، والسّلام.

واعلموا أنّ أعظم المودّة عند أهل الله هي المناصحة في الدّين بين الأحبّة، كما روي: «الدّين النّصيحة»[3] ولا تفهموا منّا أنّنا نكرنا عليكم السّياحة لأجل دلالة النّاس على الله، لا، والله وإنّما مرادنا في هذه المذاكرة معكم التّحذير من عدم الإخلاص في ذلك، لأنّ الإخلاص هو العمدة في الدّين لقوله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

---

1 - ينظر: أحمد بن عجيبة، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، مصر، دت، ص161.

2 - أبو عبد الله محمد الزيتوني، صوفي مغربي، يوصف بالشيخ الرحال وأحد الأولياء الأبدال، وصاحب الكرامات، أسود اللون، أعمى، مجاب الدعوة لقبه الصوفية بالحية العمياء التي لا تعتق من لسعته، لسرعة إجابة دعوته. لا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة، وإن قيل عنه أنه من أشياخ أبي العباس زروق، أي أنه من أبناء القرن التاسع الهجري. ينظر: محمد حجي (تنسيق وتحقيق)، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، بيروت1417ه/ 1996م، ص899و901.

3 -رواه مسلم في صحيحه، مصدر مذكور، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة،ح55، ص44.

Scanned with OKEN Scanner

لَـهُ الدِّينَ حُنَفَـآءَ وَيُقِيمُـواْ الصَّلاةَ وَيُوتُـواْ الـزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِيـنُ الْقَيِّمَةِ»[1]، وقولـه: «أَلاَ للهِ الدِّيـنُ الْخَالِصُ»[2].وقـال في الحِكـم: «الأعـمال: صـور قائمـة، وأرواحَـهـا: وجـود سر الإخـلاص فيهـا»[3]، وقـال بعـض العارفـين: «أعـزّ شيء في الدّنيا الاخـلاص. وكم اجتهد في إسقاط الرّياء عـن قلبي فكأنه ينبت فيـه على لـون آخـر»[4]، إلى غير ذلك، فـإذا حصل الإخـلاص فالدّلالة عـلى الله فيها سرّ عظيـم لقوله صلّى الله عليه وسـلّم: «إنّ أحـبّ عبـاد الله إلى الله الّذيـن يحبّبـون عبـاد الله الى الله ويحبّبـون الله الى عبـاده ويمشـون في الأرض بالنصيحـة»[5]. إلى غـير ذلـك مـن (نهاية ص 93) الأحاديـث النّبويّـة الـواردة في فضل دعـاء الخلق إلى الله، والسّـلام.

## [تجنّب الظهور:]

اعلـم أنّي أحبّـك أن تكون عـلى حذر من الميـل إلى الظّهـور للخلق، إذ بذلـك تتولّـد محبّة الاسـتتباع ومحبّـة إقبالهم على العبـد فيحصل الفخر

---

1 - البيّنة / 5

2 - الزمر:3

3 - الحكمة العاشرة

4 - عـزا ابـن رجـب الحنبلي هـذا القـول إلى يوسـف بـن الحسـين الرازي(جامع الأقـوال والحكـم، مصـدر مذكـور، ص56).

5 - ينظـر: أبـو بكـر عبد الله بـن محمد بن عبيـد بن سـفيان القرشي المعـروف بابن أبي الدنيـا، الأوليـاء، تحقيـق سـعيد بن بسـيوني زغلول، مؤسسـة الكتـب الثقافية، ط1، بـيروت، 1413هـ/ 1993م، ص20، ح:36 حدثنـا عبدالله نـا خَلَـفُ بْـنُ هِشَـامٍ، نـا حَـزْمُ بْـنُ أَبِي حَـزْمٍ، قَـالَ: سَـمِعْتُ الْحَسَـنَ، يَقُـولُ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِـمَنَّ لَكُـمْ بِـاللهِ، أَنَّ أَحَبَّ عِبَـادِ اللهِ الَّذِيـنَ يُحَبِّبُـونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَـةِ».

Scanned with OKEN Scanner

بذلك. وهو علّة كبيرة في طريق القوم حتّى يؤدّي صاحبه إلى الميل إلى الحقيقة الشّوقيّة، وإذا نازعه خصيمه بالإخلاص لله يردّه باستدلاله بمثل ما جاوبْتنا به. وهو من أحبّ الظّهور فهو عبد الظّهور...الخ، وبقولك الإخلاص عند العارفين كاد أن يكون شركا، وصاحب هذا النّظر ربّما رفض الشّريعة ويكون من أهل الحقيقة الظّلمانيّة بسبب ذلك، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، إذ كثير من النّاس وقع في ذلك.

وأمّا قول الشّيخ أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه: «من أحبّ الظّهور فهو عبد الظّهور». الخ بمعنى عبد الظّهور، وهو الّذي يتشوّف إلى الظّهور للخلق بواسطة علمه وعمله. وكذلك عبد الخفاء لا يخلو من ذلك لأنّ الرّياء ربّما دخل على العبد من حيث لا ينظر الخلق إليه كما في الحِكَم[1]. وأمّا من تحقّقت عبوديّته لله فلا يتشوّف إلى ظهور ولا خفاء إذ حاله هو حبيبي ومحبوبي على كل حال، ولكن يا أخي لم يحصل له الاكتفاء بالله والغناء به عمّا سواه، فربّما تخدعه نفسه بالميل إلى حظوظها ولو قلّت. ولذلك قال لنا أستاذنا رحمه الله: صاحب الفناء يحتاج إلى المربّي لأنّ الفناء مقطع، بل حتّى صاحب البقاء، إلّا أن حصل له الاكتفاء بالله، وكان شأنه وديدانه فحينئذ لا يخاف ظلما ولا هضما.

## [في بيان حقيقة الإخلاص:]

وأمّا قولك أتحقّق بأنّ الإخلاص للمبتدئين تخليص، إلى أن قلت وللعارفين كاد أن يكون شركا فحاشا العارفين الكُمّل أن يكون لهم ذلك، وهم رضي الله عنهم مهما ازدادوا شربا ازدادوا صحوا،(نهاية ص 94)

1 - الحكمة الستون بعد المائة: «ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك»

ومهما ازدادوا غيبة ازدادوا حضورا، لا يحجبهم سكرهم عن صحوهم، ولا صحوهم عن سكرهم، ولا غيبتهم عن حضورهم، ولا حضورهم عن غيبتهم، بل يعطون كلّ ذي حقّ حقّه ويوفون كلّ ذي قسط قسطه، يعطون الحقيقة حقّها في بواطنهم بأن لا يرون ولا يشاهدون غيرها في جميع ما تلوّنت به من مظاهر أسمائها وصفاتها وافعالها، وغير ذلك من شؤونها، ويعطون الشّريعة حقّها في ظواهرهم من تكاليف العبوديّة في كلّ نفس، والثّبات في جميع الاحوال الظّاهريّة والباطنيّة وإخلاصها لله، بحيث يعملونها عبوديّة لله بالله، وفي الله ومن الله وإلى الله، فهذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِالله وَأَنَا أَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»[1]، وقال أيضا: «تُوبُوا إِلَى الله فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَومِ مَائَةَ مَرَّةٍ»[2]، إلى غير ذلك ممّا أخبر به صلّى الله عليه وسلّم في إخلاص عبوديته لله. و[قد][3] قال الجنيد رحمه الله لمّا قيل له: «أنت مع كبر شأنك تأخذ السبحة بيدك؟. فقال: شيء استعملناه في البداية ما كنّا بالّذي نتركه في النّهاية»[4]. فهذا هو حال العارفين الكُمَّل. وقيل أيضا: «العبادة للعارفين كالتّيجان على رؤوس الملوك»[5]. وأمّا قولك

1 - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح5063، ص1292. «...إني لأخشاكم لله وأتقاكم له...». وفي كشف الخفا: « أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه»(ح607، ج1، ص200).

2 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه،ح2702، ص1242.

3 - ب : زائدة.

4 - ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، طبعة حجرية، دت، ص146. «قيل له- الجنيد- أنت مع شرفك تأخذ السبحة بيدك؟ فقال: طريق وصلت به إلى ربّي لا أفارقه».

5 - هي مقولة لأبي القاسم الجنيد: «العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك» (حلية الأولياء، ج10، ص257).

Scanned with OKEN Scanner

الإخلاص عند العارفين كاد أن يكون شركا، فهو لمن كانت فيه بقيّة من توهّم وجود ما سوى الله، ولو كان له الاستشراف على مقام الفناء أو كان له الفناء، ولكنّ سكره غالب على صحوه، مع شعوره بنفسه إلّا أنّ صحوه ضعيف. وأمّا المصطلم الّذي هو غائب عن الآثار والشّريعة عنده في غاية الاضمحلال، فلا شعور له، وقد رُفع التّكليف عنه بسبب غلبة سكره على صحوه، كما هو معلوم.

وأمّا استدلالك على كون الإخلاص كاد أن يكون شركا بقولك حتّى قال بعض العارفين... الخ فليس هو (نهاية ص 95) مناسبا لحال الكمَّل من أهل التّحقيق، وانّما هو نظر للسّوابق وقد ذُكر ذلك عن يوسف بن الحسين الرازي[1] رضي الله عنه قال: «عارضني بعض النّاس في كلام وقال لا تستدرك مرادك من عملك إلّا أن تتوب. فقلت مجيبا: لولا أنّ التّوبة تطرق بابي ما أذِنت لها عليّ أنّي أنجو بها من ربّي، ولو كان الصّدق والاخلاص عبدين لي لبعتهما زهدا منّي فيهما، لأنّي إن كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم أتخلّف باقتراف الذّنوب والمآثم، وإن كنت عند الله شقيّا مخذولا لم تسعدني توبتي وإخلاصي وصدقي، وأنّ الله تعالى خلقني إنسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي إليه وهداني إلى دينه الّذي ارتضاه لنفسه»[2] فقال: «وَمَنْ يَّبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ

1 - أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، وصفه الذهبي ب «الإمام العارف شيخ الصوفية» أكثر الترحال وأخذ عن ذي النون المصري، وقاسم الجوعي، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن أبي الحواري، ودحيم، وأبي تراب عسكر النخشبي، ورافق أبا سعيد الخرّاز في بعض أسفاره. توفي سنة 304 ه.

2 - ينظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مصدر مذكور، ج10، ص239.

مِنَ الخَاسِرِينَ»[1]. وهذا الكلام يا أخي جوابا لمن كان اعتماده على علمه وعمله ووقوفه مع حاله ومقاماته، من العلماء والعُبّاد والزُّهاد وأهل الجدّ والاجتهاد المعتمدين على علومهم وأعمالهم الواقفين مع مقاماتهم وأحوالهم ولذا قيل: أشدّ الناس حجابا عن الله العلماء ثم العُبّاد ثم الزُّهاد .. الخ[2].

وأمّا العارفون الكُمّل فحاشاهم من ذلك كلّه، لأنّهم مستغرقون في الحضرتين الكريمتين الرّبانيّة والنّبويّة من غير ميل إلى إحداهما، وانظروا ما روي عن عيسى عليه السّلام في بعض سياحته فقد روي أنّه وجد طائفة يعبدون الله وهم كالشّنان الباليّة فقال لهم: لم تعبّدتم؟، فقالوا له: خوّفنا الله من ناره، فخفنا منها. فقال لهم: حقّا على الله أن يؤمّنكم ممّا خفتم. ثمّ وجد طائفة أخرى أشدّ منهم عبادة فقال لهم لِمَ تعبّدتم؟. فقالوا له: شوّقنا الله إلى جنّته فاشتقنا إليها. فقال لهم: حقّا على الله أن يعطيكم (نهاية ص 96) ما أمّلتم. ثمّ وجد طائفة أخرى يعبدون الله فقال لهم: لِمَ تعبّدتم؟. فقالوا: لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنّته بل تعظيما له وإجلالا له. فقال لهم: أنتم عباد الله حقّا، معكم أُمِرت أن أقيم، فأقام بين أظهرهم[3].

1 – ءال عمران/ 84.

2 – ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص116.

3 – ينظر: أبو طالب المكي(ت386ه)، قوت القلوب، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة، 1422ه- 2001م، ج2، ص1064.

## [توضيح بشأن الصلاة المشيشية*[1]:]

أمّا قولك المزج الّذي عندنا مناسب لكلام مولانا عبد السّلام بن مشّيش، ونَسَبتَه لسيّدي أبي المواهب التّونسي[2] رحمه الله، فحاشا لله أن يكون مناسبا، وإنّما هو قشر أو قشر القشر بالنّسبة لوسع معانيها وتحقيق حقائقها، حتّى كأنّها وحي يوحى، ولو وضع ذلك أبو المواهب. لأنّها مع اختصارها قد جمع فيها رضي الله عنه جميع الشّؤون الإلهيّة، والأسرار الرّبّانيّة من بحر العمى، والتّنزُّل منه إلى بحر الأحديّة ثمّ إلى بحر الوحدة ثمّ إلى بحر الواحديّة. وكذلك قد جمع فيها ما اجتمع في الذّات الأحمديّة تفصيلا وإجمالا من سرّ القبضة المحمّديّة المشار إليها بقوله: قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمّدا، ومن محمّد كان ما كان وما يكون من ظهور تجلّي صفاته وأسمائه وأفعاله في عالم حكمته وعالم قدرته وعلم خلقيّته. فلو ألّف المؤلّفون في تفصيل معانيها وظهور أسرارها ألوف الألوف من المجلّدات ما بلغوا عشر العشر من ذلك، ولا يعلم ما أودعه الله فيها من كنه أسراره إلّا هو. فافهم فهّمنا الله وإيّاك.

---

1 * يبدي المؤلف هنا موقفه المعترض على أحد تلامذة الشيخ محمد المدني الذي أضاف تعليقا للشيخ أبي المواهب التونسي على الصلاة المشيشية، وأمر مريديه بقراءته معها على أنه منها، ويوضح ذلك بشكل جلي وصريح في موضع آخر من هذا الكتاب عندما يرد على آخر بشكل أكثر تفصيلا أضاف تعليقا للنقشبندي عليها وأمرهم بقراءته معها بشكل متواتر.

2 - هو الشيخ أبو المواهب أبو عبد الله أبو حامد محمد بن أحمد ابن الحاج داود سلامة البزليتني التونسي ثمّ القاهري المالكي الشاذلي المعروف «بابن زغدان». ولد بتونس سنة 820 ه، وتوفي الشيخ أبو المواهب الشاذلي التونسي بالقاهرة سنة 882 ه، من مؤلفاته: فرح الأسماع برخص السّماع، الأذكياء في أخبار الأولياء، بغية السؤال عن مراتب أهل الكمال.

Scanned with OKEN Scanner

وأمّا أمر أخينا سيّدي محمّد المدنيّ - رحمه الله- لكم بقراءتها مع التّعليق المذكور، فلو كان في الحياة لكان الكلام معه لا معكم، لأنّكم مقتدون به، ولو أمركم بالمحال يجب عليكم امتثال أمره، وهذا هو شرط المشايخ على أهل الإرادة، ولكن بعد وفاة الشيخ يجوز لمن استخلفه في المشيخة الحقيقيّة أن يحذف (نهاية ص 97) ما شاء بما أمره به من الأوراد والأحزاب والوظائف وله أن يثبت ما شاء لأنّه يترقّى إلى الإذن من الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم. ويكون في ذلك على بصيرة من الله، وإذا كان كذلك فلا شيء عليه فيما أثبته أو حذفه. وقد أخبرنا أستاذنا رحمه الله أنّه لّما التقى مع شيخه رحمه الله، وأخذ عنه الورد قال له: اذكر الاستغفار مائة، والصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مائة، ولا إله إلا الله ألفا. قال: كنت أذكر ذلك، فلمّا توفّي مولانا علي الجمل حذف تسعمائة من الهيللة وأثبت مائة واحدة[1]. وما مرادي بما كاتبتك به في هذه الرسالة إلاّ الوسع في مقام الفناء في الله والبقاء به تربيّة وأدبا مع الله، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ أَدَبِي»[2] والآيات الّتي نزلت في آدابه صلىّ الله عليه وسلّم وتربيّته كثيرة، منها: قوله تعالى: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ»[3]، ومنها قوله سبحانه: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ»[4]، إلى غير

---

1 - لمزيد من التفصيل بشأن تلقي شيخ المؤلف مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الورد عن شيخه مولاي علي الجمل، ينظر: رسائل مولاي العربي بن أحمد، وخاصة مقدمتها، ص61 - 68.

2 - مرّ تخريجه.

3 - الحجر/ 97

4 - الكهف/ 6

Scanned with OKEN Scanner

ذلك، والله الموفّق. والمعوّل عليه أيضا عند مشايخ الصّوفية رضي الله عنهم هو المناصحة في الدّين ولو بالأمور الّتي تنفر منها النّفوس، وقد قال بعضهم: لا زالت الصّوفية بخير ما تشاجروا فإذا اصطلحوا هلكوا. والسّلام.

## [في بيان مقامات اليقين:]

اعلم أنّي سمعت عنك أنّك ذكرت المقامات الثّلاثة الّتي ذكرها مشايخ الصّوفيّة رضي الله عنهم بحسب اصطلاحهم في تداول الالفاظ والعبارات بينهم كعلم اليقين، وحقّ اليقين، وقلت لبعض الفقراء: فهّموني هذه المقامات، وهم ما دخلوا هذه الطّريق إلّا مدّة قليلة، ولم يفهموا علم الباطن على ما هو عليه، حتّى يجيبك جوابا شافيا قاطعا للحجّة، لأنّ صاحب البداية الغالب عليه الجهل بعلم النّهاية، فأحرى نهاية النّهاية. (نهاية ص 98). وها أنا أجيبك إن شاء الله جوابا شافيا مختصرا على حسب ما مدّنا الله به من العلوم الإلهيّة والمعاني الرّبّانيّة، فأقول: اعلم أنّ هذه المقامات الثّلاثة الّتي هي علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين لا يسلكها إلّا الرّجال البالغون من أهل دائرة الولاية، كالأبدال والنّجباء والنّقباء والأوتاد والإمامين وقطب الدّائرة والأقطاب السّبعة والافراد وغيرهم من الدّوائر، وهم كثيرون لا يحصى لهم عدد. أمّا علم اليقين فهو بداية الولاية وصاحبه له الفناء في الأفعال بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان، ولكنّ الغالب عليه العلم بحسب مقام المحاضرة مع الميل إلى الدّليل والبرهان. وأهل هذه الحالة هم الأبدال في الغالب. وأمّا مقام عين اليقين فهو الواسطة في دائرة الولاية، وصاحبه له الفناء في الصّفات

Scanned with OKEN Scanner

بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان، والغالب عليه المكاشفة والسّكر بالمشروب، والميل إلى الخوارق من ظهور شدّة العذر، والآيات عليه. وهذه هي حالة النّجباء والنّقباء والأوتاد في الغالب، والله أعلم.

أمّا مقام عين اليقين فهو النّهاية في طريق الولاية، وهو مقام المشاهدة والمعرفة، وصاحبه له الفناء في الذّات، وهو الاستغراق في عظمة الجبّار جلّ جلاله، والغيبة فيه عمّا سواه بالكلّيّة حتّى لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحسّ إلّا بها كما قال مولانا عبد السّلام بن مشّيش رضي الله عنه، حيث قال: وأغرِقْني فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوحْدَةِ حَتَّى لا أرى ولا اسمَعَ ولا أَجِدَ ولا أُحِسَّ إلا بها .. الخ[1]، والغالب على صاحب هذا المقام الجمع بين السّكر والصّحو، أو نقول بين الجذب والسّلوك، وهكذا. وهذه هي حالة الأجراس والأقطاب والأفراد ومن فوقهم من رجال المحبّة (نهاية ص 99) الذين لا عدد لهم.

1 - مقتبس من الصلاة المشيشية، ونصها: «اللهمَّ صلِّ على مَنْ منهُ انشقَّت الأسرارُ وانفلقَتِ الأنوارُ، وفيهِ ارتقَتِ الحقائقُ، وتنزَّلتْ عُلومُ آدمَ فأعجزَ الخلائقَ، ولهُ تضاءَلتِ الفُهومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ منّا سابقٌ ولا لاحِقٌ، فرياضُ الملكوتِ بزهرِ جمالهِ مونِقةٌ، وحياضُ الجبروتِ بفيضِ أنوارِهِ مُتدفّقةٌ، ولا شيءَ إلا وهوَ به منوطٌ، إذ لولا الواسِطةُ لذهَبَ كما قيلَ الموسوطُ، صلاةً تليقُ بكَ مِنكَ إليهِ كما هو أهلهُ، اللهمَّ إنّه سرُّكَ الجامعُ الدَّالُّ عليكَ، وحِجابُكَ الأعظمُ القائمُ لكَ بينَ يديكَ، اللهمَّ ألحقْني بنسبِهِ، وحققْني بحسَبِهِ وعرِّفني إيَّاهُ معرفةً أَسْلمُ بها مِن مواردِ الجهلِ، وأكرعُ بها مِنْ مَوارِدِ الفَضلِ. واحملني على سَبيلِهِ إلى حَضْرتِكَ حَمْلاً محفوفاً بنُصْرَتِكَ، واقذفْ بي على الباطل فأدمغَهُ، وزجَّ بي في بحار الأَحَدِيَّةِ، وانشُلني من أَوْحالِ التَّوحيدِ، وأغرقني في عين بحْرِ الوَحدةِ، حتى لا أرى ولا اسمَعَ ولا أجِدَ ولا أُحِسَّ إلا بها، واجعلِ الحِجابَ الأعظمَ حياةَ رُوحي، ورُوحَهُ سِرَّ حقيقتي، وحقيقَتَهُ جامعَ عوالمي، بتحقيقِ الحقِّ الأوّلِ، يا أَوّلُ يا آخِرُ يا ظاهِرُ يا باطِنُ، اسمع ندائي بما سمعْتَ به نداءَ عبدِكَ زكريا، وانصُرنِي بكَ لكَ، وأيّدني بكَ لكَ، واجمعْ بيني وبينَكَ وحُلْ بيني وبينَ غَيرِكَ، اللهُ، اللهُ، اللهُ «إنَّ الذي فرضَ عليْكَ القُرآنَ لرادُّكَ إلى معادٍ»، «ربَّنا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رحْمَةً وَهيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً»»

فها أنا قد تكلّمت معك [في هذه المقامات][1] وبيّنت لك معانيها وأهلها وما احتوت عليه من الأسرار الإلهيّة والمعاني الغريبة الرّبّانيّة. ولكن ما تكلّمت معك في ذلك إلّا من باب الإجمال فقط. وأمّا بحسب التّفصيل والتّفريق فلا تسعها الدّفاتر ولا تكتبها الأقلام والمحابر، لا سيّما مقام حقّ اليقين الّذي هو الغاية إلى ما فوقه من التّرقي في الزّيادة في وسع دائرة الولاية الّتي هي الفناء في بحر [الوحدانيّة][2] [ووسعه إلى بحر الأحدية][3] إلى بحر العمى بحسب التّنزُّل الإلهيّ. ومن هنا كان التّفاوت للأوليّاء والأنبيّاء والرّسل كذلك، قال تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»[4]. وأمّا نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق ومع هذا كلّه فبمنتهى العلم إلى الله العظيم قوله تعالى: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»[5]، وقال تعالى: «وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»[6]، إلى غير ذلك.

واسمع ما قال وليُ الله أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي رحمه الله في كتابه «عوارف المعارف» حيث قال: «وكلّ من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذّوق والوجدان فهو من رتبة الوصول، ثمّ يتفاوتون، فمنهم من يجد الله بطريق الافعال، وهو رتبة

1 - ب: زائدة.

2 - ب : الواحدية

3 - ب : زائدة

4 - البقرة/ 251

5 - يوسف/ 76

6 - البقرة/ 254.

في التّجلّي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله، ويخرج في هذه الحالة من التّدبير والاختيار، وهذه رتبة في الوصول.

ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال. وهذا تجلٍّ عن طريق الصّفات، وهو رتبة في الوصول.

ومنهم من ترقّى لمقام الفناء مشتملًا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة، مغيّبًا في شهوده عن وجوده. وهذا حزب من تجلّي الذّات لخواصّ المقرّبين، وهذا المقام رتبة في الوصول.

وفوق هذا حقّ اليقين. (نهاية ص 100) ويكون من ذلك في الدّنيا للخواص لُمَحٌ: وهو سريان نور المشاهدة في كلّيّة العبد حتّى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتّى قالبه، وهذا من أعلى مراتب الوصول. فإذا تحقّقت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشّريفة أنّه في أوّل المنزل. فأين الوصول؟ هيهات منازل طريق الوصول.. لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي، فكيف بالعمر القصير الدنيوي؟»[1] اه.

## [منافع صحبة العارف بالله:]

فعليك بالزّهد في الدّنيا والإعراض عن أهلها بالقلب والجوارح، وعليك بصحبة أهل هذا الفن من مشايخ التّربيّة إن وجدتهم، وعليك بملازمتهم وبسلب الإرادة لهم، والتّفنّن معهم في فنونهم حتى يتفضّل الله عليك بالدّخول معهم في البحور الّتي خاضوها،

1 - شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف، مصدر مذكور، ج2، ص 309.

وحينئذ يحصل لك الإمداد بكلمة «الله» الّتي قال الله فيها في كتابه العزيز: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»[1]. وأُعلمك من باب الإشارة أنّ استمداد العارفين بكلمة الله هو تغطية الأوصاف بالأوصاف والنّعوت بالنّعوت كما قال أئمّة الدّين من المشايخ الرّبّانيّين رضي الله عنهم. قال ابن عطاء الله في حكمه: «تحقّق بأوصافك يمدّك بأوصافه، تحقّق بِذُلِّك يمدّك بعزّه، تحقّق بعجزك يمدّك بقدرته، تحقّق بضَّعفك يمدّك بحوله وقوّته*[2]»[3]. وفي الحديث الشّريف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَنِ»[4]، وفيه أيضا عنه صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ: «لَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ

---

1 - الكهف: 104

2 * ب: تحقق بفقرك يمدك بغناه، زائدة وهي غير موجودة في الحكمة.

3 - الحكمة الثامنة والسبعون بعد المائة

4 - هي عبارة شاعت على ألسنة أقطاب التصوف، وتم تناقلها على أنها من كلام النبوة، وهي لا أصل لها ولا إسناد عند أهل الحديث، وكل ما هنالك أن ذا النون المصري قال: «معاشرة العارف كمعاشرة الله، يحتملك ويحلم عليك تخلقا بأخلاق الله الجميلة» (ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني- ت430هـ-، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، ج9، بيروت1409هـ1988-م، ص376)، وورد مثيلها في موضع آخر. قال ابن عربي: سئل الجنيد عن المعرفة والعارف، فقال: «لون الماء لون إنائه، أي هو متخلق بأخلاق الله تعالى حتى كأنه هو وما هو هو» (ينظر: محمد عبد الرؤوف المناوي- ت1031هـ-، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت، ج9، 1391هـ/ 1972م، ص482).

Scanned with OKEN Scanner

سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُؤَادًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا»[1]، إلى غير ذلك من الدّلائل على هذا المعنى وهي كثيرة، فإن حصل لك ما أشرنا إليك به من معرفة الشّيخ المربّي وكنت عند أمره (نهاية ص 101) ونهيّه سالبا له الإرادة كالميّت عند الغاسل، تطوى لك أوصاف بشريّته وتشاهد وجود خصوصيّته، كما قال بعض المشايخ الرّبّانيّين رضي الله عنهم: إذا أراد الله أن يوصلك إلى وليٍّ من أوليّائه طوى عنك شهود بشريّته وأشهدك وجود خصوصيّته، وقال بعضهم: معرفة الوليُّ ولاية. إلى غير هذا، فحينئذ يصدق عليك اسم الرّجوليّة وإلّا فلا. وأمّا قلقلة اللّسان بالعلوم النّقليّة دون العمل بها فلا تغني صاحبها، لأنّ: العلم هو ما كانت الخشية معه كما في الحِكم[2] وقال فيها «العلم إن قارنته الخشية لك وإلّا فعليك»[3] الى غير هذا، وقد قلنا في بعض رسائلنا عفا الله عنّا: العلم طيّار يقود صاحبه إمّا إلى الجنّة وإمّا الى النّار، والجنّة جنّة المعارف، ولا شيء أعظم وأرفع منها ومن دخلها لا يشتاق إلى جنّة الزّخارف، والنّار نار الحجاب ولا شيء أشدّ منها عذابا ونكالا، نسأل الله السّلامة والعافيّة.

## [عودة للتأكيد على قيمة العلم وأهمية العمل به:]

فهذه ثمرة العلم فعليك بالعمل به وبصحبة أهله القائمين به الرّاسخين فيه الجامعين بين شريعة وحقيقة، إذ الشريعة بلا حقيقة

1 – مرّ تخريجه، وقد ورد بلفظ مختلف.

2 – الحكمة الثانية والثلاثون بعد المائتين: «خير العلم ما كانت الخشية معه»

3 – الحكمة الثالثة والثلاثون بعد المائة

تعطيل،[كما أن الحقيقة بلا شريعة تعطيل][1] والجمع بينهما كمال، كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم وقالوا أيضا: قوم حجبوا بالشّريعة عن الحقيقة، وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشّريعة، وقوم جعلوا الشّريعة بابا والحقيقة إيّابا أولئك حزب الله: «ألا إنَّ حِزْبَ الله هُمُ المُفْلِحُونَ»[2] وقالوا أيضا: من تشرع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم تشرّع فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقّق. وهكذا.

وأمّا قولك كيف تكون مشاهدة الحقّ ورؤية المخلوق له... الخ. فاعلم أنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً من عبيده واصطفاه واجتباه بعنايته رآه لا محالة. ولكن لا يراه إلّا به لا بنفسه، (نهاية ص 102) لأنّ العبد يغيب عن نفسه وعن الوجود بأسره في حضرة قدسه، إذ لا يرى في هذا المشهد الحقّ إلّا الحقّ. ويحكى أنّ رجلا قال للجنيد رضي الله عنه: «يا أبا القاسم هل رأيتم ربّكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول إليه بقلوبكم. فقال له الجنيد: أيّها السّائل ما كنّا بالذي نعبد ربّا لا نراه، وما كنّا بالذي تراه عيوننا فنشبّهه، وما كنّا بالذي نجهله فلا نُنزّهه. فقال له الرّجل: فكيف رأيتموه؟ فقال: الكيفية مجهولة في حقّ الرّبّ معلومة في حقّ البشر، لن تراه الأبصار في هذه الدّار بمشاهدة العيان، [ولكن][3] تعرفه القلوب بحقائق الإيمان، ثُمّ تترقّى من المعرفة إلى الرّؤية بمشاهدة نور الامتنان. فهو سبحانه مرئي بالحقائق القدسيّة منزّه عن الصّفات [الحدسيّة][4] مقدّس

1 – ب : زائدة

2 –المجادلة/ 22

3 – ب : زائدة، وبها يستقيم المعنى.

4 – ب : ناقصة.

بجماله منعوت بكماله متفضِّل على القلوب بمراقبته ونواله، معروف بعدله منعوت بفضله. فلما سمع الرّجل مقالة الجنيد قام وقبّل يده وتاب ولازمه حتى ظهَر عليه من الخير أثرٌ، ولم يزل في صحبته حتى مات رحمة الله عليهما»[1]. اه.

أنظر يا أخي هل تجد هذه المعاني في تأليف الشّيخ السّنوسيّ[2] رحمه الله أم لا ؟ ولكنّه قد ترقّى عمّا ألّفه قبل معرفة المشايخ الصّوفيّة، وذلك أنّه لمّا عرفهم وصحبهم استغنى بهم، وقد كان من مشايخه سيّدي إبراهيم التّازي[3] وسيّدي محمّد الهوّاري[4] دفين وهران،

---

1 - ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص 620- 12.

2 - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(ت895ه)، عالم تلمسان وزاهدها، اشتهر بتآليفه في العقائد(الكبرى، والوسطى، والصغرى) والتآليف الحسنة، يرجح أنه ولد بعد 830ه.

3 - إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي، نزيل وهران، والمتوفى سنة866ه، متصوف زاهد، شاعر مداح، له دراية بعلوم القرآن، محدث حافظ، ساكن القلصادي، بوهران، وتتلمذ على شيخها محمد بن عمر الهواري. له كرامات ومكاشفات كثيرة، أخذ عنه جماعة من العلماء منهم: الحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وأحمد زروق.

4 - محمد بن عمر الهواري(1350-1439)عالم وهران، وسلطان أوليائها، من قبيلة هوارة، ولد في بلدة السور قرب مدينة مستغانم، واشتهر بترحاله عبر العالم، وقد اشتهر بالتفاني في العبادة واقامة المناسك الروحية والسلوك القويم والصيام الطويل، وكان حفاظة للشعر، وينظمه أيضا، وله قصيدتا (التسهيل) و(التبيان) المشهورتان، خلفه بعد وفاته على رأس الزاوية مساعده العلامة إبراهيم التازي، وتتفق الكتابات أن مدينة وهران اشتهرت وحظيت بمكانة علمية بفضل الإمامين سيدي الهواري وإبراهيم التازي، وقد خرجت زاويته العديد من العلماء كالإمام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أحمد زروق.

Scanned with OKEN Scanner

وحصلت له ملاقاة مع سيّدي أحمد زرّوق[1] واستفاد منه شيئا في علم الباطن رحم الله الجميع ورضي الله عنهم. وبقيتم أنتم أيّها الطّلبة [متوغّرين][2] بالسّنوسيّة عن طريق أهل الباطن تجادلون المنسوبين على الله بها وبغيرها من كتب النّقل مع أنّكم لم تعرفوا من ذلك سوى القشر وأمّا اللبّ فلا علم لكم به.

## [خطورة تكفير المسلم:]

واعلم أنّ سبب ما ألفه الأشعري[3] رحمه الله في علم الدّليل والبرهان وتبعه (نهاية ص 103) فيه العلماء كسيّدي محمّد السّنوسي وغيره رحم الله الجميع، هم الطّوائف الضّالّة كالقدريّة والمعطّلة والمجسّمة والمعتزلة وأهل الحلول والاتّحاد وغيرهم، وهم اثنان وسبعون فرقة، ومع ذلك اختلف العلماء في تكفيرهم، وكذلك اختلف المتأخّرون في تكفير أهل التّقليد، وغُلاة المتصوّفة وهم فرقة غلبت عليهم الحقائق وتكلّموا بكلام يشير إلى خرق حجاب

---

1 - أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزرّوق (846هـ - 899 هـ) الفقيه المالكي المعروف صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، ومن أهم من اعتنى بجانب التربية والسلوك في الكتابات الإسلامية وللشيخ أحمد زرّوق مؤلفات كثيرة في مختلف مكتبات العالم يرجع إليها الباحثون في شتى مجالات علوم الشريعة والتصوف.

2 - متمسكين ومتشبثين.

3- أبو الحسن الأشعري (260 هـ - 324 هـ) المنظر الأول لمواقف أهل السنة ومؤسس المذهب المعروف باسمه، بعد أن انشق عن المعتزلة إثر خلاف بينه وبين شيخه. كان يريد أن يقيم مذهبا وسطا. له مصنفات تفوق ثلاثمائة تأليف منها: مقالات الإسلاميين، في جزأين، ومقالات الملحدين، والإبانة عن أصول الديانة، وخلق الأعمال، وإمامة الصديق، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

الشّريعة المحمّديّة واضمحلالها، ومع هذا فقد أفتى الفقيه الجليل ابن السّبكي، رحمه الله، بعدم تكفير الجميع. فقال -رضي الله عنه- في جواب سائل: «اعلم أيّها السّائل أنّ كلّ من خاف الله تعالى استعظم القول بالتّكفير لكل من يقول: لا إله الّا الله محمّد رسول الله. إذ التّكفير أمر هائل عظيم الخطر، لأنّ من كفّر شخصا فكأنّه أخبر أنّ عاقبته في الآخرة الخلود في النّار أبد الآبدين، وأنّه في الدّنيا مباح الدّم والمال لا يمكَّن من نكاح مسلمة، ولا تجري عليه أحكام المسلمين لا في الحياة ولا بعد الموت، والخطأ في قتل ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم». وفي الحديث: «لَأَنْ يُخْطِئَ الْإِمَامُ فِي الْعَفْوِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»[1]. ثمّ إنّ تلك المسائل الّتي يُفتى فيها بتكفيرَ هؤلاء القوم في غاية الدّقة والغموض لكثرة شبهها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها إلى الاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقيقة التّأويل وشرائطه في الأماكن، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتّأويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللّسان من قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها، ومعرفة دقائق الأمور في علم التّوحيد، إلى غير ذلك ممّا هو متعذّر جدا على علماء عصرنا، فضلا عن غيرهم...وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده في عباراته، فكيف يحرّر (نهاية ص 104) اعتقاد غيره من عباراته فما بقي الحكم بالتّكفير إلاّ لمن صرّح بالكفر واختاره دينا وجحد الشّهادتين وخرج من دين الإسلام جملة، وهذا نادر وقوعه. فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتّسليم

---

1 * مرّ تخريجه.

للقوم في كلّ شيء قالوا ممّا لا يخالف صريح النّصوص»[1] انتهى كلام ابن السّبكي رحمه الله، وقد نقله عنه الشّيخ الشّعرانيّ رضي الله عنه في طبقاته الصّغرى. والسّلام.

## [القطبانيّة الكبرى: شروطها وأوصافها:]

واعلم يا أخي أنّ القطبانيّة الكبرى لا تكون إلّا للأكابر من أهل الله السّالكين على يد المشايخ الرّبّانيّين الجامعين بين الشّريعة والحقيقة، أو نقول بين الأدب والسّلوك أو بين الفناء والبقاء الرّاسخين المتمكّنين في ذلك، بحيث لا تحجبهم شريعتهم عن حقيقتهم، ولا حقيقتهم عن شريعتهم ولا سلوكهم عن جذبهم، ولا جذبهم عن سلوكهم، بل هم محمّديّون ظاهرا وباطنا على قدمه صلّى الله عليه وسلّم وارثون أحواله وأقواله وأفعاله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا هو الأعلى. ومنهم من يكون على قدم عيسى عليه السّلام، ومنهم من يكون على قدم موسى عليه السّلام، وهكذا ولكن المحمّديّ هو الكامل الّذي يُعطي كلّ ذي حقّ حقّه، ويوفّي كلّ ذي قسط قسطه، لا يغلبه غالب ولا ينقصه حال، ولا يميل إلى شيء من الأشياء سواء كانت مقامات أو درجات أو كرامات أو مراتب أو غير ذلك، قال بعضهم:

تَرَكْتُ لِلنَّاسِ مَا تَهْوَى نُفُوسُهُمْ
مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَمِنْ عِزٍ وَمِنْ جَاهِ

لِذَاكَ تَرْكُ المَقَامَاتِ هُنَا وَهُنَا
وَالقَصْدُ غَيْبَتُنَا عَمَّا سِوَى اللهِ[2]

---

1 - ينظر: الإمام عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر في لباب عقائد الأكابر، مصدر مذكور، ج2، ص530-531.

2 - ينظر: أحمد بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،

وقال غيره:

وَكُلُّ مَقَامٍ لاَ تُقُمْ فِيهِ إِنَّهُ
حِجَابٌ فَجِدَّ السَّيرَ واسْتَنْجِدِ العَوْنَا

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ المَرَاتِبِ تَجْتَلِي
عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا

وَقُلْ لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ
فَلاَ صُورَةٌ تُجْلَى وَلاَ طُرْفَةٌ تُجْنَى[1]

(نهاية ص 105)

إلى غير ذلك من كلام أكابر أهل الله رضي الله عنهم. وأمّا أهل طريق النُّسك الّذين حالهم السّلوك فقط فهم بُعداء من طريق الكمال، لأنّهم لم يجتمعوا بالمشايخ الرّبّانيّين، ولا سلكوا الطّريق على أيديهم حتّى بلغوا فيها الغاية والنّهاية، فكيف تحصل لهم القطبانيّة، لا والله، لا يكون لهم ذلك أبدا، وكذلك أهل الجذب المجرّد، فلا يكون قطب الدّائرة منهم أبدا لأنّه خليفة الله في أرضه، كما أخبرنا الله تعالى عنه في كتابه العزيز بقوله: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً»[2]، والخليفة لا يكون إلّا كاملا لأنّ الله تعالى غطّى وصفه بوصفه ونعته بنعته، وقد جمع فيه أسراره بأسرها. ولا شكّ أنّ هذا الكمال ما خصّ الله به إلّا الأدمي، ولكن لا يكون ذلك لأحد ويشاهده بالعيان إلّا بعد التّربيّة الكاملة على يد المشايخ الكاملين الجامعين بين الجذب

---

مصدر مذكور، ج2، ص503.

1 - أبو الحسن الششتري، الديوان، مصدر مذكور، 72.

2 - البقرة/ 29.

والسّلوك، كما هو معلوم. وانظر كتب الصّوفيّة رضي الله عنهم تجده صحيحا. وقد سمعنا من أستاذنا رحمه الله، ورضي الله عنه، أنّه أخبر بعض من يوثق به أنّ رجلا من أصحاب سيّدي أبي الشّتاء الخمّار[1] رحمه الله كان جالسا بين يدي الشّيخ مولاي الطّيب رحمه الله، فلما قام من عنده، قال يا مولاي: أبو الشّتاء الشّيخ الكامل. فقال له الشّيخ مولاي الطّيب رضي الله عنه: لا يا ولدي مولاي أبو الشّتاء ليس بكامل، وأنا لست بكامل، ،ثمّ قال لنا الشّيخ مولاي العربي رحمه الله: صدق مولاي الطّيب فيما قال، كان سيّدي أبو الشّتاء [يَخُصُّه][2] سلوك مولاي الطّيب، وحينئذ يكون كاملا، ومولاي الطّيب [يخصّه] جذب أبي الشّتاء وحينئذ يكون كاملا . اه.

وهذا مولاي الطّيب جدّ أهل وازّان[3] لم يكن قطبا فأحرى أولاده بعده، لأنّهم لم يكن لهم شيخ مربٍّ جامع كامل كما هو معلوم عند القوم رضي الله عنهم ولم يعرفوا (نهاية ص 106) حتّى البداية من طريق أهل الباطن، فأحرى النّهاية، ونهاية النّهاية بل قنعوا بإعطاء الأوراد على جهة التّبرّك فقط.

واعلمك أنّه لا مصيبة أعظم من مصيبة من هو بطّال في سلوك الطّريق، ولو يكن له شيخ مربٍّ في طريق السّير والسّلوك إلى حضرة

1 - الحاج محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن أحمد، سليل الشرفاء الأدارسة، ويعرف باسم الشريف مولاي بوشتى. - أبو الشتاء محمد بن الخمار الشاوي- دفين أمركو بفشتالة بالمغرب (997ه/ 1588م).

2 - تعبير عامي بمعنى ينقصه

3 - إقليم وزّان سابع إقليم في جهة طنجة تطوان بالمغرب يُحَدّ شمالا بإقليمي شفشاون والعرائش وغربا بإقليم القنيطرة وجنوبا بإقليم سيدي قاسم وشرقا بإقليم تاونات.

ملك الملوك، وهو يدّعي المشيخة على النّاس دون ذوق ووجدان وشهود وعيان، ليتوسّط بذلك إلى الظّهور والرّياسة، وبعد هذا يقطّبه النّاس، ويرضى بذلك وهم جهّال به، لم يعرفوه ولم يعرفوا الطّريقة وأهلها، ولم يكَاشَفوا بمقامات الولاية بالعيان ولم يفرّقوا بين الأقطاب والأفراد والأوتاد والأجراس والنّقباء والنّجباء والأبدال وغيرهم، فهذا محال.

واعلم أيّها المحبّ أنّ الأعمى لا يقود مثله، وإنّما يقوده من كان على بصيرة من الله ورسوله. وأمّا ما تكلّم به أهل محبّتنا من أنّ القطبانيّة محصورة في الطّريقة الشّاذلية الّتي هي طريق مشايخنا، فاعلم أنّ الغالب هو ما [قالوه][1]، لأنّ الشّيخ الشّاذلّي رحمه الله، قد قال في بعض كلامه: طريقتنا هذه اختصّت بعشر خصال: الأوّل القطب يكون منها، والثّانية أهلها مختارون من اللّوح المحفوظ، والثّالثة مجذوبها سالك، والرابعة مأمونة من السّلب، والخامسة عليها تقوم السّاعة، والسّادسة لا يدخلها إلّا سعيد .. الخ. وما بقي من كلام الشّيخ الشّاذلي نسيته. وأيضا فيا أسفي ويا حسرتي على من لقي أهل الطّريق واجتمع معهم مدّة، واعتقد أنّهم من أهل التّحقيق في سلوك طريق المشايخ الرّبّانيّين ولم يبق له شكّ، ومع هذا لم تسلّم له نفسه في الدّخول في طريقهم ليسلك مسالكهم، ويستغرق في بحر الأحديّة كما استغرقوا ويفنى عن وجوده، وعن الوجود بأسره في عظمة الازليّة، كما فنوا ويبقى بها كما بقوا... الخ. (نهاية ص 107) وما منعه من الدّخول في ذلك إلاّ الوهم وخوف مَعَرّة النّاس له بأن يقولوا له أنت: تركت طريق أسلافك ودخلت طريقا غيرها، وربّما

1 - في المتن(أ): قاله

يقولـون: ويحـه قد سُـلب ونقص عقله. فهـذا هو الغالب على المنسـوبين إلى المشـايخ المتقدّمـين، ولم يعلمـوا أنّ تشـييخ الأمـوات لا يصـحّ. وإنّما يصحّ تشـييخ الاحيـاء الّذيـن سـلكوا الطّريـق على يـد الاحيـاء وبلغوا فيها الغايـة والنّهايـة، ثـم اسـتخلفوهم بإذن منهـم وبإذن مـن الله ومن رسـوله صلّى الله عليه وسـلّم.

وانظـر كتـب الصّوفيـة يـا مـن لا علـم لـه بذلـك تجده صحيحـا، قـال وليُّ الله تعـالى أحمـد زروق رحمـه الله ورضي عنـه: مبنـى الطّريـق على التّسـليم والتّصديـق، ومبنـى الاقتـداء عـلى البحـث والتّحقيـق وهما متنفيـان في القصـد ولا بـدّ منهـا لمريـد الاقتـداء، فليكن التّسـليم والتّصديـق أصله، وحسـن الظّـن أساسـه، والبحث والتّحقيـق عمدته، فـإن وجد محـلا للاقتـداء اتبع وإن لم يجـد محلاً سـلّم وتـبرّك، وإن قام له عـارضٌ مـن الاقتداء تـبرّأ منه فـارّاً إلى الله وطالبا منه دفعـه ليحصل على سلامة الصّدر وحسـن الظّن... انتهـى[1]. وقال الشّـيخ زروق أيضا في تشـييخ الأمـوات: «التمسّـك بالأمـوات مـن قلّـة الاعتقـاد في الأحيـاء وذلـك مـن نقـص الهمّـة... الـخ»[2]، ومـن هنـا كان التّفتيـش والبحث على الشّـيخ المـربّي المحقّـق واجبا عـلى كلّ من أراد سـلوك طريق السّـير والسّـلوك إلى حـضرة ملـك الملـوك، فـإن وجـده يقبـض عليـه العهـد، ويلازمـه ويسـلب لـه الإرادة في نفسـه حتى يكـون بين يديـه كالميّت بين يدي الغاسـل، كـما هو معلوم عنـد مشـايخ التّربيّة، وإن وجـده من أهل

1 - أحمـد زروق، قواعـد التصـوف، مصـدر مذكـور، ص39 (تـصرّف المؤلف في نقـل عبـارة المحـال عليها).

2 - أحمـد زروق، عـدّة المريـد الصـادق، تحقيق الصـادق بن عبد الرحمـن الغرياني، دار ابن حزم، بـيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص187

التّبرّك فقط فليتبرّك به ويعظّمه ويفتّش على مقصوده حتّى يظفّره الله بحاجته. وحينئذ يترك ما سواه من مشايخ التّبرّك والتّعليم ولا يضرّه ذلك. قال شيخ مشايخنا (نهاية ص 108) القطب أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي -رحمه الله ورضي الله عنه- في بعض مكاتبته بعد كلام: «فمن ثمّ لا يصح تشييخ الميّت مع وجود الحيّ وإن كان أفضل، فغلبة نورانيّة الذّاكر لا تخمُد إلّا بمقابلة طمأنينة الاجساد الصّقيلة، فبمشاهدة الشّيخ الحيّ تعتدل حقيقته وتهمد نورانيّته، لما في ذلك من الاستئناس بالجنس والرّجوع للحسّ: «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنَ اَنْفُسِهِمْ»*[1]، مع ما في ذلك من التّأديب والتّهذيب والتّدريب المفقود من الميّت، فالمستنِد إليه وإن تنوّر ووجد له أثر لا تجده إلّا ناقص تهذيب أو يكاد، والله أعلم»[2]. إلى آخر كلامه. وقد قال الشّيخ محيّ الدّين بن العربي الحاتميّ رحمه الله ورضي الله عنه: «ويجب على الشّيخ إذا رأى شيخا آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشّيخ هو وأصحابه، فإنّه صلاح في حقّه وفي حقّ أصحابه، ومتى لم يفعل هذا فليس بناصح لأصحابه ولا ناصح لنفسه، ولا صاحب همّة، بل هو ساقط الهمّة ضعيفها، بل هو محبّ في الرّياسة والتّقدم على النّاس وهذا في طريق الله نقص ظاهر»[3]. إلى

1 * ءال عمران/ 164

2 - محمد العربي بن يوسف الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات أبي المحاسن بن علي الجد، دت، ص158-159

3- وجدنا النص على خلاف ما ذكر المؤلف على أنه لابن عربي، في مخطوط لصوفي من القرن العاشر هو محمد ابن أخت الشيخ مدين (هكذا في المخطوط)، على أنه من كلامه، وعنوانه الدّرة المضيئة في معرفة طريق الصوفية، رقم:3022،

آخر كلامه. وكلام ابن العربي هذا فيمن سلك الطّريق، ونال منها ما نال على يد أهلها، وتصدّر للتّربية بعدهم، ثمّ وجد من هو أكبر منه فأوجب عليه الاقتداء به، واللّزوم لصحبته هو وتلامذته، فأحرى من لم يكن له شيخ محقّق، وإنّما هو جاهل بذلك كلّه واقتدى بجاهل مثله، والله الموفّق والسّلام.

## [ردّ شبهات تحوم حول كلام الصوفية:]

اعلم يا أخي أنّ ما أشار إليه القوم ممّا يوهم الحلول والاتّحاد من كلامهم كقول بعضهم:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

نَحْنُ رَوْحَانُ حَلَلْنَا بَدْناَ[1] الأبيات.

إلى غير هذا من كلامهم الّذي برز منهم وقت غلبة سكرهم على صحوهم، فانّهم لّما كشفوا عن سرّ قوله: قبض قبضة من نوره (نهاية ص 109) فقال: لها كوني محمّداً فكانت محمّداً، ومن محمّد كان ما كان وما يكون. قالوا ما قالوا، والمعنى: أنّ الله جلّ وعلا قبض قبضة من نوره به فيه فقال لها: كوني محمّداً منه به فيه، ومن محمّد كان ما كان وما يكون به منه فيه فهذا هو [السّرّ][2] الّذي كوشفوا به بالعيان، فقالوا كلاما يوهم الحلول والاتّحاد بظاهره. وأمّا باطنه فهو أنّهم لما وجدوا الفرع الّذي هو النّور المقبوض من نور الكنزيّة

---

جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات.

1 - الحلاج، الأعمال الكاملة، جمع قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتاب، ط1، بيروت، 2002، ص330.

2 - بياض في المتن(أ) وفي ب: السرّ.

هو عين الأصل، والأصل هو عين الفرع، فكيف يُتصوَّر الحلول والاتّحاد في ذلك، لا، والله، لأنّ الفرع الّذي تفرّع من الأصل لم يجد مكانا خاليا من النّور الأصليّ حتّى يُتصوَّر أن يكون هذا غير هذا، وانظر ما أشار اليه صاحب العينيّة في ذلك بقوله:

سَأُنْشِئُ رِوَايَاتٍ إِلَى الْحَقِّ أُسْنِدَتْ
وَأَضْرِبُ أَمْثَالًا بِمَا أَنَا وَاضِعُ

وَأُوَضِّحُ بِالْمَعْقُولِ سِرَّ حَقِيقَةٍ
لِمَنْ هُوَ ذُو قَلْبٍ إِلَى اللهِ رَاجِعُ

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ
فَفِي كُلِّ أَمْرٍ لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ

فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعًا
تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهُنَّ مَطَالِعُ

وَأَبْرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثَارَ وَصْفِهِ
فَذَلِكُمْ آثَارُ مَنْ هُوَ صَانِعُ

فَأَوْصَافُهُ وَالِاسْمُ وَالْآثَارُ الَّذِي
هُوَ الْكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ وَاللهُ جَامِعُ

فَمَا ثَمَّ مِنْ شَيْءٍ سِوَى اللهِ فِي الْوَرَى
وما ثَمَّ مَسْمُوعٌ وَمَا ثَمَّ سَامِعُ(1)

1 – عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، ص202–203.

عبد الكريم الجيلي توفي سنة 826 ﻫ

ثمّ أطلق الهويّة على الوجود بأسره إلى أن قال:

وَمَا الخَلْقُ فِي التَّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ
وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ

فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ
وَغَيْرَ أَنَّ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ

وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُه
وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ[1]

(نهاية ص 110) وكذا قول ابن العربي الحاتميّ رحمه الله، وهو قوله:

الْبَحْرُ بَحْرٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قِدَمٍ
إِنَّ الْحَوَادِثَ أَمْواجٌ وأَنْهارُ(2)

لا تَحْجُبَنَّك أَشْكَالٌ تُشَكِّلُهَا
عَمَّنْ تَشَكَّلَ فِيهَا فَهِي أَسْتَارُ[3]

إلى غير ذلك من كلامهم في هذا المعنى بالإشارة وضرب الأمثلة، فانظر يا أخي إلى الثّلجة هل هي [غير][4] الماء، والماء غيرها، إلاّ أنّ كثافة الثّلجة، ولطافة الماء هي الّتي ميّزت بينهما لا غير، وإلّا فهما

---

1 - نفسه، ص205.

2 - عبد الغني النابلسي، ديوان الحقائق والرقائق، مصدر مذكور، ص157.

3 - أورده الآملي في جامع الأسرار دون نسبة، ص161.

4 - ب: ساقطة.

شيء واحد دون حلول ولا اتّحاد، وكذلك البحر والأمواج واحد ولا يُتوهَّم فيهما حلول ولا اتّحاد، لأنّهما ليسا بذاتين متغايرتين حتّى تكون هذه غير هذه، فيوهَّم الحلول والاتّحاد. لا، والله بل فَهْم ذلك محال، وإنّما هي مكاشفات قلبيّة وأسرار غيبيّة تجلّت لهم بالعيان من غير ظنٍ ولا تخمين كطريق الدّليل والبرهان، ويرحم الله القائل: القلب غيب والرّب غيب وقد اطّلع الغيب على الغيب. والسّلام.

## [ذكر الاسم الأعظم:]

اعلموا أنّي أحبّكم -بارك الله فيكم- أن تشتغلوا بما يقرّبكم إلى الله من الأعمال، والأذكار الّتي أمر الله بها في كتابه العزيز، لا سيّما ذكر الاسم الأعظم «الله» مع تحصيل شروطه، وهي طهارة البدن والثّوب والمكان، وترك ما لا يعني، ومع تشخيص حروفه الخمسة وهي: الألف واللّامان والألف المحذوفة خطًّا والهاء، وذلك بالقلب والدّوام عليه حتّى تضعف مادّة الحسّ من القلب وتتقوّى مادّة المعاني فيه، كما هو معلوم عند المشايخ المحقّقين رضي الله عنهم ولا بدّ، ولا بدّ، اعتنوا بذلك وجُدّوا فيه طاقتكم إن شئتم أن تنالوا ما نال أهل الجدّ والتّشمير من الخصوصيّة الكبرى، وهي الفناء في الله والبقاء به على سبيل الشّهود والعيان، لا على سبيل الدّليل والبرهان. (نهاية ص 111) وفكرة التّصديق والإيمان والقناعة بذلك دون العيان، كما هو شأن كثير من النّاس. وإيّاكم أن تستبعدوا ما قلناه لكم، إذ هو ليس بعزيز على الملك الدّيان سبحانه لا إله إلّا هو، إذ من تقرّب من الله شبرا تقرّب منه ذراعا، ومن تقرّب منه ذراعا تقرّب منه باعا، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الله

Scanned with OKEN Scanner

عزّ وجلّ، أنّه قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا»[1] الحديث. وروي أيضا: «لَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا»[2] الحديث. إلى غير ذلك، وإيّاكم ثمّ إيّاكم والوقوف مع العلوم النّقليّة والعقليّة دون العمل بها، لأنّه كم من واحد حُجب عن مقام الفناء الّذي هو أساس الطّريق وبه يُتوصّل إلى مقام التّحقيق بسبب ذلك. لأن المشتغِل ب: قال فلان وقيل عن فلان، دون ما يقرّبه من الله عزّ وجلّ، فهو بعيد من الله لا محالة. وما له من العلوم إلّا قلقلة اللّسان فقط، ولو كان له كثير من العلوم الظّاهرة والباطنة، لا سيّما من يدّعي المشيخة، وهو بعيد منها غاية [البعد][3]، وليس له منها إلاّ مجرّد الدّعوى فقط دون تحقيق مع تزيين لسانه بالعبارة عن مقام الفناء والبقاء، دون ذوق ووجدان. وقد سَمَّى ذلك شيخ شيخنا مولاي علي الجمل رحمه الله بالحقيقة السّوقية، فقيل له: ما الحقيقة السوقية، فقال: هي أن تتعلّم كلماتٍ في الفناء والبقاء من المشايخ، وتدّعي المشيخة على النّاس لطلب المعيشة دون الحقيقة الذّوقية... إلى آخر كلامه رضي الله عنه. ولم يعلم هؤلاء المدّعون أنّ المراد من العلم هو العمل، والمراد من الجميع هو الإخلاص، والمراد من الجميع أيضا هو المعرفة بالله على سبيل الشّهود والعيان. وأمّا من خلا من هذه الشّروط (نهاية ص 112)، فهو في أكبر المقت من

1 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ح2675، ص1334.

2 - مرّ تخريجه.

3 - ب: ساقطة.

Scanned with OKEN Scanner

الله كما قال تعالى في كتابه العزيز: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ»[1].

## [الوليّ والولاية:]

واعلموا أنّ الوليَّ هو من تولّاه الله فغطّى وصفه بوصفه، ونعته بنعته فوصله إليه بما مَنّه إليه، لا بما مَنَّ الوليّ إلى الله، ولكن لا بدّ من الأسباب وجودًا والغيبة عنها شهودا، كما هو معلوم عند المحقّقين. فمن هنا كان ظهور الوليِّ بإرادة مولاه لا بإرادة نفسه، وخفاؤه بين النّاس كذلك وخروجه عن الظّهور والخفاء بإرادة مولاه أيضا لا بإرادة نفسه. وهكذا إذ الولي إذا غُطِّيَت أوصافه بأوصاف سيّده يصير فيه الوجود بأسره بعناية مولاه لا بعناية نفسه ...الخ. وهذا هو حال الخصوص من أهل دائرة الولاية كالأقطاب والأفراد وجميع الرّاسخين من أهل العلم بالله. وأمّا من يدّعي مقام الرّجال الرّاسخين دون تحقيق، فهو خارج عن هذا النّمط كلّه، وسببه محبّة الظّهور بدعوى الولاية وادّعاؤه مقام الكمال فيها، حتّى أدّاه ذلك إلى ادّعاء القطبانيّة الكبرى دون دخول في بلادها وتحقّقٍ بمقامها، وعلامة ذلك أنك تجده يمدح الظّهور للخلق بكثرة المُريدين، وإقبال الخلق عليه وعلى شيخه بالتّعظيم والتّبجيل والمدح، حتّى عادوا ينتقصون من لم يحصل له ذلك من أهل الله، والعيّاذ بالله. وقد رأينا ذلك بالعيان وسمعناه بالآذان من بعض المدّعين، نسأل الله السّلامة والعافية.

وقد تكلّمت معه في أمور الخصوصيّة والولاية الكبرى فوجدته أصمّ، أبكم، أعمى، بحيث لا عبارة له مستقيمة ولا معنى صحيحة

---

1 - الصف: 1-2

مقبولة سوى مدح الظّهور للخلق بكثرة المُريدين، ونشر الزّوايا في كلّ بلدة وغير ذلك. ولم يعلم هؤلاء المدّعون أنّ ذلك يؤدّي إلى علل كثيرة ظاهريّة(نهاية ص 113) وباطنيّة كالرّياسة والعُجب وغير ذلك من النّقائص الّتي تؤدّي إلى المقت والشّرك الخفيّ والجليّ والعيّاذ بالله.

ثمّ قلت له بعد ذلك: ويحك ألم تعلم أنّ الظّهور نقمة والنّفس تهواه، والخمول نعمة والنّفس تأباه، فكيف جعلتم الظّهور للخلق علامة على الوصول إلى الله والكمال فيه فهذا محال. مع أنّكم لم تصحّحوا حتّى مقام البداية فضلا عن مقام النّهاية ونهاية النّهاية. نسأل الله السّلامة والعافيّة، «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[1]. فالحذر الحذر أيها الإخوان من المدّعين للخصوصيّة دون تحقيق لأنّهم ضالّون مضلّون. وهذه حفرة غريقة وكلّ من دخلها لا خروج له منها إلّا من نجّاه الله. ولا شكّ أنّ المدّعين للخصوصيّة كثير والمحقّقون قليل في كلّ زمان، لا سيّما زماننا هذا الّذي قلّت محاسنه وكثرت قبائحه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، والسّلام.

## [وجوب اتّخاذ الشّيخ المربّي:]

واعلموا أنّ طلب الشّيخ المربّي الكامل واجب على كلّ من أراد التّعليم في الدّين المحمّديّ الكامل الّذي هو مرتّب على ثلاثة مقامات: مقام الأحكام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنّه أتاه جبريل عليه السّلام ووضع ركبتيه على ركبتيه ثمّ قال: «يا محمد أخبرني ما الإسلام. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله

1 - البقرة/ 155.

صلّى الله عليه وسلّم، وتقيم الصّلاة وتؤتي الزّكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا. فقال له صدقت، ثم قال له: أخبرني عن الإيمان. فقال له: «هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه. فقاله له: صدقت. ثمّ قال له: أخبرني عن الإحسان. فقال: هو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. فقال: صدقت يا محمد. فلمّا قام جبريل. قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم(نهاية ص 114) لأصحابه: أتدرون من السّائل؟ قالوا الله ورسوله أعلم. فقال لهم: هذا جبريل أتاكم يعلّمكم أمر دينكم...الخ[1]. فهذه المقامات لا يسلكها إلّا من كان له شيخ قد سلكها حتّى بلغ فيها الغاية والنّهاية على يدي شيخ كامل كذلك.

فهذه هي طريق الصّوفيّة من أوّل الزّمان الى آخره، فعليكم بالاقتداء بمن سلكها بالتّمام لا بمن سلك منها البعض دون البعض، لأنّه ناقص سلوك ومن كان ناقصا لا يقتدى به في طريق كمال الدّين، إذ لمقام الإسلام بداية ووسط وغاية، ولمقام الإيمان بداية ووسط وغاية، ولمقام الإحسان كذلك. وأمّا التّرقّي والزّيادة بعد بلوغ النّهاية فلا ينقطع أبد الآبدين في العمر الأخرويّ الطّويل، فما بالك بالعمر الدّنيويّ القصير. وكيف يصحّ الاقتداء بمن لم يصحّح حتّى مقام الإسلام بداية ووسطا وغاية، فضلا عن غيره من المقامات؟ فما بقي إلّا الاقتداء بمن هو محمّديّ ظاهرا وباطنا إن وجدتموه. وأمّا أمركم بالاجتماع كما كنتم قبل، فالنّظر للشّيخ المربّي الّذي تقتدون به في

---

1 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، ح8، ص23.

كمال الدّين. لأنّ المريد إذا أخذ عن الشّيخ المربّي الكامل يكون بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف يشاء وهو مطاوع. فهذا مَا مِنَّا إليكم والسّلام.

واعلموا أنّ طريق الولاية ما نالها إلّا صاحب الجدّ والتّشمير في شرائعها الّتي هي الزّهد في الدّنيا بالقلب والجوارح والإعراض عن أهلها بالكلّيّة مع الجوع والسّهر والعزلة عن الخلق والصّمت وكثرة الذّكر والاستغراق فيه بالقلب واللّسان. ولا تستقيم هذه الشّرائع إلّا بالمشي والمجيء إلى المشايخ والتّفنّن معهم دائما في فنّهم والاستغراق في محبّتهم وحفظ حرماتهم وملازمتهم إن أمكن. وهكذا، لأنّ الشّيخ (نهاية ص 115) هو باب الله، ولا يُدخَل على الله إلّا من بابه، ومن هنا قيل: من ليس له أستاذ فهو بطّال وحذف الوسائط اختلال. وقال الشّيخ محيّ الدّين بن العربي الحاتمي رضي الله عنه: من لا شيخ له لا قبلة له. إلى غير ذلك. فالله الله أيّها الإخوان في قهر النّفس عن شهواتها واتّباع هواها ومخالفتها في كلّ ما تريد من عوائدها وتسويلاتها، إذْ مَا حَجبَنا عن أسرار الولاية وأنوارها إلّا اتّباع هواها والميل إلى الدّنيا وأهلها، والسّلام.

## [مفاسد صحبة المدّعين للمشيخة:]

وأعلمكم أيضا أنّ صحبة المدّعين للمشيخة دون تحقيقٍ داء عُضال لا يزيد طالب الدّنيا إلا محبّة فيها وعشقا فيها وفي صحبة أهلها، ويزيده محبّة في الرّياسة والظّهور للخلق أقوى ممّا كان عليه. وربّما يدلّه على أعمال وأذكار تظهره، ولم يعلم أنّ هذه الاحوال كلّها حُجُب عظام تبعد العبد عن مولاه، لأنّها داء عُضال. ومن هنا كان الأعمى لا يقود الأعمى، وإنّما

يقوده من كان على بصيرة من الله. واسمعوا قول مولاي علي الجمل رحمه الله في بعض كلامه: لا يقرّب طالب الله إلى الله مثل جلوسه مع عارف بالله إن وجده، وإن لم يجده فعليه بذكر الله ليلا ونهارا، قائما وقاعدا، مع العزلة عن أبناء الدّنيا بعدم الجلوس معهم وعدم الكلام، وعدم النّظر فيهم لأنّهم سمٌّ قاتل، ولا يبعد طالب الله إلى الله مثل جلوسه مع فقير جاهل. الفقير الجاهل أقبح من العاميّ الغافل بألفِ ضعفٍ. الجلوسُ مع العارف بالله أفضل من العزلة، والعزلة أفضل من الجلوس مع العوامّ الغافلين، والجلوس مع العاميّ الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل، لا شيء في الوجود يُسوِّد قلب المُريد مثل جلوسه مع الفقير الجاهل، كما أنّ العارف بالله يجمع بين المُريد ومولاه بنظرة (نهاية ص 116) أو كلمة، كذلك الفقير الجاهل ربّما أتلف المُريد عن مولاه بنظرة أو كلمة فما فوقها، يرحم الله سيدي المجذوب حيث يقول: الجلسة مع غير الأخيار [تْرْدِي][1] ولو تكون صوفي. وأيضا فلا تصلح المشيخة على النّاس لمن هو مقيم بين أظهر أعداء، وهي: النّفس والشّيطان والدّنيا، ولا تحصل إلّا لمن حصّل الهجرة الواجبة عليه منها، أي من الأعداء. إذ الهجرة منها واجبة على كلّ من أراد السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك إلّا المستضعفين من الرّجال والنّساء والوِلدان. وهؤلاء إن لم يجدوا من يحملهم بهمّته من المشايخ الرّبانيين، حتّى يقول لهم ها أنتم وربّكم وإلّا فلا. وأيضا فلا تصحّ السّيادة حقيقة إلّا لمن يقول: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» حقيقة. أي إلّا لمن حصل له الاستغراق في الحضرتين الكريمتين الرّبانيّة والنّبويّة بالشّهود والعيان والرّسوخ والتّمكين. وأمّا من يقولها على وجه المجاز دون مشاهدة بالعيان فلا، والسّلام.

---

1 - تعبير عامي يراد به: تؤدي إلى الرداءة، والفساد، تعبير عن تأثير جلساء السوء في الفرد. وفي إيقاظ الهمم: الجلسة مع غير الاخيار ترذل ولو تكون صافيا (إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص61).

## [حكمة وقوع الأكدار والابتلاء بها:]

اعلم أنّي أحبّك - بارك الله فيك- أن: «لا تستغرب وقوع الأكدار - ما دمت في هذه الدّار- فإنّها ما أبرزت إلّا ما هو مستحقّ وصفِها وواجب نعتِها»[1]، كما في الحكم. لأنّها هي مظهر الأسماء الجلاليّة والجماليّة كلّها، ومن أراد ظهور الصّفاء بلا كدر فقد أراد تعطيل الأسماء الجلاليّة كالقهّار والمنتقم وغيرهما، ومن أراد ظهور الكدر بلا صفاء فقد أراد تعطيل الأسماء الجماليّة كالرّحمن الرّحيم ذي الفضل والإحسان وغيرهما، وذلك لا يكون أبدا. فإيّاك أن تُبْعِدَ ما ظهر على الأوائل من الأسرار والأنوار وغير ذلك عن نفسك، إذ ربُّ الأوائل هو ربُّ الأواخر، ووِسْعُ رحمته وفضله وكرمه باق دائما سرمدا، وما نال أحد من الأوائل والأواخر من ذلك إلّا بذلك، فكيف نبعد ذلك (نهاية ص 117) عن أنفسنا ونستغربه؟ إذ من استغرب أن يطهّره الله من نفسه وهواها ويفنيه فيه عمّا سواها ويبقيه به، فقد استعجز قدرة إلهيّة: «وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا»[2].

## [الوصول إلى الله:]

وأعلم أنّ من طلب الوصول إلى الله بقيد من القيود فهو جاهل غير عارف، إذ فضل الله منزّه عن القيود والعلل، بل الحقّ سبحانه يوصل إليه من شاء، كيف شاء، بما شاء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ

---

1 - الحكمة الرابعة والعشرون.

2 - الكهف/ 44.

الْحَمِيدُ»[1]. ولا شكّ أنّ مقابلة فضله بأعمالنا المذمومة والمحمودة وأحوالنا المعلولة والمُخلَّصة من قلّة الحياء منه سبحانه. قال تعالى: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا»[2]. فَرَغ ربّك من أربَع: من خَلْق وخُلُق ورزقٍ وأجلٍ. قد سبق في علمه سبحانه ما كان وما يكون من غير علّة، فكن له عبدا ولا علّة، كما كان لك ربّا ولا علّة، وما كلّفك به من العمل فهو شكر لا غير: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا»[3] فاشتغل بذكر مولاك في الرّخاء والشّدّة، واليسر والعسر، والبعد والقرب، [والقبض والبسط والغيبة والحضور والغفلة واليقظة والإقبال والإدبار][4] والعزّ والذّل، والخلطة والعزلة، والظّلمة والنّور، والسّفر والحضر وهكذا، وهذا معنى قوله تعالى: «فاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ»[5]. واسمع قوله تعالى في عظيم فضله علينا ووسع رحمته علينا: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حين يذْكُرُنِي إن ذكرني فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[6].

ويكفينا في عظيم فضله علينا أن جعلنا أهلا لجريان ذكره على ألسنتنا، وخلق صورتنا على صورته كما في الحديث الشّريف: «إنّ

---

1 – فاطر/ 15.

2 – النور/ 21.

3 – سبأ/ 13.

4 – ب: زائدة.

5 – النساء/ 102

6 – مرّ تخريجه.

اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» وفي رواية: «عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»[1]، قال الشّيخ عبد القادر رحمه الله في عينيّته[2]:

عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ آدَمَ وَاقِعُ[3].

عبد الكريم الجيلي

والسّلام. (نهاية ص 118).

وأعلم يا أخي أنّ العارف بالله يقول للشّيء: كن فيكون، فهو دائما يتصرّف بين قدرة وحكمة، أمّا القدرة فيكون تصرّفه بها كضربة [الشاقور][4] يضرب ولا يلتفت الى المفصل. وأمّا الحكمة فتصّرفه بها [كالموسى الماضي][5] يذهب بالشّعر ولا يحسّ به صاحب الرأس، فهذه حالته دائما. لكنّ تصرّفه بالقدرة ربّما يظهر لكلّ واحد في بعض الأوقات. وتصرّفه بالحكمة قلّ ما يشعر به. وأمّا ما فهمته في قول صاحب الحكم فكذلك هو الامر، إذ الوقوف مع الأنوار والأسرار وما يتجلّى على المريدين في حال سيرهم يحجبهم لا محالة عما وراءه من الفناء في الذّات والبقاء بها، والفناء في الصّفات والبقاء بها والزّهد فيها، وعدم الوقوف معها يكشف لهم عمّا قلناه لا محالة. ولا شكّ أنّ كمال الولاية للأفراد هو الجمع بين الفناءين و[بين][6] البقاءين كما

---

1 - مرّ تخريجه.

2 - هو عجز بيت من عينية الشيخ عبد القادر الجيلاني، والبيت كاملا هو:
ويكفيك ما قد جاء في الخلق إنّه *** على صورة الرّحمن آدم واقع

3 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص207.

4 - مصطلح عامي يطلق على: الساطور.

5 يراد به: السّكين الحادّة.

6 - ب: ناقصة.

Scanned with OKEN Scanner

قلنا. ومن لم يبلغ ذلك فلا يُعدّ من الرّجال البالغين، فلذلك حذّر القوم من الوقوف مع ما دون ذلك. والله أعلم.

## [المؤلّف يصف بعض أحواله:]

واعلم يا أخي أنّي كنت فيما مضى تجلّت عليّ أحوال، حتّى خفت على نفسي من المحق. وذلك أنّي تارة تتجلّى عليّ القوّة، وتارة يتجلّى عليّ الضّعف، حتّى خفت على [نفسي من المحق و][1] من السّلب فضقت من ذلك ذرعا، فشكوت حالي إلى أستاذي رحمه الله فسكت عنّي أيّاما ثمّ قال: إيش تقول؟. فقلت: يا يا سيّدي لا أدري. فقال لي: قل «الله» «ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»[2]، ففهمته وقد سكتّ واسترحت لما كنت فيه. والآن يا أخي لا تقل: أنا شيء، لا تقل: ما أنا بشيء، قل: «الله» ترَ عجبا. وقد كان أستاذنا رحمه الله يقول لنا هذا دائما. والاستغراق في ذكر الله تعالى هو السّبب في جلب الأنوار والأسرار وجميع الخيرات الدّينيّة والدّنيويّة، فعليك به دائما. والسّلام.

ومن كلامنا رضي الله عنّا: (نهاية ص 119).

أَلَا أَيُّهَا المُرِيدُ لَا تَحْسَبْ مُقْلَتِي ... فِي غَفْلَةٍ عَنْك والله فِي يَقظَتِي
خَلِيلِي لَا تَخَفْ فَانَّكَ فِي حِصْنِي ... وَنُصبَ عَينِ قَلْبِي ومِرْآةِ هِمّتي
فَكَمْ أُلاقِي البَلَاءَ عَنكُمْ بِسطْوَتِي ... وَأَدْفعهُ عَنكُم وأَنتُم فِي غَفْلَةِ
غَيّاثٌ لكُم بالله فِي قهر حاسدٍ ... لِتعْلُوا عَلَيهِ فِي المَقَام بِصَولَتِي
وقَدْ حَصلَتْ لنَا إِجابَةُ دَعْوَتِي ... فِي حضْرَةِ أَحمَدَ فِي شَأْنِ أَحِبَّتي

---

1 – ب: زائدة.

2 – الانعام/ 92.

Scanned with OKEN Scanner

بِأَخْذِ يَـدٍ لِـكُلِّ مَنْ حَـامَ حَوْلَنَا — نِـدَاءً لَنَـا مِنْـهُ فِي نَـومٍ كَيَقْظَـةِ
فَـلَا عَلَيْكُـمْ إِلَّا الثَّبَـاتُ فِي بَابِـه — وَلِلْغَيْثِ حُرَّاسٌ يُسْقَوْنَ بِنَظْرَتي

## [العلم بمفهومه الصوفي:]

واعلم أنّ العلم نور يضعه الله في قلب من يشاء، والجهل ضدّه وهو ظلمة وقد وضعه في قلب كلّ أحد، لكن من كان نور علمه خارقا لظلمة جهله الّتي حجبته عن عالم الأسرار الملكوتيّة، والجبروتيّة، والرَّحموتيّة فهو عالم حقّا ولو مع وجود جهله، لأنّ نور نهار علمه غالب على ليل ظلمة جهله لا محالة، إذ الحكم للغالب [أيضا. وأمّا من لم يخرق نور علمه ظلمة جهله فهو جاهل مع وجود نهار علمه، لأنّ ظلمة ليل جهله غالبة على نور نهار علمه لا محالة، إذ الحكم للغالب أيضا][1]. ومن هنا كان صاحب العلم الحقيقيّ عالما متمكّنا في علمه، والجهل عنده خطور[2] لا حكم له، والّذي عنده علم اللّسان ولم يتمكّن نورها من القلب فهو جاهل والعلم عنده خطور لا حكم له، وهذه الأحكام والأوصاف تجري على علماء الظّاهر وعلى علماء الباطن كلّهم، لذا من تعلّم علم الظّاهر ولم يعمل به حتّى يزجّه العلم والعمل به إلى حضرة أهل علم الباطن ليعلّموه له ويسيّروه فيه بالذّوق والوجدان حتّى يقول له: ها أنت وربّك فهو جاهل في علمه، لأنّ ذلك يؤدّي به الى الجهل (نهاية ص 120) والحجاب عن مشاهدة الحقيقة الإلهيّة، وكذلك من تعلّم علم الباطن ولم يعمل به حتّى يثبت الأثر بالمؤثِّر ويجمع بين الشّريعة والحقيقة

---

1 – ب : زائدة.

2 – خُطُور: مفرده خَطْر وهو العارض من السحاب، وهنا الطارئ العَرَضي الذي لا ديمومة له.

Scanned with OKEN Scanner

بالشّهود والعيان والذّوق والوجدان فهو كذلك جاهل في علمه. لأنّه يؤدّيه إلى خرق حجاب الشّريعة واضمحلالها، فتصير حينئذ حقيقة ظلمانيّة وتؤدّيه إلى الزّندقة والعياذ بالله. لأنّ من تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق كما عند السّائرين. اللهمّ إلّا من غلب سكره على صحوه حتّى فقد عقله فلا لوم عليه، إذ لا تكليف عليه كما قيل: لقد رُفع التّكليف في سكرنا عنّا. فلا تتوهّم يا أخي أنّ كلّ من تعلّم العلم يكون له نور العلم وله الخصوصيّة وهو سالم من الجهل سواء كان من علماء الظّاهر أو من علماء الباطن. لا والله، لا يكون ذلك، إنّما الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه[1] واستغرق في حضرة ربّه حتّى لا يرى ولا يسمع، ولا يجد ولا يحسّ إلّا بها، ويكون كذلك الحجاب الأعظم الّذي هو وجود ذات المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم، هو حياة رُوحِه. ورُوحه سرُّ حقيقته، وحقيقته جامع عوالمه كما في الصّلاة المشّيشيّة، رضي الله على صاحبها، فهؤلاء هم العلماء حقيقة، وإلّا فلا، وهذا الّذي وَصفت هنا في غلبة العلم على الجهل وعكسه هو سبب ورود الأسرار والأنوار على القلوب، وسبب ورود السّموم والغموم عليها.

## [تنبيه الغافل:]

وأنت يا أخي تعلّمت علم الظّاهر من أهله، ثمّ ساعدك الوقت في ملاقاة الرّجال البالغين المحقّقين الرّاسخين المتمكّنين في علم

---

1 - ينظر: ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، مصدر مذكور، ص16. وردت المقولة في عبارة يرويها ابن عطاء عن شيخه، قال: «وسمعت شيخنا العباس رضي الله عنه يقول: الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه».

الباطن وصحبتَهم مدّة طويلة، وأنت تتعلّم منهم العلم الذي هو قطب العلوم كلّها ولبّها، وهو العلم بالله على سبيل الشّهود والعيان، وأنت باق على حالك ولم ينقص (نهاية ص 121) شيء من أخلاقك الرّديّة الّتي هي أخلاق النّفس الأمّارة بالسّوء حتّى صرت منهمكا في حبّ الدّنيا، وطلب المعيشة بالحرص ودنو الهمّة للمخلوقين، ومحبّتك للرديء منهم والمدح لهم إذا مكّنوك من حظّك ومقصودك، وربّما تذمُّ من تجلّى لك الحقّ فيه باسمه المانع، ولو كان عارفا. فهذا كلّه من المقصود الفاسد والعياذ بالله. وأنت تعلم أنّ ذلك ليس من شأن أهل الصّدق الطّالبين للسّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك العاملين بعلمهم المتّبعين لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولا وفعلا، الماشين على قدمه المتخلّقين بأخلاقه صلّى الله عليه وسلّم، وكلّ خُلُقه مجموع في مخالفة النّفس فيما تهواه وشهواتها وعوائدها. هذا الكريم يوسف عليه السّلام قال: «وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[1].

وأعلمك أنّ من شرط مخالفة الهوى الصّبر على ضيق المعيشة دون ميل إلى الرّخص والتّأويلات، والزّهد فيما في أيدي النّاس واليأس منهم، حتّى ينقطع الطّمع فيهم ويذهب عن صاحبه ظاهرا وباطنا، ثمّ التّوكّل على الله وجمع الهمّة عليه في المضارّ والمنافع، ثمّ الرّضا بالقضاء خيرا كان أو شرا، ثمّ علو الهمّة عن الدّنيا وأهلها، والنّصيحة في الدّين، والحبّ في الله والبغض في الله، ولو كان من الأقارب، ولا يخاف لومة لائم، ثمّ حسن الخلق مع الإخوان ومع جميع عباد الله: من القول اللّيّن وإظهار البشاشة، والمحبّة وكظم الغيض، وطهارة

---

1 - يوسف 53

القلب من البغض، ومن مشاهدة النّقص في عباد الله، إلى غير ذلك من الأوصاف الّتي مدحها الله. وأساس هذه الأوصاف كلّها هو الصّبر في البأساء والضّراء وحين البأس، لأنّ صاحب هذا الحال قد منحه الله قوّة كبيرة حتّى صار لا يتزحزح عن الصّبر ولو حين البأس (نهاية ص 122). وهذا هو الّذي سلك طريق الرّجال حتّى بلغ فيها الغاية والنّهاية.

وأمّا من كان على غير ذلك فهو بعيد من حيث يظنّ القرب، ومقطوع من حيث يظنّ الوصول، وجاهل من حيث يظنّ العلم بل أجهل، وأجهل، وأجهل، ولا شكّ أنّ من أكرمه الله بهذه المسالك كاد أن يكون نبيّا. والله الموفّق، والسّلام.

## [حثّ أهل المحبّة على تعلّم علم الصّوفيّة:]

اعلموا رحمكم الله أنّي أحبّكم أن تتعلّموا علم الصّوفية، رضي الله عنهم، وتعملوا بها وبشرائعها ظاهرا وباطنا، حتّى تظفروا بحقيقته، وإيّاكم والبطالة والغفلة عن ذلك، وأنتم منذ زمان دخلتم في طريقهم ومنسوبين عليهم. والله ما هذا شأن المُريدين الصّادقين «الذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اَللهُ ثُمَّ اَسْتَقَامُواْ»[1]. وإنّما شأنهم القريحة في طلب معرفة الله بالشّهود والعيان، وذلك بمخالفة النّفس الأمّارة بالسّوء دائما قولا وفعلا، حتّى يظفّرهم الله بالنّفس الزّاكيّة والمطمئنّة [والراضية][2] والمرضيّة. وهي الغاية في طريق الولاية. وأمّا من هو مع نفسه متّبع لهواها دائما بالقول والفعل فلا يزيد من الله إلّا بعدا، لا سيّما من

1 - فصلت/ 29.

2 - ب: زائدة.

Scanned with OKEN Scanner

يدّعي الأنانيّة بالنّفس أو يقول: أنا شريف، وولد سيّدي فلان، أو عالم أو فقيه، أو غير ذلك، ولم يعلم أنّ الأنانية قد خرج بها خلق كثير من رحمة الله، ووقعوا في غضبه أوّلهم إبليس لعنه الله، قال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»[1]. كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز ومن تبعه في ذلك كنمرود فرعون وغيرهم من الفراعنة.

وأعلمكم يا إخواني أنّ سبب حجبنا عمّا أودع فينا من الأنانيّة الحقيّة والهويّة الرّبّانيّة في عالم أسرارنا الباطنة وأرواحنا الّتي هي نفخة من الرّوح الأعظم هو أنانيّة النّفس الظّلمانيّة، وذلك لتوهّم وجودها مع وجود فردانيّة الحقّ ووحدانيّته، ورحم الله مولانا علي الجمل (نهاية ص 123) حيث قال في بعض كلامه: من قال أنا من قبل أن يعرف حكم أنا ما هو، فهو والنّمرود سواء. انتهى كلامه رضي الله عنه في من يدّعي الحقيقة دون العيان. وأمّا من يفتخر بالنّسب والخِلقة كإبليس حين أمره الله تعالى بالسّجود لآدم عليه السّلام فأبى واستكبر وقال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»[2] فهو وإبليس سواء. نسأل الله السّلام والعافيّة.

ولا شكّ أنّ الأنانية الحقيقيّة لا تحصل لأحد إلّا إذا حصل له التّواضع الحقيقيّ والأدب الكامل مع الله، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومع أولياء الله، ومع جميع عباد الله، حتّى يكون كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا تأتي إلّا بالمليح، كما قال مشايخ الصّوفية رضي الله عنهم في صفة من اتّبعهم وأخذ طريقهم، وقالوا أيضا: الصّوفي مثل الأرض يطأها البرُّ والفاجر. إلى غير ذلك. وقد قال

1 - الاعراف/ 11.

2 - الاعراف/ 12

ابراهيم بن أدهم[1] رضي الله عنه: «ما سررت في الإسلام إلاّ ثلاث مرّات، مرّة كنت مع بعض النّاس في مركب، وكان فيهم رجل يحكي الحكايات المضحكة، وكان يمرّر يده على حلقي ويقبضني من لحيتي، والنّاس يضحكون لأنّي كنت أهون الخلق عندهم، ومرّة كنت جالسا في مسجد فقبضني إنسان من رجلي، وسحبني حتّى أخرجني، ومرّة كنت جالسا فجاء إنسان وبال عليّ ولم أقل له شيئا»[2]. وقد قال لنا أستاذنا رحمه الله في ابتداء أمري على السّفليات حتّى لبست تليسا، ومهما لقيني أحد يسبّني ويشتمني، ويقول فيَّ ما أحبّ من القبائح بلسان عقورا وأنا ساكت عليه، ولم أردّ عليه خيرا أو شرّا، حتّى يَشفي غيظه ويذهب عنه، فهذا حالي مع كلّ من يريد إذايتي، والله على ما نقول وكيل.

فهؤلاء يا إخواني هم: «الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»[3] كما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز. وأمّا من يقول:(نهاية ص 124) ربّي الله، وهو مع نفسه وشيطانه ودنياه وهواه فلا يستقيم حاله مع الله أبدا. فإيّاكم ثمّ إيّاكم أن تسمعوا حديث النّفس أو تنظروا إليها بعين

---

1 - إبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق(360ه395-)، إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري من أهل بلْخ. كان من أبناء الملوك والمَياسير. صحب سفيان الثوري، والفُضيل بن عِياض. ودخل بلاد الشام، فكان يعمل فيها، ويأكل من عمل يده.

2 - ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص512-513. اختلاف في الحادثة الثانية التي وقعت لإبراهيم بن أدهم عما في المتن، حيث يقول: «ويوما آخر كنت جالسا فجاء إنسان فصفعني».

3 - فصلت/ 29

Scanned with OKEN Scanner

التّعظيم والتّوقير والعزّ والرّفعة، لأنّ ذلك يؤدّي إلى الكِبر والعُجب والتّفاخر والمباهاة، وغير ذلك من النّقائص الّتي تؤدّي إلى المقت والطّرد والبعد وغير ذلك. وعليكم بما يقرّبكم من الله عزّ وجلّ من النّوافل الّتي هي شرائع طريق الصّوفية رضي الله عنهم، وهي التّواضع لله ولعباد الله، ونظر النّفس بعين التّحقير، وإدامة الذّل لها بين الأقران بِفِعل ما يثقل عليها من أوصاف العبودية الّتي هي خرق عوائدها بما يسقطها من نظر الحقّ ويغيّرها ويرفعها عند الملك الحقّ. واسمعوا ما قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في حِكمه حيث قال: «ليس المتواضع الّذي إذا تواضع رأى أنّه فوق ما صنع، ولكنّ المتواضع، الّذي إذا تواضع رأى أنّه دون ما صنع»[1] وقال فيها أيضا: «التّواضع الحقيقيّ: هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلّي صفاته»[2] «لا يخرجك عن الوصف إلّا شهود الوصف»[3] وقال أيضا: «المؤمن يشغله الثّناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا، أو تشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا»[4]. واسمعوا أيضا قوله تعالى وشدّوا أيديكم عليه: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»[5].

واسمعوا أيضا واعتبروا بما قال الله تعالى لنوح عليه السّلام حين سأله نجاة ولده من الغرق بقوله: «ربِّ إِنَّ ابْنِي مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ

1 - الحكمة التاسعة والثلاثون بعد المائتين.

2 - الحكمة الأربعون بعد المائتين.

3 - الحكمة الحادية والأربعون بعد المائتين.

4 - الحكمة الثانية والأربعون بعد المائتين.

5 - الحجرات/ 13

الحَـقُّ وَأَنْتَ أَحْكَـمُ الحَاكِمِينَ»[1]، فأجابه الحقّ سبحانه بقولـه: «يَا نُوحُ إِنَّـهُ لَيْسَ مِـنَ أَهْلِكَ إِنَّـهُ عَمَلٌ غَـيْرُ صَالِـحٍ»[2]، وكيف يفتخر الإنسان بآبائـه وأجـداده وشرفـه، مع قـراءة هاتين الآيتـين أو سـماعهما، وقد قيل (نهاية ص 125):

عَلَيْـكَ بِتَقْـوَى اللهِ فِي كُلِ حَالَـةٍ
فَـلاَ تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَـبِ
لَقَـدْ رَفَـعَ الإِسْـلاَمُ سَلْمَانَ فَـارِسٍ
وَقَـدْ وَضَعَ الكُفْرُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبِ[3]

إلى غـير ذلـك، وانظـروا أيضـا وصْـف من مدحـه الله تعـالى في كتابه العزيـز بالعبوديّـة لـه حيث قـال: «وَعِبَـادُ الرَّحْمَـنِ الَّذِيـنَ يَمْشُـونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًـا وَإِذَا خَاطَبَهُـمُ الجَاهِلُـونَ قَالُـوا سَـلاَمًا»[4]. والسّـلام.

اعلـم أنّ سرّ العبودية يظفّـرك بسرّ الحرّيـة، وسرّ الحرية يظفّـرك بالخمـرة الأزليّـة لا محالـة. ولا شـكّ أنّ كلّ هـذه الأسرار مجموعـة مـن وجـود البشريّـة فاستوصِ بها خـيرا وانظرهـا بعـين التّعظيـم والتّوقير. وقـد قيـل في وصـف بشريّـة محمّـد صلّى الله عليه وسلّم:

---

1 – هود/ 45

2 –هود/ 46

3 – أورد صاحب كشف الخفاء هذين البيتين دون نسبة لقائل بهذا المبنى:
لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه*** فلا تترك الدين اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس *** وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب
ينظر: إسماعيل العجلوني، كشف الخفاء، مصدر مذكور،ج2، ص460.

4– الفرقان/ 63

مُحَمَّدُ بَشَرٌ وَلَيْسَ كَالبَشَرِ
نِسْبَتُهُ كَيَاقُوتَةٍ بَيْنَ الحَجَرِ

وهكذا وُصف من كان على قدمه في الكشف على ما انطوت عليه بشريّته من الأسرار الإلهيّة والفتوحات الرّبانيّة والسّلام.

اعلم أنّ من كان على نظر الرّجال البالغين، وسار على سيرهم لا يخاف العدو، ولا يغلبه أحد أبدا، بل يصير يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ. وأمّا من جاءه العدو فانهزم منه، وحصل له الرعب، ولم تحضر له الشّجاعة الّتي يكون بها الرّجال البالغين فهو مغلوب حتما ويكون دائما [ذليلا][1] تحت يد العدو عند أمره ونهيّه، وهو يفعل فيه ما يريد. فمن كان وصفه هكذا لا ينجح ولا يفلح، ولو كان في حضرة المشايخ لأنّه: صار مشرقا وصاروا مغربا، وشتّان بين مشرق ومغرب[2]. وانظر الرّجل الّذي كان بحضرة أبي يزيد رضي الله عنه نحو ثلاثين سنة وهو على حاله، فلما اجتمع ذات يوم مع أبي يزيد رحمه الله قال له: يا سيّدي منذ ثلاثين سنة، وأنا معك ولم يظهر لي شيء، والّذي جاء قبلي كان منه ما كان، والّذي جاء بعدي كان منه ما كان. فقال له أبو يزيد: «أنت لم تمتثل أمري». فقال له كيف ذلك ؟(نهاية ص 126)، فقال له:إن أردت أن يكون لك مثل ما كان للرّجال فاحلق لحيتك و[حاجبيك واجعل مَخْلَةً][3] من

---

1 – في المتن: مذلولا

2 – الفكرة مقتبسة من بيت شعر أورده الشعراني:
سارتْ مشرقا وسِرْتَ مغربا*** شتّان بين مشرق ومغرب
لمزيد من التفصيل ينظر: عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر، مصدر مذكور، ص32.

3 – في المتن: حواجبك. الأصحّ: مِخْلَاة: جمعها مَخَالٍ، كيس يعلّق على رقبة

الجوز في عنقك وامش ب[الحَفَا][1] في أزقة بسطام، وكلّ من لقيك من الصّبيان قل له: اصفعني أعطيك جوزة يُفتح لك. فقال له: سبحان الله، لمثلي يقال له هذا؟!. فقال له: الشّيخ أبو يزيد: والله ما سبّحت إلّا نفسك حين استعظمتها. فذهب الرجل ولم ينتفع بشيء»[2]، نسأل الله السّلامة والعافيّة. وذلك من حرمانه لأنّه لّما توجّه له السّبب الّذي يفتح به عليه أنكرته نفسه واستبعدته، فحرمه الله من سرّ الخصوصيّة حين توجّهت له والعياذ بالله، والسّلام.

اعلموا يا إخواني أنّ طالب الخصوصيّة بنفسه عاجز عن إدراكها والظّفر بها لا محالة، وطالبها بربّه قادر على إدراكها والظّفر بها. وجرّب ففي التّجريب كشف الحقائق، ما كان لله بالله دام واتّصل، وما لغير الله بغير الله انقطع وانفصل، وشاهد هذا في الحكم وهو قوله«ما توقّف مطلب أنت طالبه بربّك ولا تيسّر مطلب أنت طالبه بنفسك»[3] والسّلام.

## [تفسير سورة الكافرون بالإشارة:]

اعلموا أنّي أريد أن افسّر هذه السّورة بالإشارة[4] ،إن شاء الله

---

الدَّابّة يُوضع فيه عَلَفُها.

1 - حافي القدمين.

2 - ينظر :أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص55-56 .(القصة بتفصيل أدق).

3 - الحكمة الخامسة والعشرون.

4 - قام د/ المختار بوعناني بدراسة وتحقيق هذه السورة. لمزيد من التفصيل ينظر: المختار بوعناني. تفسير سورة الكافرون بالإشارة – تحقيق-مجلة القلم. مجلة محكمة يصدرها أساتذة من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران

تعالى، وهي قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبدتُّمْ ولاَ أَنتُمْ عَابِدُون مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»[1]. فأقول وبالله استعين: إنّها من باب الإشارة عمّت أهل الشّرك الخفيّ والجليّ. فأمّا أهل الشرك الجليّ فهم عبدة الأوثان والشّمس والقمر وعبدة عيسى ابن مريم وغيره. وأمّا أهل الشّرك الخفيّ فهم المحجوبون بظلمة إثباتهم وجود ما سوى الله، حتّى صاروا ينسبون التّأثير لغير الله والعيّاذ بالله. قوله تعالى «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» أي قل: يا محمد، أيّها المحجوبون عن بحر الأحديّة وبحر الواحديّة. «لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» أي لا أُوَحِّدَ ما سواه ولا أنسب الرّبوبيّة لغيره، حتّى نجعل له التّأثير (نهاية ص 127) كما هو ثابت لأوصاف الرّبوبيّة بل وصف ما سواه العدم المحض، فلا وجود له مع الله لأنّه فانٍ مضمحل لا أثر له: [لا ذاتا][2]، ولا صفات ولا أفعالا ولا أسماء. ولا شكّ أنّ الحجاب هو تغطية نور الوحدة بظلمة الكثرة، والمنع من شهود سرّ الرّبوبيّة تفصيلا وإجمالا، وإنّما أعبد مولاي الّذي هو موصوف بالأوّليّة والآخريّة والظّاهريّة والباطنيّة، وأشاهده في الوجود بأسره بذاته العليّة وصفاته العزيزة القديمة السّنيّة وأفعاله وأسمائه القدسيّة المنزّهة عن كلّ نقص. وقوله سبحانه: «وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أي ولا أنتم أيّها المشركون مشاهدون ما أشاهد، وهو مولاي الّذي له هذه الصّفات العليّة المنزّهة عن الشّبيه والنّظير. وقوله عزّ وجلّ: «وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ»،

---

السانية. ع7. سنة 2008. ص1 وما بعدها.

1 - الكافرون: 1-6.

2 - ب: زائدة.

أي ولا أنا عابد ما تعبدونه أنتم وتعتقدون أنّه ربّ بالخيالات الوهميّة، مع وجود عظمة الرّبوبيّة وظهورها أشدّ الظّهور فيما ظهر وما بطن من الموجودات كلّها من عرشها إلى فرشها. وقوله سبحانه: «وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ»، أي ولا أنتم موحّدون ومشاهدون ما أعلم وما أشاهد من سرّ الألوهيّة الّذي ليس كمثله شيء، ولا أنتم معاينون ما أعاين من سرّ القدم والبقاء لعظمة ذات [الجليل][1] جلّ جلاله، ففاقت عظمته كلّ عظمة بل لا عظمة لغيره معه سبحانه لا إله إلّا هو، وقوله سبحانه: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» [أي اعتقادكم الفاسد في وصف الرّبوبيّة][2]، وقوله: «وَلِيَ دِينِ» أي توحيدي لمولاي بالشّهود والعيان لذاته وصفاته العليّة، ولجميع أسراره الأزليّة التي لم تزل و[لن][3] تزول أبد الآبدين، والسّلام.

## [أثر تعليم المشايخ على المريد الصّادق:]

اعلم أنّ المُريد الصّادق إذا تعلّم العلم من المشايخ الرّبّانيين يدفعه علمه إلى العمل به لا محالة، والعمل به يدفعه إلى الحال الرّبّاني لا محالة، والحال الرّبّاني يدفعه (نهاية ص 128) إلى النّور الخارق للحُجُب كلّها، والنّور الخارق للحُجب يدفعه للحضرة الرّبّانيّة الّتي هي حضرة الذّات العليّة والإقامة فيها أبد الآبدين، وحينئذ يكون العلم بنفسه هو العمل، وهذا هو الكمال الذي يعبّر عنه الأكابر من أوليّاء الله رضي الله عنهم بالفناء والبقاء، والجذب والسّلوك، والسّكر والصّحو،

1 - ب: الجلال.

2 - ب : ساقطة.

3 - في المتن(أ وب) : لم تزول.

Scanned with OKEN Scanner

والجمع والفرق، والحرّيّة والعبوديّة، والحقيقة والشّريعة، بحيث يصير فناؤه عين بقائه، وبقاؤه عين فنائه، وجذبه عين سلوكه، وسلوكه عين جذبه، وجميع في جميع هذه الألفاظ الّتي اصطلحوا عليها رضي الله عنهم وإلّا فلا. لأنّ المُريد اذا تعلّم العلم من المشايخ الرّبّانيّين ولم يعمل به، ولم يكن عند أمرهم ونهيهم ولو في المحال فهو بطّال لا محالة، والبطّال لا يجئ منه شيء ولو علم ما علم، لأنّ المُريد الصّادق هو الّذي إذا قال شيخه: افعل يفعل، ولو أمره بالمحال من غير تردّد ولا ارتياب ولا تأنٍ، كما قال الشّيخ العربي بن عبد الله لتلميذه مولاي عليّ الجمل رحمهما الله جميعا: ومن آداب المُريد مع الشّيخ إن قال له شيخه: أردتك أن تخرج من عين المخيط لا يردّ عليه القول. بل يقول له: نعم من غير تردد ولا ارتياب ولا تأن[1]. انتهى كلام سيّدي العربي بن عبد الله، فهذا يا إخواني هو الذي [يسمّيه][2] العارفون بالله رضي الله عنهم: مُريدا صادقا حقّا. ومن كان على هذا الحال فمعاذ الله أن يخيّبه الله من سرّ الخصوصيّة الكبرى. والله الموفّق. والسّلام.

## [مخالفة الهوى:]

اعلموا يا إخواني أنّ مبني هذا الطّريق وأصله الّذي ينتج منه جميع الأسرار والأنوار هو مخالفة الهوى، وذلك أنّ كلّ ما يثقل على النّفس فهو حقّ يجب على مُريد السّلوك إلى حضرة ملك الملوك أن يفعله، لأنّ ذلك ينتج العلم الوهبيّ، والعلم الوهبيّ ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشّكوك والاوهام ويزجّ صاحبه

1 - ينظر: مولاي علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص 105.

2 - في المتن : يسموه

(نهاية ص 129) لحضرة الملك العلاّم، كما سمعناه من أستاذنا رحمه الله المرّة بعد المرّة. والسّلام.

اعلم أنّ الخصوصيّة الّتي كان عليها أهل الله قديما وحادثا لم يحل بيننا وبينها إلّا الوهم، والرّضا عن النّفس ووقوف الهمّة عن السّير إليها باستعمال شرائعها، وأمّا من كان على خلاف ذلك، فلا يجد الله منها. إنّ الله يرزق العبد على قدر همّته كما قيل، وقال قطب الدائرة مولاي علي الجمل رحمه الله: «اعلم أنّ المدّعين للخصوصيّة اثنان: الأوّل ادّعى الخصوصيّة من غير خصوصيّة، وهو مع ذلك راض عن نفسه مكتف بعلمه، فهذالم تتحرّك له همّة للخروج عن عوالم طبعه، فهذا كاذب فاسق ألاَ لعنة الله على الكاذبين، والآخر ادّعى الخصوصيّة من غير خصوصيّة وهو سائر في طريقها بمرافقه أهل التّحقيق بها، فهذا إن كان لم يصل للخصوصيّة ببدنه فقد وصلها بنيّته وهمّته حمله التّعشّق والتّشوّق إليها حتّى ادّعى أنّه مستغرق فيها وواصل إليها. ولا شكّ أنّ النّية أبلغ من العمل، مع أنّ هذا حصلت له النّية الصّادقة وهو خدّام في سيره بالعمل، صار ذلك القول بالوصول عند مثل هذا، ربّما يقبله منه أرباب الفنّ لأنّهم مع ما فيه صلاح قلوبهم كمن أراد أن يكون ملكا إذا لم يَدَّع الملك قبل ظفره به. لا يظفر بالملك أبداً، جرت عادة الله في خلقة أن يُنزل الإنسان نفسه، ثمّ يجدها والخلق بأجمعهم لا ينزلونك إلّا أين تنزل نفسك اه»(1). والسّلام.

1 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص295، تصرف المؤلف في مقولة علي الجمل بالزيادة والنقص، ولكن أهم ما حذف منها، والذي يؤثر على المعنى هو «بالكذبّ» في قوله: «اعلم أن مدّعِي الخصوصية بالكذب اثنان...».

## [ما بين الفاني في الدنيا والفاني في الآخرة:]

اعلم أنّ المشتغل بالدّنيا الفاني فيها بالقول والفعل، فهو عبد لها ظاهرا وباطنا تتصرّف فيه تصرّف الملك في رعيّته لا محالة، كذلك الفاني في الآخرة المتوجّه إليها بالقول والفعل، كأنّ الله تعالى لم يخلقه إلّا لها فهو عبد لها ظاهرا وباطنا تتصرّف فيه تصرّف الملك في رعيّته لا محالة، وكذلك المتوجّه الى الله المشتغل به (نهاية ص 130) دائما بالقول والفعل، ولا التفات له إلى الدنيا ولا إلى الآخرة فهو عبد الله ظاهرا وباطنا يتصرّف فيه مولاه كيف شاء وكما شاء، ولا يتزحزح عن عبوديّة مولاه أبدا. فمن كان وصفه هكذا يمدّه مولاه حتما باسمه الملك فتصير الدّنيا والآخرة وأهلها، عنده بمنزلة الرّعية يتصرّف فيها كيف شاء بسطوته وهمّته، والله غالب على أمره. وجرّب ففي التّجريب كشف الحقائق. والسّلام.

## [سرّ الرّبوبيّة:]

اعلم أنّ ذاتك وصفاتك وأسماءك وأفعالك هي عين سرّ الرّبوبية ذاتا وصفاتٍ وأفعالا وأسماء، وكذلك هو عين سرّ القبضة المحمّديّة ذاتا وصفاتٍ وأفعالا وأسماء، فمن أكرمه الله تعالى وخصّة بالكشف عن سرّ هذه الحقائق الّتي اجتمعت فيه شاهد الأسرار الإلهيّة وأسرار القبضة المحمّديّة بأجمعها في نفسه فإذا أراد شهود سرّ الرّبوبيّة ذاتا وصفاتٍ...الخ ، شاهده في ذاته وصفاته، وإذا أراد شهود سرّ القبضة المحمّديّة الّتي هي أصل الارواح شاهده في ذاته وصفاته وجميع شؤونه، وحينئذ تكون مشاهدة الذّات العليّة في نفسه طوع يده وذلك بها لا بنفسه، هذا حال من خصّه الله تعالى بهذا السرّ دائما.

Scanned with OKEN Scanner

واعلم أيضا أيّها الإنسان أنّك مهما شاهدت ذاتك مستقلّة بنفسها انحجبتَ عن سرّ ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله مع ظهورها فيك أشدّ الظّهور، ومهما غبت عنها زال حجاب وهمِك عن مشاهدة من «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[1]، فحينئذ يكون سمعك مستمدّا من سمعه، وبصرك مستمدّ من بصره، فتسمع كلامه بسمعه لا بسمعك وتراه به لا ببصرك. وحينئذ تتحقّق بمعنى قوله سبحانه: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[2]، وفي رواية: (نهاية ص 131) كُنْتُهُ. فهذه هي المشاهدة الكاملة والولاية الواسعة الّتي أكرم الله بها أكابر أوليّائه. فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بها نحن وجميع أهل محبّتنا، آمين.

اعلم أنّ من كاشفه الله تعالى بالحقيقة الإلهيّة بالعيان وشاهد ذاتها في ذاته وصفاتها في صفاته وأفعالها في أفعاله وأسماءها في أسمائه بلا إثنينية ولا غيريّة، بل يشاهد هذه عبر هذه لا غير. فهو [الموصوف بالفاني][3] في الله حقّا. وكذلك من كاشفه الله بالحقيقة المحمديّة بالعيان، وشاهد الذّات الأحمديّة في ذاته، وصفاتها في صفاته، وأفعالها في أفعاله، وأسماءها في أسمائه بلا إثنينية ولا غيريّة، بل يشاهد كلّ واحدة نفس الأخرى بلا مغايرة بينهما. فهو الموصوف بالفاني في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حقّا. واسمع قول من حصل له

1 – الشورى/ 9

2 – مرّ تخريجه.

Scanned with OKEN Scanner

الفناء في الـذّات العليّـة واستولت ذاتـه بجميـع شـؤونها حتّـى لم يقدر علـى التّبايـن معهـا والانفصـال منهـا حيـث قـال:

أَنَـا مَـنْ أَهْوَى وَمَـنْ أَهْـوَى أَنَا ... نَحْـنُ رُوحَـانِ حَلَلْنَـا بَدَنَـا

فَـإِذَا أَبْصَرْتَنِـي أَبْصَرْتَـهُ ... وإِذَا أَبْصَرْتَـه أَبصَرْتَنـا[1]

وقال الششتري رحمه الله في بعض أزجاله:

لقَـدْ أَنَـا شَيْءٌ عَجِيـبْ ... لِمَـــــن رآنِي

أَنَـا الُمحـبُّ والحبيـبْ ... لَـس ثَـمَّ ثـانِي

يَـا قَاصِـدَ عَيْنَ الْخَـبَرْ ... غَـطَّـاهُ غَـيْـنَـك

اِرْجَـعْ لِذَاتِـكَ واعْتَـبِرْ ... مَـا ثَـمَّ غَـيْرك

فالَخيْـرُ مِنَّـك وَالْخَـبَرْ ... والـسِّرُّ عِـنْـدَك[2].

إلى غير ذلك مـن كلام أهل الفنـاء في الخمرة الأزليّة، واسـمع أيضا قـول مـن حصل لـه الفنـاء في الـذّات الأحمديّة حتّـى صار يشـاهدها في نفسـه وفي الوجـود بـأسره حتّـى لم يقـدر علـى التّبايـن معهـا حيـث قال (نهايـة ص 132)

عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الأَكْوَانِ أَجْمَعِهَا ... تَحِيَّـةُ اللهِ مَـا دَامَـتْ لَنَـا النِّعَـمُ

مَنْ فَاتَهُ مِنْـكَ وَصْلٌ حَظُّهُ النَّدَمُ ... وَمَـنْ تكُنْ هَمَّهُ تَسْـمُو بـهِ الهِمَمُ

وَنَاظِـرٌ فِي سِـوَى مَعنَـاكَ حُقَّ لَهُ ... قْتَصُّ مِنْ جَفْنِـهِ بِالدَّمْعِ وَهُوَ دَمُ

والسَّـمْعُ إِنْ جَالَ فِيهِ مَـنْ يُحَدِّثُهُ ... سِوَى حَدِيثِكَ أَمْسَى وَقْرُهُ الصَّمَمُ

1 - الحلاج، الأعمال الكاملة، مصدر مذكور، ص330.

2 - هـذا الزجـل لم نعثـر عليـه في ديـوان الشـاعر، وإنـما تـمّ إيـراده منسـوبا إليه في موقـع يهتـم بـالأدب العـربي: http://ara.bi/poetry/

فِي كُلِّ جَارِحَةٍ عَيْنٌ أَرَاكَ بِهَا مِنِّي وَفِي كُلِّ عُضْوٍ بِالثَّنَاءِ فَمُ
فَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِكُمُ وَكُلُّ قَلْبِي مَشْغُوفٌ بِحُبِّكُمُ
فَمَا الْمَنَازِلُ لَوْلَا أَنْ تَحُلَّ بِهَا وَمَا الدِّيَارُ وَمَا الْأَطْلَالُ وَالْخِيَمُ
لَوْلَاكَ مَا شَاقَنِي رَبْعٌ وَلَا طَلَلٌ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى نَحْوِ الْحِمَى قَدَمُ(1)

ولكن يا أخي صاحب الفناء في الله لا يكون انتهاؤه أو غاية فنائه إلّا في الفناء في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك صاحب الفناء في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يكون انتهاؤه وغاية فنائه إلّا في الفناء في الله، جعلنا الله من أهل الجمع بين الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة، آمين، والسّلام.

## [صفات المريديّة الحقّة وشروطها:]

اعلم قد وصفتنا بالأستاذيّة ووصفت نفسك بالمريديّة لنا. والمريديّة وصفها عند المشايخ المحقّقين هو أن يكون صاحبها بين يدي المشايخ كالميّت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف شاء، وكذلك الأستاذيّة وصفها المشايخ الرّبّانيون أيضا بأن صاحبها يكون عارفا بالله مستغرقا في حضرته بالشّهود والعيان جامعا بين الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة، فهذا هو وصفه في كلّ زمان، ولكن لا أدري أي المصيبتين أعظم: فَقْدُ الشّيخ المربّي أو المُريد الصّادق، كما

1 - ينسب علي الجمل هذه الأبيات لأبي المواهب التونسي (نصيحة المريد، ص284)، وكذا أحمد بن عجيبة ويقول عنه: «وله كلام رائق نظما ونثرا. ومن نظمه» ثم يورد هذه الأبيات، (إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص299). وكذلك في مخطوط بمكتبة الملك سعود، قسم المخطوطات (مجموعة قصائد في التصوف، النابلسي وآخرون، رقم 5205، ص24). والملاحظ أنها في المتن مصحّفه، وقد طالها الكثير من التشويه ترتيبا ومعنى، وقد قمنا بتصحيحها اعتماد على المصادر المذكورة.

Scanned with OKEN Scanner

قيل، لأنّي يا أخي أراك منذ زمان وأنت منسوب إلينا، وملازم لمجالستنا مع كونك قد حصلت لك ملاقاة مع شيخنا مولاي العربي بن أحمد في آخر عمره وأنت باق (نهاية ص 133) على حالك الّذي كنت عليه قبل ملاقاتنا، ولم تتزحزح عنه إلى سلوك طريق الصّوفيّة الّتي كاد رجالها أن يكونوا أنبيّاء مع كونك متجرّدا من الدّنيا ومن صحبة أهلها منذ زمان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، فمن هنا ترجّح عندنا أن يكون الغالب هو فَقْد المُريد الصّادق، لأنّ المُريد الصّادق ينتفع بصدقه ونيّته لا محالة ولو من حجر، كما في الحديث الشّريف: «لَوْ حَسَّنَ أَحَدُكُمْ ظَنَّهُ فِي حَجَرٍ لِانْتَفَعَ بِهِ»[1].

واسمع قول مولانا عليّ الجمل رحمه الله: «اعلموا أيّها الإخوان، إيّاكم أن تنكروا فضل العوام. والله ما فُتح لي الباب إلّا على يد رجل عاميّ جاهل من عوامّ المسلمين حصلت له مراقبة مع بعض العارفين فلمّا اجتمعت معه مصادفة من غير قصد، وكنت في ذلك الوقت واقفا بالباب أدقّ عليها ليلا ونهارا، صباحا ومساء. فلمّا أراد الله أن يفتحها لي بفتحه، اجتمعت مع ذلك العاميّ بقرب الباب وفي يده المفتاح وهو لا يدري ما المفتاح وما الباب. فألهمني الله تبارك وتعالى لنأخذه وأقيسه على الباب هل يفتح به أم لا ؟ فدفعه إليّ وهو زاهد فيه لا يعرف له قدرا، فأدخلت المفتاح في الباب فانفتح لي بفضل الكريم الوهّاب، فكنت أوّل نهاري مع العوامّ وآخر نهاري مع الخواصّ. فلما دخلت سبّحت. وقلت: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ

---

1 - قال عنه ابن تيمية: إنه موضوع. وابن حجر العسقلاني: لا أصل له. وابن القيم: هو من كلام العباد الذين يحسنون ظنهم بالأحجار (الأسرار المرفوعة، ح376، ص286).

عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (1). فالمنّة لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم. وأصل ذلك كلّه أنّي كنت أُكثِر من زيارة الشّيخ مولاي عبد السّلام ابن مشيش نفعنا الله به وبأمثاله، وهذا الباب الّذي ذكرنا هو باب الفناء الّذي ليس للدّاخل عنه محيد ولا ننكر فضل المربّي الّذي ربّانا بعد الدّخول، جزاه الله عنّا خيراً» (2) اه.

فانظر يا أخي وتأمّل كيف فتح الله (نهاية ص 134) لأهل الصّدق الكثير بسبب ملاقاة المنتسبين للمشايخ الرّبانيّين، ولو لم يبلغوا مبلغ الرّجال الكاملين، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم في كتب الصّوفيّة، رضي الله عنهم. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ويجعلكم، ويجعل جميع أهل محبّتنا من أهل الصّدق الكبير بجاه رسول، الله صلّى الله عليه وسلّم.

## [حقوق الإخوان على المريد الصّادق:]

اعلموا يا إخواني أنّ مواصلة الإخوان واجبة على المريدين وأقلّها مرّة في الشّهر، كما سمعنا ذلك مرارا من أستاذنا رحمه الله، وقد كان يحكي لنا ما قاله سيّدي العربي بن عبد الله لتلميذه مولاي عليّ الجمل رحمهما الله جميعا، وهو قوله: سمعت عن بعض المشايخ أنّه قال [عييت نساوي بين الّذي يجي ويجيب وبين الّذي يجي ولا يجيب] (3) فلم يستويا عندي، قال وأنا أقول: [عييت نساوي بين الّذي يجي وبين الّذي لا يجي فلم يستويا عندي] (4) إ.ه.

1 - فاطر/ 34

2 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص 26.

3 - هذا التعبير من آثار التداخل بين سجلين لغويين (عامي وفصيح) يجي: يأتي، يجيب: يحضر أي الهدية (المعروفة بالزّيارة)

4 - عييت: تعبت، عجزت.

Scanned with OKEN Scanner

فانظروا ما المعوّل عليه وما المؤكّد به من هذين القولين، فالّذي يظهر أنّ المؤكّد به على المريد الصّادق هو المشي والمجيء مع بذل ما هو عنده من الدّنيا، ولا يستند إلى رخصة في ذلك سواء كان بأهله أو منقطعا. كان السّير بالنّفس والفلس هو العمدة في سلوك الطّريق عند جميع المشايخ الرّبّانيّين وقد عبّر عن ذلك الشّيخ مولاي عليّ الجمل رحمه الله في بعض كلامه فقال: «مثل السّائر بنفسه وفلسه مع السّائر بنفسه دون فلسه أو بفلسه دون نفسه كالرَّكْبِ الذاهب إلى مكة، أمّا السّائر بنفسه وفلسه كالرّاكب على جواد عتيق لا تحصل له مشقّة في سيره، بل يصل إلى حاجته وبغيته في أقرب مدّة مع راحة بدنه وهناء، وعيش طيب رغد. وأمّا السائر بنفسه دون فلسه فهو كالماشي على رجليه، فلا بدّ له من المشقّة والتّعب وطول المسافة. وأمّا السّائر (نهاية ص 135) بفلسه دون نفسه فهو كالمعين للرّكب فما له إلّا الأجر دون بلوغ منيّته في الوصول إلى الله ...»[1] الخ. فالمعوّل عليه الّذي لا بدّ منه هو السّير بالنّفس والفلس. لأن في ذلك ذبح النّفس والاحاطة بها من كلّ جهة حتّى تخرج من كلّ مغارة. لأنّ للنّفس من النّقائص ما لله من الكمالات. ومعظم نقائصها الّتي اجتمعت فيها عيوبها الجليّة والخفيّة هو حبُّ الدنيا. فإذا اجتهد المُريد في قطع رأس الخطايا هان عليه كلّ شيء وبلغ الغاية والنّهاية في سلوك طريق الله لا محالة. وأمّا غير السّائر بنفسه وفلسه فالمؤكّد به على المشايخ أن يحتالوا عليه ويأمروه ويذكّروه بالجمع بين الحالتين [ليستوي عنده مع من تكرّم الله عليه بالقوّة في الجمع بين الحالين][2]. وأمّا الّذي لا يجيئ ولا يبعث فلوسه فلا يقبله

---

1 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، س 47-48 (تصرف المؤلف في المقولة المقتبسة).

2 - ب: ساقطة.

Scanned with OKEN Scanner

أحد إلّا أنّه يجب على أهل الفنّ الحَكُّ له في الدَّبْرة من جهة النّفس والفلس، فإن زعرط فقد أراحكم الله منه والسّلام.

اعلم -سيّدي- أنّي سائل الله تعالى أن يتكرّم علينا وعليكم بأحوال الرّجال البالغين أهل دائرة الولاية الكبرى: من الأقطاب، والأفراد، والأجراس، وغيرهم من رجال المحبّة الّذين تنزّهوا عن المقامات كلّها حتّى عن القطبانيّة الكبرى، كما يحكى: أنّ مُريدا سأل شيخه فقال: سيّدي أنت القطب فقاله له: نزّه شيخك عن القطبانيّة[1]. لأنّ من كان في حضرة الحقّ لا مقام له، ومصداق لهذا ودليله قوله تعالى: «يَأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا»[2]، إذ معناه من باب الإشارة أنّ أهل يثرب هم أهل الحضرة الرّبّانيّة الّذين سلكوا الطّريق حتّى بلغوا مقام علم اليقين، الّذي هو الفناء في الأفعال بالذّوق، والوجدان، والشّهود، والعيان ثمّ ارتقوا إلى مقام عين اليقين، وهو الفناء في الصّفات فحصّلوها أيضا بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان، ثمّ ارتقوا(نهاية ص136) إلى مقام حقّ اليقين الّذي هو الفناء في الذّات فحصّلوه بالذّوق والوجّدان والشّهود والعيان، فهذه الفناءات الثّلاثة الّذي كمال الفناء في الله. ولم يبق لهم حينئذ إلّا الوسع التّام في كمال الولاية، وهو البقاء في الذّات وفي الصّفات بالصّفات، وفي الأفعال بالأفعال، والأسماء بالأسماء، فهذا هو الوسع التّام والرّسوخ والتّمكين في دائرة الولاية الكبرى ومن هنا قيل: الفناء أساس الطّريق وبه يُتوصّل إلى مقام التحقيق. ومع هذا فالتّرقّي والزّيادة في الأسرار

---

1 - ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج1، ص193.

2 - الاحزاب/ 13

الأزليّة [الّذي][1]لا ينقطع أبد الآبدين في العمر الطويل الأخرويّ، فما بالك بالعمر القصير الدنيويّ، فلذلك كان أهل الحضرة الرّبّانيّة لا مقام لهم. جعلنا الله وإيّاكم من أهل هذا الشّراب العزيز، بفضله وإحسانه، بجاه قطب الوجود وعينه وسرّه الّذي كان منه ما كان وما يكون مولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، الّذي قيل: إنّه الرّوح الأعظم الذي هو يعسوب الأرواح أي أصلها، كما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «أنا يعسوب الارواح»[2] وروي أيضا في شأنه: قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمّداً فكانت محمّداً، ومن محمّدٍ كان ما كان وما يكون . فهذا الّذي نحبّه لأنفسنا ولكم جميعا أهلَ محبّتنا بفضل الله وإحسانه، وما ذلك على الله بعزيز.

## [توضيح مسألة صوفيّة:]

وقد أخبرنا بعض أهل محبّتنا أنّكم استغربتم قول العارف بالله سيدي أحمد بن عجيبة[3] كناية عن أستاذنا مولاي العربي بن أحمد في

---

1 – من عندنا.

2 –رواه الديلمي عن الحسن بن علي ولا أصل له. رواه بلفظ مختلف، وهو: «أنا يعسوب المؤمنين»(الأحاديث المشكلة في الرتبة، مصدر مذكور، ص98) وذكره ابن الديبع، وفيه أن الديلمي رواه عن الحسن بن علي، قال: قال علي رضي الله عنه: أنا يعسوب المؤمنين، ورفعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «يا علي إنك لسيد المسلمين، ويعسوب المؤمنين» واليعسوب أمير النحل...(الأسرار المرفوعة، ص286).

3 – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف (1162 -1224هـ/ 1748- 1809م)، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني عشر الهجري في المغرب.

Scanned with OKEN Scanner

الشّيخ زرّوق رحمهم الله، ورضي عنهم وهو قوله: سيّدي أحمد زرّوق عند أهل الظّاهر كبير، وعند أهل الباطن شيء صغير.اه. ولا غرابة في ذلك لأنّه قد قيل: إنّ سيّدي زرّوق رحمه الله ما فُتح عليه إلّا في آخر عمره، وما عاش به الفتح إلّا مدّة قليلة، وليس من عاش بعد الفتح مدّة طويلة (نهاية ص 137)، كمن عاش بعده مدّة قليلة. وقد رآه سيّدي أحمد بن عجيبة في نوم كاليقظة قال: فقلت له: ما بالك قد شددت على المُريدين في تأليفك الذي سميته «عُمْدَةُ المُرِيدِ»[1] قال: فقال لي: ذلك الّذي يناسب مذهب مالك، قال: فقلت له العارف بالله لا يقلّد مالكا ولا غيره بل يأخذ الشّريعة من أصلها والحقيقة من معدنها. قال: فقال لي: من عرف هذا أو صحب من عرفه لا نتكلّم معه. قال: فقلت له: والله لقد عرفناه وصحبنا من عرفه. قال: فسكت.

وأيضا هذه المقالات الّتي تصدر من أهل الله، لا تصدر منهم غالبا إلّا عند فيضان الوجد. وما صدر منهم في ذلك الوقت ينبغي أن يطوى ولا يحكى، ولأنّه أيضا لا يفهم كلامهم إلّا من كان مثلهم. وقد صدر من الشيخ الجنيد رحمه الله مثل ذلك، فقد قال عند فيضان وجده: «أدركت سبعين عارفا كلّهم يعبدون الله على الظّنّ والوهم حتّى أخي أبا يزيد لو أدرك صبيّا من صبياننا لأسلم على يده»[2]. وهذا قاله الجنيد في أبي يزيد مع أنّ أبا يزيد بعث له يحي بن معاذ الرازي رضي الله عنهما، وقال له: «قد سكرت من كثرة ما شربت

---

1 - الكتاب مطبوع تحت عنوان : عدة المريد الصادق، وقد حققه الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، ونشرته دار ابن حزم بيروت سنة 1428ه2006-م، ولكن عنوانه الكامل فهو: عدة المريد الصادق من أسباب المقت وذكر حوادث الوقت.

2 - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج 2، ص 22.

Scanned with OKEN Scanner

من كأس محبّته، فلمّا بلغ ذلك أبا يزيد ردّ له الجواب فقال له: ها هنا رجل شرب بحار السّموات السّبع والارضين السّبع. وما رويَ بعدُ، ولسانه خارج من فيه يقول هل من مزيد»[1]. وقد سمعنا أيضا من شيخنا مولاي العربي بن أحمد يخبر عن حاله حين فاض عليه الوجد وتبحّر فيه قال: كنت جالسا بجامع القرويين بفاس وإذا بوليّ من أوليّاء الله وضع يده على رأسي وقال: أنت والوجود نقطة في بحر. قال: فانتبهت فوجدت نفسي في بحر لا غاية له ولا نهاية ولا فوق ولا تحت، فقلت في نفسي: إيش هو الوجود؟، وإيش هو البحر؟، وإيش هي النقطة؟ ،وإيش هو أنا؟... الخ (نهاية ص 138) ومن ذلك أيضا قول الشّيخ مولاي عبد القادر رحمه الله: الّذي قدمني فوق رقبة كلّ ولي لله تعالى إلى غير ذلك، فمثل كلام هؤلاء الرّجال عند فيضان الوجد يُطوى ولا يُحكى. والسّلام.

اعلم يا أخي أنّه قد بلغني أنّك لم تزُل حيرتك بالجواب الّذي بعثناه لك، مع أنّه لا ينبغي للإنسان الّذي حصل له الإيمان بمشايخ الطّريق والتّصديق بما جاءوا بها، أن يتحيّر فيما صدر عنهم من أقوال أو أفعال أو أحوال عند فيضان الوجد، أو عند إخبارهم لمن سألهم عمّا جهل من حالهم إلّا إذا دخل في بلادهم أو حصل له فيضان وجد مثلهم ، وإلّا فينبغي له التّسليم فيما صدر منهم، لأنّ ما صدر منهم عند الفيضان أو الإخبار لمن جهل حالهم فوق طور العقل لا يدرك بالظّنّ والتّخمين، بل بالذّوق والوجدان والمشاهدة والعيان .

واسمع كلام الشّيخ مولانا أبي الحسن الشّاذلي رحمه الله الّذي قاله بعد صحبته للشّيخ مولانا عبد السّلام بن مشّيش، رحمه الله، وبعد

1 - ينظر : أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مصدر مذكور، ج10، ص40.

الفتح على يده في طريق الولاية، وذلك أنّه سئل بعد وفاة شيخه فقيل له: من شيخك؟. فقال: «كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السّلام بن مشّيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر: خمسة من الآدميين: النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخمسة من الروحانيين: جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والرّوح»[1]. فهذا وقع منه مع أنّه لم يقع بُعْدٌ بينه وبين شيخه المذكور، ولم يتخذ شيخا غيره بخلاف الّذي قال هذه المقالة في الشّيخ زرّوق، فإنّ بينهما مشايخ عديدة ومدّة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، وقد وجدنا كلاما في سلسلة المشايخ الّذين بيننا وبين الشّيخ (نهاية ص 139) الشّاذلي في بعض التآليف: أنّ سيّدي عبد الرّحمن المجذوب الّذي هو شيخ مشايخنا قد أخذ الطّريقة الّتي تتّصل بالشّيخ زرّوق عن الحضرمي[2] إلى أبي العبّاس المرسي، إلى الشّاذلي بالولادة دون التّربيّة، وأخذ طريق التّربية عن شيخ من مشايخ الجزولية، وهو الّذي ربّاه وهو عمدته فأصل الطّريق الّتي أخذها المجذوب رحمه الله بالولادة والتّربيّة هو الشّيخ الشّاذلي لا غير، لأنّ أصل الطّريقة الجزولية الّتي ربّاه صاحبها عن ابن العربي صاحب «عنقاء مغرب» وهو كتاب بديع ألّفه في علم الحقائق[3]. وابن العربي هذا أخذها عنه الشّيخ الشّاذلي، فهو أبو الشّيخ أبي العبّاس المرسي، كما أنّ طريقة الشّيخ زرّوق عن الحضرمي إلى أبي العبّاس المرسي عن الشّاذلي، ولكن

1 – ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص50 (صحح النص وفق تقييد ابن عطاء).

2 – هو أبو عبد الله الحضرمي (663-711هـ)، قال عنه صاحب الحلية: «كان للعلائق مفارقا، وبالحقائق ناطقا»، واشتهر بصمته عن الكلام (حلية الأولياء ج10، ص345-346).

3 – عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

Scanned with OKEN Scanner

فرق كبير بين من تسبّب في ولادته فقط وبين الّذي ربّاه. فافهم، والله الموفق.

## [بيان وتوضيح في علاقة المريد بالشيخ:]

وأمّا قولك المُريد لا يزيد فوق مرتبة شيخه بل يساويه فقط، ونسبت ذلك للجنيد رحمه الله، فإن صحّ ذلك فالجواب عنه من وجهين أحدهما: ما قاله الشّيخ الشّاذلي رضي الله عنه، وأنّه صار يغترف من عشر أبحر، والثّاني أنّنا قد وجدنا في شرح الرّائية الشريشية خلاف ما قاله الجنيد ونص كلام شارح الرّائية، ناقلا عن ابن العربي الحاتمي قال بعد كلام: والشّيخ إذا علم أنّ المُريد قد استقلّ وكَمُلت تربيته وحان أوان فطامه، وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته ويتركه مع ربّه وإن شاء أقعده. ولا حكم عليه للشّيخ بعد ذلك، ولكن يلزم المُريد إن ساوى شيخه في الرّتبة أو جاوزه التّأدّبَ معه واحترامه، ولا يقعد للإرشاد إلّا بإذنه، مالم يأمره ربّه، فإن أمره فما للشّيخ عليه في هذا مأخذ. انتهى.(نهاية ص 140) وهذا هو قطع الشّيخ المدد عن المُريد وتركه مع ربّه، وإن شاء أقعده. ولا حكم له عليه بعد ذلك... الخ، فيما إذا كان الشّيخ حيّا وربّاه حتّى بلغ مبلغ الرّجال، ومع ذلك إذا وقعت فيضة للمُريد، وقال ما قال وصدر عنه ما جاوز حدّ الأدب مع شيخه في حياته فلا ملامة عليه، لأنّه يُسلَّم له ما قاله عند فيضان وجده. فأحرى إذا تسبّب في ولادته ولم يربِّه وكان بينهما زمان طويل ومشايخ كثيرة، والله الموفّق، والسّلام.

## [وصف الولاية:]

اعلم أنّ أصل الولاية الّتي هي الفناء في الله والغيبة عمّا سواه هو الاجتباء من حضرة الخلق إلى حضرة الحقّ، سواء تقدّمها سلوك أو

أتت فجأة دفعة واحدة، لأنّ الوليّ هو الّذي تولّاه الله فغطّى أوصافه ونعوته... الخ، فلا تستبعدوا يا إخواني أمر الولاية بالكلام في وصفها ونعتها إذا تكلّم بها أحد، ولم تشاهدوا منه تقدّم سلوك بقوّة المجاهدة وسلوك المقامات الّتي تحصل قبل الفناء. انظروا في حاله فإن وجدتموه جامعا بين شريعة وحقيقة، بحيث تكون الشّريعة في ظاهره والحقيقة في باطنه، فلا بأس بذلك، ولو تكلّم في الحقيقة بالعبارة دون الإشارة في بعض الأوقات، وكان جاهلا بالعبارة أي لم تحصل له معرفة بها، إذ الألْكن لا يعرف ما يتكلّم به إلّا أُمُّه. وأمّا من غلبت حقيقته على شريعته بحيث خرق حجاب الشّريعة، فحقيقته ظلمانيّة ليست نورانيّة سواء تعلّمها من أهلها أو جاءته وهْبيّة، فهذا هو الّذي يعتبره جميع المشايخ الرّبّانيّين، اللهمّ إلّا من غلب سكره على صحوه فلا لوم عليه: لقد رُفع التّكليف في سكرنا عنّا[1]، والسّلام.

## [أخوّة الطريق:]

اعلموا أنّنا وإيّاكم ذات واحدة ومن فرّق بيننا أو عدّدنا فالله حسيبه. كما قال أستاذنا (نهاية ص 141) رحمه الله. فهذا هو الواجب علينا وعليكم، ولو وقعت بيننا وبينكم المحاككة بسبب التّفنّن في طريقنا، لأنّ المحاككة في الفنّ يحصل لنا بها سلوك الطّريق من البداية إلى النّهاية، إذ لا غناء لنا ولكم ولا لأحد من أهل الطّريق قديما وحادثا عن التّفنّن في الفنّ، وذلك مع سلامة القلوب، كما قال أئمّة الصّوفيّة، إذ قالوا: الألسن حربة والقلوب سلمة. ولا شكّ أنّ من

1 - هو عجز بيت من الشعر، وصدره: فلا تلم السكران في حال سكره. وينسب لمحمود السيالة الشاذلي التونسي(ت1291ه)
ينظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، على الموقع: http: / /www.almoajam.org /Dynamic.php

ادّعى الغناء عن التّفنّن في الفنّ مع أهله واستقلّ بنفسه، فهو ضالّ مضلّ لا محالة، فكيف يكون ذلك والتّرقّي والزّيادة في وُسع الولاية لا ينقطع أبد الآبدين. ورحم الله من قال لمن توهّم الاستغناء عن أهل الفنّ: لو استغنى أحد عن أحد لاستغنى أبو بكر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وهو لم يفارقه حتّى لقي الله تعالى.

[والآن][1] فلا تتوهّموا فينا أنّنا نريد المشيخة عليكم، لا والله، ما مرادنا إلّا النّصيحة في الدّين الّتي هي شأن الأخوة فقط، لأنّ شيخنا واحد ولم تكن بيننا وبينه مدّة طويلة ولا مشايخ كثيرة حتّى يستغني بعضنا عن بعض، ولا علينا إلّا فضل الله وفضله. وقد كان يقول لنا المرّة بعد المرّة حين وقعت الفتن بيننا وبين التّرك، ووقع الإنكار علينا حتّى حكم النّاس على طائفتنا بالزّندقة: فلا تهتمّوا ولا تحزنوا فسيجعل الله لنا فتحا كبيرا في بلاد المشرق[2]، وينتشر فيها أهل محبّتنا، وتكون لهم زوايا كثيرة إلى مكّة والمدينة، ويعود أهل محبّتنا يحجّون من زاوية إلى زاوية. فكان الأمر كذلك ببركته وبركة إذنه مع صدق إخباره لنا بالغيب. وبقي بعد ذلك رضي الله عنه مدّة ثم أذن لأخينا في الله سيّدي محمّد المدني بالذّهاب إلى المشرق. فظهر الفتح ببلاد المشرق على يده، وجعل إخوانا كثيرين وزوايا عديدة (نهاية ص 142) في برّ المشرق والحمد لله. ثمّ أذن لنا بالسّكنى بالعمالة الجزائرية. وسبب ذلك أنّي قلت له: يا سيّدي قد ضاق حالي في تلك البلدة أعني بلدنا، فقال لي: امكث هناك حتّى يأتيك أهل المحبّة من كلّ جهة، ثمّ قال لي رضي الله عنه: هذا الّذي قلته لك قد قال لي مثله

1 – ب: زائدة.

2 – يريد ببلاد المشرق كلّ بلد شرق المغرب الأقصى.

Scanned with OKEN Scanner

شيخي مولاي عليّ الجمل حين أمرني بالتّربيّة... الخ. فبعد ذلك فتح الله علينا بهلاك الأعداء وجاءتنا الإخوان من كلّ جهة، وصارت الطّائفة مشهورة بالذّكر في الأسواق والمدن والبوادي. والحمد لله، والشّكر لله. ولازال الفتح علينا وعليكم وعلى جميع طائفتنا إلى قيام عيسى بن مريم، فهكذا سمعناه منه رضي الله عنه. وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «والّذي نفسي بيده ليجدنّ عيسى بن مريم خلفاء من حوارييه»[1]. وقد قال الشّاذلي رحمه الله: طريقتنا هذه عليها تقوم السّاعة. وقال شيخ مشايخنا سيّدي عبد الرّحمن المجذوب رضي الله عنه: ماء المغرب كلّه انقطع سوى مائنا هذا، وعليه تقوم السّاعة. إلى غير هذا من أخبار مشايخنا رضي الله عنهم .

واعلموا أنّه ما حملني على مكاتبتكم إلّا المناصحة في الدّين المتين الّذي وجدنا عليه مشايخنا وهي واجبة لكلّ مسلم خصوصا من انتسب إلى طريقهم قديما وحادثا. وفي الحديث الشريف: «لا خير في قوم لا يتناصحون، ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة»[2]. وفيه أيضا: «إنّ أحبّ عباد الله إلى الله الّذين يحببوّن عباد الله إلى الله ويحببون الله إلى عباده ويمشون في الأرض بالنّصيحة»[3]. واسمعوا أيضا قوله

1 - في الحديث الذي رواه البخاري : «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال...» (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام،ح 3448، ص 854). أما أورده المؤلف فلم نقف له على إسناد.

2 - لا أصل له ولا إسناد، كلّ ما في الأمر أن العبارة جرت على ألسنة الصالحين مجرى الحكم والرقائق.

3 - مرّ تخريجه

تعالى: «وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ»[1]. وقوله سبحانه أيضا: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى»[2]. إلى غير ذلك من الآي الدّالة على هذا المعنى. وأيضا والله ما كاتبتكم بهذا كلّه إلاّ من باب الأخوّة (نهاية ص 143) في الطّريق لا غير. وأمّا طلب المشيخة عليكم أو على غيركم فلم أرضه إلّا إذا هدّدت بالسّلب كما وقع للشّيخ أبي العبّاس، رحمه الله، حيث أخبر عن ذلك بقوله: والله ما تصدّرت للمشيخة حتّى هدّدت بالسّلب..[3] الخ.

وأعلمكم أنّي بعدما أذن لي شيخي، رحمه الله، بالمشيخة لم أرضها حتّى سمعت نداء الحقّ من باطني: قل لمن يطلب منك من إخوانك التّقدّم عليهم اذكروا الورد عن إذننا بإذن منّا لك في ذلك. ومع هذا فقلت لهم: مرارا ما أنا شيخكم، بل نحن إخوان في طريق الله نتناصح في دين الله، لأنّ طلب المشيخة في هذا الزّمان عند الأكياس من الخسران المبين. وقد قال لنا أستاذنا رضي الله عنه: لا تنادوني باسم المشيخة لأنّها لم يبق عليها سرٌّ اليوم. وقد سُمُّوا بالمشيخة حتّى الرّعيان والرّماة، وحتّى رجلا يقال له جْراده بمدينة فاس. ولم يعلم هؤلاء القوم الّذين يدَّعون المشيخة دون ذوق ووجدان، ودون إذن من الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم. وما حملهم على هذا إلّا محبّة الجاه والشّهرة ومحبّة الاستتباع والتَّقدُم على النّاس، ما يصيبهم من المصائب

---

1 - العصر/ 1-3

2 - المائدة/ 2

3 - ينظر : عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج2، ص20.

Scanned with OKEN Scanner

والفتن والمعاصي حتّى يؤدّي بهم ذلك إلى الشّرك والكفر والعياذ بالله، وأصل ذلك كلّه هو حبّ الدّنيا الّذي هو رأس كلّ خطيئة وبليّة كما في الحديث الشريف، وفيه أيضا: «حبّ الدنيا كاد أن يكون كفرا»[1] وقد قال شيخ شيخنا مولاي عليّ الجمل رحمه الله في بعض كلامه: اعلم أنّ الفقير المتوجّه إلى الله سبحانه أي المنسوب إليه مَثله إذا تكلّم عن الدّنيا كالذي يحرّك نجاسة في ملأ من النّاس أو كالذي يكشف عورته في السّوق والنّاس ينظرون. الفقير الحقيقي حسبه جَمْعُه على الله والتّعلّق (نهاية ص 144) به دون ما سواه، وسفاهته الكلام عن الدّنيا دون الفعل. فأحرى التّحرُّك فيها بالفعل فهو أسفه وأسفه. اه.

وما كتبت هذا إلّا من باب الوُسع في العلم الّذي أخذناه عن مشايخنا رضي الله عنهم، وإلّا فيمكننا الاكتفاء بالله عن فعلهم هذا وغيره، لأنّ غير الله عندنا ما هو كائن ولا موجود مع الله، ونحن مع مولانا في خير كثير، و«ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ»[2] والله الموفّق، والسّلام.

اعلم يا أخي أنّ الله تعالى قال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ»[3]، لكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وقال تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ»[4]. ولا يغني حذر من قدر. فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الصّبر على بلائه والرّضا بقضائه بجاه محمّد صلّى الله عليه وسلّم وآله.

---

1 - مرّ الحديث عنه.

2 - الشورى/ 11

3 - النساء/ 70

4 - التغابن/ 11

Scanned with OKEN Scanner

## [في مسألة الكرامات:]

وأمّا ظهور الكرائم لأوليّاء الله تعالى قديما وحادثا فهو ثابت لا شكّ فيه، لكنّها لم تكن واجبة في حقّهم كمعجزات الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام، بل هي جائزة فقط. ومع ذلك لم تكن طوع أيديهم، بل هي على وفق مراد الله، إن شاء الله أظهرها على أيديهم، وإن شاء أمسكها عنهم. وربّما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النّهايات في نهايتهم[1]، كما في الحكم. فهذا هو حال الأوليّاء قديما وحادثا بخلاف الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام. فإنّ المعجزة واجبة في حقّهم لأنّها للتّحدي. ومع ذلك فالأمر لله كيف شاء فعل، وقد دعا صلّى الله عليه وسلّم على قريش فقال: «اللهمّ اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف»[2] وقال يوم شُجّ وجهه وكسرت رباعيّته: «اللهمّ العن فلانا، اللهم أهلك فلانا»[3] أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم«فأشار إليه جبريل عليه السّلام أن اسكت (نهاية ص 145) فسكت فقال له: يا محمد لم يبعثك ربّك سبّابا ولا لعّانا، إنّما بعثك رحمة للعالمين[4] «لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ

1 - لعله يشير إلى الحكمة التاسعة والعشرين: «من أشرقت بدايته أشرقت نهايته»

2 - رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف»، ح1006، ص244.

3 - البخاري، كتاب الدعاء، باب الدعاء على المشركين، ح6391، ص1592.

4 - حديث مرسل رواه خالد بن أبي عمران وأخرجه أبو داود في مراسيله(ابن الملقن، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق أبي محمد أبي عبد الله بن سليمان وآخرين، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425ه2004-م، ج4، ص371-372).

فإنّهم ظالمون»(1). وقال سبحانه: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ»(2) إلى غير ذلك من الآي الّتي وردت في حقّه صلّى الله عليه وسلّم. وقد سلّاه سبحانه بما وقع بالأنبيّاء عليهم السّلام قبله بقوله: «وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(3) وذلك كلّه تأديبا لهم وتربيّة. لأنّ الحقّ سبحانه وتعالى تولّى تربيتهم بنفسه خصوصيّة لهم. ومن هنا قال صلّى الله عليه وسلّم: «أدّبني ربّي فاحسن تأديبي»(4). فإذا وقع هذا بالأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام، وأُمروا بالصّبر عليهم فغيرهم أحرى، لأنّ المطلوب من خواصّ عباده قديما وحادثا هو التّحقّق بأوصاف العبوديّة الّتي هي العجز والضّعف والذّل والفقر وغير ذلك كقوله: «وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ»(5)، لأنّ العبوديّة هي الشّرف والسّرّ. ومن هنا قال الشّيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه: «تحقّق بأوصافك يُمدّك بأوصافه، تحقّق بعجزك يمدّك بقدرته، تحقّق بضعفك يمدّك بقوّته، تحقّق بذُلّك يمدّك بعزّته، تحقّق بفقرك يمدّك بغناه»(6)، إلى غير ذلك. ولا شكّ أنّ الإمداد بأوصاف الرّبوبيّة لا يكون إلّا لخواصّ عباده من الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام وأكابر

---

1 - ءال عمران/ 128

2 - الحجر/ 97

3 - ءال عمران/ 146

4 - مرّ تخريجه.

5 - ص/ 45

6 - الحكمة الثامنة والسبعون بعد المائة. في المصدر: «تحقّق بأوصافك يُمدّك بأوصافه، تحقّق بذُلّك يمدّك بعزّته، تحقّق بعجزك يمدّك بقدرته، تحقّق بضعفك يمدّك بحوله وقوته».

الأنبياء وأكابر الأولياء رضي الله عنهم. ولكن يكون ذلك على وفق ما اختار الله، لا على وفق ما اختاروا هم، ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ»[1]، (نهاية ص 146) إلى غير ذلك. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن عرفوه في السّراء والضّراء وفي جميع ما يظهر من عنصر قدرته، ولا يجعلنا ممّن جهلوه في ذلك طرفة عين ولا أقلّ من ذلك. إذ الجهل بالله ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها من قوّة ظلمة جهله والعيّاذ بالله. وأمّا المعرفة بالله فهي نور على نور. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن عرفوه في السّراء والضّرّاء، وفي جميع ما يظهر من عنصر قدرته، ولا يجعلنا ممن جهلوه في ذلك طرفة عين ولا أقلّ من ذلك، ويمنّ علينا وعليكم بمعرفته على سبيل الشّهود والعيان، كما منّ على أكابر أوليّائه، وأن يظهر فضله علينا وعليكم، بالاجتباء والاصطفاء من حضرة الخلق إلى حضرة الحقّ، في عالم الملكوت وعالم الجبروت وفي العوالم كلّها بجاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والله الموفّق، والسّلام.

## [في بيان قيمة الطريقة الشّاذليّة وفضلها:]

اعلموا أنّ أفضل الطّرق وأجلّها ولبُّها هي الطّريق الشّاذلية التي أخذناها عن مشايخنا أهل التّربيّة الصّادقة ولم يتخللها شيخ من أهل التّبرُّك بل هي مأخوذة من أهل التّحقيق واحدا بعد واحد إلى الشّيخ الشّاذلي إلى الشّيخ مولانا عبد السّلام مشّيش إلى شيخه إلى شيخه سيّدي عبد الرّحمن المدني[2] ومنه قطب عن قطب إلى سيّدنا

1 - الاعراف/ 188

2 - عبد الرّحمن المدني العطّار الملّقب بالزّيات شيخُ الصّوفي الشّهير الشّيخ عبد

الحسن بن علي. وهو أوّل الأقطاب رضي الله عنه وعن جميعهم، فلا تتوهّموا أنّ طريقة الصّوفيّة حادثة ليست مأخوذة عن أهل الله، وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالدّلائل الواضحة. وأهلها هم الّذين ورد فيهم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل»(1) وروي بإسقاط الكاف، لأنّهم رضي الله عنهم على قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا أي ظاهرهم محمّد (نهاية ص 147) وباطنهم محمّد.

وفي علمكم أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم خصّصه الله تعالى بخصائص لم تكن لغيره من الأنبياء عليهم السّلام، فمن ذلك قوله عليه السّلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(2) وقوله: «أنا يعسوب الأرواح»(3) أي أصلها، وقوله: «أوّل ما خلق الله نوري، ومن نوري كان ما كان وما يكون» وقوله: «قبض قبضة من نور وقال لها: كوني محمّدا ومن محمّد كان ما كان وما يكون»(4). ومن هنا بعثه إلى الخلق كافّة من الجنّ والإنس والأحمر والأسود. وغير ذلك، وأنزل عليه

---

السّلام بن مشّيش.

1 - قال الدّميري والعسقلاني: لا أصل له، وكذا قال الزركشي وسكت عنه السيوطي (الأسرار المرفوعة، ح 298، ص 245).

2 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، ح 2278، ص 1080. الحديث كاملا: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشقّ عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفّع».

3 - مرّ تخريجه.

4 - هذا مما اشتهر بين القصّاصين، ولم يثبت حديث بهذا المبنى، لمزيد من التفصيل ينظر: عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكني، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405ه/ 1984م، 42-44.

Scanned with OKEN Scanner

الكتاب الّذي اجتمعت فيه الكتب المنزّلة كلّها، وانطوى في شريعته جميع شرائع الأنبيّاء عليهم السّلام إلى غير ذلك من وسع دائرة شريعته صلّى الله عليه وسلّم.

وأمّا من باب وسع دائرة ولايته صلّى الله عليه وسلّم، فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق، كما نصّ على ذلك شيخ مشايخنا مولانا عبد السّلام بن مشّيش رضي الله عنه حيث قال: وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق، فانظروها إن شئتم. فمن هنا كان أكابر أوليّاء أمّته يأخذون الشّريعة من أصلها وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم، والحقيقة من معدنها وهي الحقيقة الإلهيّة المشار إليها بقوله تعالى: «هُوَ الَاوَّلُ والَاخِرُ وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ»[1] وراثة منه صلّى الله عليه وسلّم، ولّما وصلوا إلى ذلك وحصّلوه صاروا يتكلّمون بالحقائق الالهيّة، والعلوم اللدنيّة الّتي لا تدركها العقول، ولا تحيط بها الفهوم والنّقول الّتي لا تشاهد إلاّ بالعيان لا بالدّليل والبرهان، فلذلك أنكرها أهل التّقصير الواقفون مع العلوم النّقلية حتّى حُكي عن الشّيخ عزّ الدين بن عبد السّلام[2] أنّه كان قبل ملاقاته بالشّيخ الشّاذلي رضي الله عنه يقول: وهل ثَمَّ شيء غير ما فهمناه من الكتاب

1 -الحديد/ 3.

2 - هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذّب السُلمي، ولد في دمشق في سوريا عام 577 ه، وعاش فيها وبرز في الدعوة والفقه، وقد نشأ في دمشق في كنف أسرة متدينة فقيرة مغمورة، لقب بـ «عزالدين» و«سلطان العلماء» و«بائع الملوك». برز في زمن الحروب الصليبية، وعاصر الدول الإسلامية المنشقة عن الخلافة العباسية في آخر عهدها. ولعل أبرز نشاطه هو دعوته القوية لمواجهة الغزو المغولي التتري وشحذه لهمم الحكام ليقودوا الحرب على الغزاة، خصوصا قطز قائد جيوش السلطان عز الدين أيبك.

Scanned with OKEN Scanner

والسّنة حتّى يدّعيه هؤلاء القوم[1]. وكان ينفي (نهاية ص 148) طريق الصّوفيّة فلمّا لقيه وأخذ عنه وفُتح له على يده صار يقول: والله ما جلس على قواعد الشّريعة الّتي لا تنهدم إلّا الصّوفيّة[2].

وأمّا كلام الشّيخ مولاي عبد السّلام في الحقيقة المحمديّة في صلاته رضي الله عنه فظاهر لمن فتح الله بصيرته ونوّر سريرته كقوله: «واحملني على سبيله إلى حضرتك حملا محفوفا بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزُجّ بي في بحار الأحديّة، وانشلني من أوحال التّوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتّى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلّا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحُه سرّ حقيقتي، وحقيقته جامع عوالمي...»[3] الخ. وأمّا الدّليل من الأحاديث النّبويّة على علوم الحقائق الباطنيّة الّتي لا تدرك إلّا بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان فكثيرة، فمن ذلك ما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم في إثبات الحقيقة وظهورها للخواصّ وهو قوله: «إن الله يتجلّى للنّاس عامة ولأبي بكر خاصّة»[4]، يعني بالشّهود والعيان، وروي أيضا عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال في بعض إشارته إلى الحقيقة في نفسه: «أنا أحمد وحذف الميم»[5]. وقال أيضا:

---

1 - ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج1، ص17.

2 - ينظر: حامد صقر، نور التحقيق في صحة أقوال الطريق، دار التأليف، مصر، ط2، 1390ه1970-م، ص101.

3 - من الصلاة المشيشية.

4 - قيل عنه: إنه من الأحاديث الموضوعة(الأحاديث المشكلة في الرتبة، ص 88).

5 - الذي رواه مسلم في صحيحه: «أنا محمّد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبيّ التّوبة، ونبيّ الرّحمة» (كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلّى الله عليه وسلّم،

«أنا عربي وحذف العين»[1]. فانظر كيف أشار إلى تجلّي الأحدية الّتي لا ظهور إلى وجود ما سواها البتّة، وشاهدها في نفسه بالعيان بقوله: أنا أحمد، وكذلك أشار إلى ظهور الرّبوبيّة في نفسه مع الغيبة عما سواها بقوله: أنا عربي. ومما خصّه الله تعالى به في دائرة الولاية الرّؤيا بالبصر الّتي طلبها موسى عليه السّلام بقوله: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي»[2]، فمُنع منها بدليل قوله تعالى: «لَنْ تَرَانِي». وروي أنّ موسى عليه السّلام لّما أفاق قاله له الحقّ سبحانه: «هذه الرّؤيا الّتي طلبتها هي ليتيم يأتي بعدك وهو محمّد (نهاية ص 149) صلّى الله عليه وسلّم»[3]. وأمّا الآيات القرآنية فكثيرة، وقد درج على منهاجه صلّى الله عليه وسلّم أكابر أمّته فتكلّموا بالعبارة والإشارة، إلّا أنّ العبارة لم يتكلّم بها إلّا من غلب سكره على صحوه. وقد قيل: لقد رفع التّكليف في سكرنا عنّا. وأمّا الإشارة، فأهل الله كلّهم تكلّموا بها ولا يفهم كلامهم إلّا من دخل معهم في بلادهم بالذّوق والوجدان، واعتقد فيه وصدّقهم فيما يشيرون به عليه من علوم الحقائق، وآمن بها إيمانا صادقا، ولذلك قال بعضهم: التّصديق بطريقتنا ولاية. وقد فسّر القرآن بالإشارة الإمام القشيري رحمه الله وجعل فيه سفرين أو ثلاثة[4] والله أعلم. وكذلك الشّيخ الغزالي فسرّه تفسيرا مختصرا

---

ح1355، ص1106).أما ما أورده المؤلف فلم نطلع له على إسناد ولا أصل.

1 - لم نقف له على أصل أو إسناد.

2 - الاعراف/ 143

3 - لم نقف له على أصل أو إسناد.

4 - عنوانه: لطائف الإشارات من ستة مجلدات، وقد طبع بتحقيق إبراهيم بسيوني ونشر دار الكتاب العربي بالقاهرة.

Scanned with OKEN Scanner

وسمّاه «جواهر القرآن» أو «درر القرآن»[1] وتكلّم فيه على علم الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وأعطى كلّ ذي حقّ حقه رضي الله عنه. وهؤلاء الرّجال لم نبلغ نحن عشر العشر ممّا علّمهم الله من علم الظّاهر، فأحرى ما خصّهم به من العلوم الباطنة الّتي هي مواهب لدنيّة ومعان ربّانيّة بوحي إلهامي. فالحذر الحذر أيّها الإخوان من الاعتراض على علماء الباطن من رجال الصّوفيّة قديما وحادثا فيما لم تفهموه من كلامهم. وقد كانوا ينكرون على ابن العربي الحاتمي ويرمونه بالزّندقة والكفر والعيّاذ بالله. وقد سئل بعض العلماء عنه فقال: اختلف فيه مِنَ الكفر إلى القطبانيّة. فقيل له: فما ترجّح عندك أنت. قال التّسليم. ولذلك كان التّسليم للرّجال الخضريّة[2] أولى، لأنّه نجاة في الدّنيا والاخرة، ويكفي في ذلك قصّة الخضر مع موسى عليهما السّلام. فانظروها في التّفاسير واستفيدوا منها، وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «يرحم الله أخي موسى (نهاية ص 150) لو صبر لاستفدنا من الخضر مائة مسألة لأنّه قد هيأ لموسى مائة مسألة»[3]. وانظروا ما روي من الأحاديث عنه صلّى الله عليه وسلّم الدّالة على ما خصّه الله تعالى به من العلوم الظّاهرة والباطنة. فمن ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «علّمني ربّي ثلاثة علوم، علم أمرني بإفشائه لجميع النّاس، وعلم أمرني بإفشائه للبعض دون البعض،

---

1 – جواهر القرآن وقد طبعته دار إحياء العلوم ببيروت بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا القباني

2 – نسبة إلى الخضر عليه السّلام.

3 – رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يستحسن للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، ح122، ص43، بلفظ: «يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر حتّى يقصّ علينا من أمرهما»

وعلم بيني وبين ربّي لا يطّلع عليه أحد»[1]. أمّا العلم الّذي أمره الله بإفشائه لجميع الناس، فهو علم الشّريعة، وأمّا العلم الّذي أمره بإفشائه للبعض دون البعض فهو علم الطّريقة والحقيقة، وأمّا العلم الّذي بينه وبين الله فهو الّذي لا يجوز لأحد إفشاؤه لأحد، ولذا قيل: ولو دَرَأتْ ألسِنةُ العارفين كما تدرأ قلوبهم لقيل: إنّهم مجانين. إلى غير ذلك، والسّلام.

## [في بيان فضل العلم:]

اعلم أنّ تفضيل العلم وبيانه على حسب السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك وتربيّته على حسب المقامات الثّلاثة الّتي هي على الشّريعة والطّريقة والحقيقة كما فصّلها وبيّنها علماء الباطن في تآليفهم وأوضحوها [كشمس على علم][2]، هو أن نقول: العلوم واسعة تعمُّ أهل البداية وأهل النّهاية وغيرهم، ولكنّ أشرف العلوم ولبّها وقطبها هو العلم بالله على سبيل الشّهود والعيان، لا على سبيل الدّليل والبرهان، لأنّ أهل الدّليل والبرهان عموم عند أهل الشّهود والعيان، كما قيل. لأنّه ليس الخبر كالعيان كما قيل. قال الشّيخ الشّاذلي رحمه الله: «إنّا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا ذلك عن الدّليل والبرهان»[3]، ومما يوضّح ذلك، ويدلّ على زيادة العلم وتفضيل بعضه على بعض قوله تعالى: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ

---

1 - لم نقف له على أصل أو إسناد.

2 - كشمس على علم، على شاكلة الكناية المعروفة التي جرت مجرى الأمثال: كأنه علم فوقه نار، وقد أخذه عن شيخة مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي (الرسائل، مصدر مذكور، ص126).

3 - أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم، مصدر مذكور، ص80.

عَلِيمٌ»(1)، وقوله: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»(2)، إلى غير ذلك من الآي. وأمّا (نهاية ص 151) الأحاديث النّبويّة فكثيرة منها: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كُلُّ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْماً يُقَرِّبُنِي مِنَ اللهِ، فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»(3)، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «علّمني ربي ثلاثة علوم...»(4) الخ. وهل أهل أعمال البرّ وأهل الجهاد الّذين قال فيهم صلّى الله عليه وسلّم ذلك، كان لهم العلم بذلك أم لا؟. أقول: كان لهم العلم بذلك، لكن على حسب مراتبهم فيه. وأمّا العلم المطلق الّذي هو الجامع بين علم الظّاهر وعمله جملة، وعلم الباطن وعمله جملة، فلم يحصل لهم بكماله، فلذلك قال الصّوفيّة: الشّريعة بلا حقيقة تعطيل، والحقيقة بلا شريعة تعطيل والجمع بينهما كمال. ولا شكّ أنّ الجمع بينهما هو أقصى المقامات وأعلاها وأوسعها علما وعملا، لأنّ صاحبه يحصل له الفناء في الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة، لأنّ الشّريعة عند المشايخ الرّبّانيّين إشارة إلى الفناء في الشّارع وهو النّبي صلّى الله عليه وسلّم، والحقيقة إشارة إلى الفناء في الحقّ وهو الله سبحانه وتعالى. ومن هنا يفهم من الحديث النّبوي الشّريف الّذي هو جميع أعمال البرّ...الخ، أنّ جميع العلوم وجميع الأعمال في علم الباطن الّذي هو العلم بالله ك[بزقة](5) في بحر. قال

1 - يوسف/ 76

2 - طه/ 111

3 - أخرجه علاء الدين علي المتقي الهندي عن عائشة رضي الله عنها (مرفوع): «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم» (كنز العمال، مصدر مذكور، ج 10، ح 28687، ص 136).

4 - مر الحيث عنه

5 - يريد: بصقة.

ابن العربي الحاتمي في تفسيره لسورة الإخلاص بعلم الباطن، فلمّا كان القرآن محيطا بعلم الأوّلين والأخرين وجامعا بين شرائع الأوّلين والأخرين وتبيين الحلال من الحرام والأوامر والنّواهي والمواعظ والتّخويف والتّرغيب والتّرهيب والوعد والوعيد إلى غير ذلك، وكان أشرف العلوم على الجملة علم التّوحيد، والعلم بالله وبذاته وبصفاته وأفعاله كان أعظم علوم القرآن ...الخ، ومن هنا كانت الكتب المنزّلة كلّها مجموعة في القرآن، والقرآن مجموعا في الفاتحة، والفاتحة مجموعة في البسملة وما اجتمع (نهاية ص 152) في البسملة اجتمع في الباء، وما اجتمع في الباء اجتمع كلّه في نقطتها، والنّقطة إشارة إلى الكنزيّة الأوليّة والعمى السّابق، أو نقول إلى بحر الوحدة والأحدية. وهذه البحور هي غاية الغايات ونهاية النّهايات في العلم بالله الّذي وسع العلوم كلّها.

ومن هنا قالوا دائرة الولاية أوسع من دائرة النّبوة. وقد تكلّم الشّيخ الغزالي رحمه الله في تفضيل بعض القرآن على بعض فأردت أن ننقله لكم لعلّكم تستفيدون ما أشار إليه علماء الباطن من أفضليّة العلم بالله على غيره، قال رضي الله عنه بعد كلام: «ولعلّك تقول لقد توجّه قصدك في هذه التّنبيهات إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض. والكلّ كلام الله تعالى، فكيف يفارق بعضها بعضا ويكون بعضها أشرف من بعض. فاعلم أنّ نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد الفَرق نفسُك الجَوّارة المستغرقة بالتّقليد، فقلّد صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه، فهو الّذي أُنزل عليه القرآن، وقد دلّت الأخبار على شرف بعض الآيات، وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة، فقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «فَاتِحَةُ الكتاب

أفضل القرآن»[1] وقال: «آية الكُرْسِي سيّدة آي القرآن»[2]، وقال: «يس قلب القرآن»[3]. وقال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القرآن»[4]... بتخصيص بعض الآيات و السّور بالفضل وكثرة الثّواب في تلاوتها لا تحصى، فاطلبه من كتب الحديث إن أردته ...الخ[5]. والسّلام.

## [فضل الذكر وشرف الفكر:]

اعلموا أنّي أحبّكم أن تكونوا دائما على الذّكر والفكر والمذاكرة في علم القوم رضي الله عنهم، ولا تغفلوا عن ذلك حتّى يفنى من نظركم من لم يكن، ويبقى فيه من لم يزل دائما سرمدا، وإيّاكم أن

---

1 - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ح5006، ص1279.

2 - نرجح أنه يشير إلى الحديث الذي رواه الترميذي: «لكلّ شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة أي القرآن، هي آية الكرسي». قال عنه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه (الجامع الكبير، ج5، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، ح2878، ص8).

3 - نرجح أنه يشير إلى الحديث الذي رواه الترميذي: «إنّ لكلّ شيء قلبا، وقلب القرآن يسٍ، ومن قرأ يسٍ كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات». قال عنه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول(الجامع الكبير،ج5، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل يسٍ،ح2887، ص14-15).

4 - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل «قل هو الله أحد»،ح5013، ص1281.

5 - أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3، 1411ه1999-م، ص62-63.

تستبعدوا ما قلناه لكم. ويكفينا في فضل الذّكر وشرفه قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»[1]، ويكفينا أيضا في فضل الفكر قوله تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ»[2] (نهاية ص 153)، فانظروا كيف وصفهم بكونهم أولي الألباب، وأولوا الألباب هم أصحاب العقول الراجحة، وقد فتح الله لنا باب الفكر بقوله: «هُوَ اَلَاوَّلُ والَاخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ»[3]. ولا شكّ أنّ الذّكر يجرّ الفكر، والفكر عمل قلبيّ وذرّة منه تفضل أمثال الجبال من عمل الجوارح. وأمّا المذاكرة فقد قال الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: «وذكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُومِنِينَ»[4]، وروي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «تعلّموا اليقين بمجالسة أهل اليقين»[5] إلى غير ذلك. وقد قال لنا أستاذنا رحمه الله: الكلام في الفناء يفنى والعمدة في فكرة التّصديق والإيمان قوله تعالى: هو الاَوَّلُ ....الخ. لأنّه سبحانه أعلمنا بأنّ هويّته محيطة بجميع الحقائق الظّاهرة والباطنة من عالم الكنزيّة إلى عالم الأبديّة وذلك لأنّ قوله: «هو الاَوَّلُ» إخبار لنا بأنّه كان في عالم الكنزيّة قديما بذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، وليس معه وجود ما سواه، وأخبرنا بقوله: «والاَخِرُ» بأنّه هو الباقي على ما كان عليه في عالم الكنزيّة من غير زيادة ولا نقصان. وأخبرنا أيضا بقوله: «والظَّاهِرُ» بأنّه لا ظهور لما سواه وذلك لأنّه سبحانه لمّا تجلّى بعالم الملك وأظهره من الكنزيّة

---

1 - البقرة/ 151.

2 - ءال عمران/ 190.

3 - الحديد/ 3

4 - الذاريات/ 55

5 - في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم الأصفهاني: «تعلّموا اليقين كما تعلّموا القرآن فإ...

لظهور صفاته وأسمائه وأفعاله ليعرف بجميع شؤونه أطلق هويّته عليه فقال هو «الظّاهِرُ» لئلّا يتوهّم وجود ما سواه معه مستقلا بنفسه. وأخبرنا أيضا سبحانه بقوله: «هو الْبَاطِنُ»، لأنّه لمّا تجلّى باللّطائف والمغيبات الّتي هي عالم الملكوت الّذي هو باطن الملك أطلق هويّته أيضا عليه بقوله: «هو الْبَاطِنُ»، فكيف يعتقد وجود ما سواه عليه بالذّات والصّفات والأسماء؟، هيهات. فاستحضروا علم الحقيقة في قلوبكم وصمّموا عليه، وذلك بأن [تحتّموا][1] على قلوبكم معنى قوله: «هو الظَاهِرُ»، (نهاية ص 154) إذ لا ظهور لشيء معه وتستحضروا الحديث النّبويّ الّذي هو: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[2]. وكذلك قول الشاعر:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ ..........................[3]

وقول صاحب العينية أيضا:

فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَأَنْتَ ما يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ[4]

إلى غير ذلك من كلام أهل الحقائق، وأسمعوا ما أخبرنا به شيخنا مولاي العربي بن أحمد رحمه الله ورضي عنه عمّا وقع له في حال سيره.

---

1 - تعبير عامي بمعنى: تضغطوا، وتحمّلوا نفوسكم شيئا لا تطيقه أحيانا.

2 - مرّ تخريجه.

3 - هو صدر بيت شعر للبيد بن ربيعة العامري، وعجزه: وكلّ نعيم لا محالة زائل. وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد:ألا كل شيء ما خلا الله باطل». (صحيح مسلم، كتاب الشعر، ح2256، ص1072).

4 - ~~عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب~~، مصدر مذكور، ص205.
عبد الكريم الجيلي

Scanned with OKEN Scanner

قال رحمه الله: كنت مداوما على ذكر الاسم مع تشخيص حروفه الخمس لدفع مادّة الخوض عن باطني وحين ضعفت قويت عليّ مادّة المعاني، فكنت أدفعها عن قلبي، كما كنت أدفع عنه مادّة الحسّ حتّى أتتني بقوله تعالى: «هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ...»[1] الخ، فدفعتها وأعرضت عنها كما كانت عادتي معها، فلم تقبل إعراضي عنها فقلت لها: أمّا قولك: هو الأول والآخر والباطن فقد فهمته. وأمّا قولك: والظّاهر فلا نرى ظاهرا إلّا المكوّنات فقالت لي بوارد قويّ: لو كان غير ما ترى لكان باطنا وأنا أقول لك: والظّاهر. فتحقّقت إذ ذاك أنّ لا موجود إلّا الله ولا في المكوّنات إلّا آية. والحمد لله، والشّكر لله إلى آخر كلامه.

فهذا نتيجة الذّكر مع شروطه. فعليك به دائما تَرَ عجبا. وأخبرك أيضا عمّا نتج لنا من الفكر وذلك أنّي تولّعت بذكر الاسم ففتح الله لي أوّلاً ذكر القلب، ثمّ نتج لي الفكر فكنت أحتّم على قلبي شهود الحقّ في نفسي وفي الوجود. فأنا قائم في الصّلاة ذات يوم والإمام يقرأ وأنا أشاهد الحقّ فيه فاستولى عليّ الفكر وأنا قائم فسجدت رغما على أنفي، وبقيت ساجدا للحقّ وأطلت في سجودي والإمام لم يتمّ القراءة ثم شعرت بنفسي فخرجت(نهاية ص 155) وذهبت إلى الموضع الّذي كنت أنام فيه واضطجعت وبقيت أذكر الاسم مع الفكر حتّى استولت عليّ الفكرة فنطقت بالأنانيّة، وغبت عن إحساسي ولم أشعر بنفسي فتجرّدت، وبقيت عريان مدّة طويلة فصار الفقراء يحتالون عليّ حتّى ألبسوني ثيّابي. وكنت في ذلك الوقت أسمع دويّا عظيما في باطني حتّى خفت من الاحتراق والذّوبان، فتداركني الله تعالى

---

1 - الحديد/ 3

بالسّلوك بمنّه وكرمه والحمد لله، والشّكر لله. فهذا ممّا منّ به الله علينا بسبب الذّكر والفكر. فعليكم بذلك. والله الموفّق، والسّلام.

## [هجران مخالِف الشّيخ المربّي:]

اعلموا أنّه يجب على المريدين أن يهجروا كلّ من خالف شيخهم وأعرض عنه بقلبه، وقالبه، وظهر عليه ذلك بالعيان لا سيّما إن أمرهم الشّيخ بهجْره. وقد أمرتُ بعض الإخوان بهجر أخويه حتّى يتوبا إلى الله، ممّا صدر منهما من سوء الأدب الّذي هو سبب في تشتيت دينهما، وذلك بإعراضهما، وعدم امتثالهما للّذي يزعمان أنّه شيخهما، وانّهما أعطياه البيعة والانقياد منذ زمان، فإذا بهما نكصا على عقبيهما، وتسبّبا فيما يوجب الطّرد والبعد بما صدر منهما بين يديه، من الغلظة والفضاضة وجهر القول، وعدم إنصاتهما له، وقلّة امتثالهما لأمره، وعدم اجتنابهما لنهيّه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. والآن يا ولدي فلا تنظر إليهما، ولا تتكلّم معهما إلّا إذا رجعا وتابا ممّا كانا عليه من سوء الخُلق معنا ومع غيرنا. والله هو التّواب الرّحيم.

## [الاعتراض على المشايخ ولو باطنا وعواقبه:]

ولا شكّ أنّ من صاحب المشايخ بقصد سلوك طريقهم وبقي معهم مدّة طويلة ولم يُفتح عليه، فليعلم أنّ موجب حجبه عن سرّهم اعتراضٌ خامر قلبه على شيخه في بعض أوقاته، قال أبو علي الدّقاق[1] رحمه الله: (نهاية ص156) «بدء كلّ فُرقة المخالفة. يعني من خالف

1 - هو أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ بن محمَّدٍ النيسابوريُّ الشافعيُّ المعروف بالدقَّاق، تبحَّر في النحو واللغة، وبرع في الأصول والفقه، ثمَّ سلك طريق التصوُّف، وتُوفِّي سنة (406هـ 1015م)، وهو شيخ أبي القاسم القشيري.

شيخه لم يبق على طريقه وانقطعت العلاقة بينهما، وإن جمعتهما البقعة. فمن صاحب شيخا من الشّيوخ ثمّ اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصّحبة ووجبت التّوبة. على أنّ الشيوخ قالوا: عقوق الأستاذ لا توبة لها»[1]. انتهى كلام أبي علي الدّقاق رحمه الله. وقال الشّيخ محيّ الدّين رضي الله عنه: «ويجب على الشّيخ إذا علم أنّ حرمته سقطت من قلب المريد أن يطرده عن منزله بسياسة، فإنّه من أكبر الأعداء ...»[2] الخ. وقال السّهروردي رحمه الله في قوله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ»[3]، وشرط عليهم في الآية التّسليم وهو الانقياد ظاهرا أو نفي الحرج وهو الانقياد باطنا، وهذا شرط المريد مع الشّيخ بعد التّحكيم بلبس الخرقة، يزيل اتّهام الشّيخ عن باطنه في جميع تصاريفه، ويحذَر الاعتراض على المشايخ فإنّه السّمّ القاتل للمُريد، وقلّ أن يكون مريد يعترض على الشّيخ بباطنه فيفلح»[4] إلى آخر كلامه. فنظره في محله، وقال أيضا بعد كلام في هذا المعنى: سأل بعض أصحاب الجنيد عن مسألة فأجابه فعارضه في ذلك. فقال الجنيد: إن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني. وقال بعض المشايخ من لم يعظّم حرمة من تأدّب معه حُرم بركة ذلك الأدب. وقيل: من قال لأستاذه لمَ؟ لا يفلح أبدا[5].

---

1 - ينظر : عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، مصدر مذكور، ص174-175.

2 - ينظر : محمد أحمد، الدرة المضيئة في معرفة سلوك طريق الصوفية، مخطوط رقم 3022، مكتبة الملك سعود، مصدر مذكور ص7.

3 - النساء/ 64

4 - السهروردي: عوارف المعارف، مصدر مذكور، ج2، ص79.

5 - ينظر: عبد الوهاب، الشعراني الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور و محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت،

Scanned with OKEN Scanner

وأوصيكم بإخواني أن لا تستصغروا شيئا من سوء الأدب لا ظاهرا ولا باطنا لأنّه عطب كبير، ولا تحقروا شيئا من حسن الأدب فإنّه قُربة كبيرة، واعتبروا بقصّة من أتى بباقلّاة[1] لشيخه وقال له ما أصنع بها؟، فقال له: ضعها حتّى تفطر عليها. فسأل ذلك الشّيخَ بعضُ المريدين كان عنده. فقال له: استئذانك حتّى على هذا؟ فقال له: يا ولدي لو خالفني في نَفَس من أنفاسه لا يجيء (نهاية ص 157) منه شيء. فهذا هو شَوْرُ أهل طريق الله يا من يريده فاستقم كما أمرت، والسّلام.

## [السّخاء بالدّنيا وبالنّفس:]

اعلموا أنّ الخير كلّه مجموع في السّخاء بالدّنيا والنّفس، لأنّ البخل بالدّنيا ظلمة والبخل بالنّفس ظلمة بعضها فوق بعض. فعليكم بالسخاء بالدّنيا والنّفس في كلّ حال لعلّكم تكونون من أهل دائرة الولاية، وإلّا فلا. لأنّ السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك لا يحصل في الغالب إلّا بذلك.

## [مضارّ الكبر والعجب والرّياء:]

واعلموا أنّي أخبركم وأوصيكم بأمر لم يتفطّن له إلّا القليل من النّاس. وذلك أنّه لا علم ولا عمل لصاحب الكبر، وكذلك لا علم ولا عمل لصاحب العجب، ولا علم ولا عمل لصاحب الرّياء، لأنّ هذه الثّلاثة محبطة للعلوم كلّها وللأعمال كلّها، ولو

---

ج1، 1408/ 1988، ص204.

1 - جمع مفرده باقلّاء، نبات حولي من الفصيلة القرنية، تؤكل قرونه مطبوخة وكذلك بذوره(الفول).

كانت صورة العلم والعمل قائمة ظاهرة وذلك بنصّ الآيات في كتاب الله عزّ وجلّ والأحاديث النّبويّة وكلام السّلف الصّالح. فمن نصّ الآية قوله تعالى: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»[1]، وقوله عزّ وجلّ: «فَبِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»[2]. ومن الأحاديث النّبويّة قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ: «العَظَمَةُ إِزَارِي وَالكِبرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدَةً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»[3] إلى غير ذلك من الأحاديث. فانظرها في محلّها إن شئت. وكذلك كلام السّلف الصالح في ذلك كثير فانظره في محلّه إن شئت. ولنا في هذا المعنى:

أَيَا صَاحِبِي إِنَّ العُلُومَ بِاسْرِهَا
لَنُورٌ عَلَى نُورٍ وَسِرٌّ عَلَى سِرِّ
لِمَنْ كَانَ عَامِلاً بِهَا مَعَ إِخْلَاصٍ
وَإِلَّا فَحُجَّةٌ وَظُلْمَةٌ فِي الصَّدْرِ
لِأَنَ آفَاتِهَا كَثِيرَةٌ لاَ تُحْصَى
عَلَى مَنْ لَمْ تَصْفُ مِرْآتُهُ مِنْ الغيْرِ
فَأَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْ صَاحِبِهَا الَّذِي
عَلَى غَيْرِ إِخْلاصٍ فِيهَا وُجُودُ الكِبَرِ

1 - غافر/ 35

2 - الزمر/ 72

3 - أخرجه الكلاباذي في بحر الفوائد،، باب في امتناع الخلق عن إدراك ذات الله، ص481 .رواه ابن عبّاس، ورواه أبو هريرة بلفظ مقارب.

كَـذَاكَ الجَـاهُ الَّذِي هُـوَ أَعْظَـمُ الْعِلَلِ
وَمِنْـهُ تَفَـرَّعُ الْمُـذَامُّ بِـلاَ حَـصْرِ

(نهاية ص 158)

كَذَلِـكَ الرِّيَـاء مُحْبِـطٌ لِأَعْمَالِنَـا
لِأَنَّـهُ شِرْكٌ قَـدْ خَفَـا عَمَـنْ لاَ يَـدْرِي
فَهَـذَا الَّـذِي يَجْنِيـهِ مَـنْ يَدَّعـي عِلْـمًا
بِـلاَ اتِّبَـاعٍ لَـهُ فِي الجَهْـرِ وَفِي السِّرِ
وَمَـا أَخَسَّـهَا ثَمَـرَةً تُجْنَـى مِـنْ عِلْـم
أُصُولُهَـا عِلْـمُ الأَرْوَاحِ بِـلاَ حَـصْرِ
وَلَمْ تَطْـرَأْ عَلَيْـهِ الأَكْـدَارُ إِلَّا مِمَـا
أَصَابَـهُ مِـنْ مَقْصُودِنَـا بِـهِ فَلْتَـدْرِ
وإِنْ كُنْـتَ مِـنْ أَهْـلِ العَيَـانِ لِسِرِّهِ
تَـرَاهُ عَيْنَـا لِلـذَّاتِ حَقًّـا بِـلاَ حَـصْرِ

[في مقام المجاهدة:]

ولا شـكّ أنّ العلـم ثمرتـه العمـل، والعمـل ثمرتـه الحـال، والحال ثمرتـه المقـام، والمقـام ثمرتـه الـذّوق والوجـدان، والـذّوق والوجـدان ثمرتهـما الفنـاء في الله، والفنـاء في الله ثمرتـه البقـاء بـالله، والبقـاء بـالله ثمرتـه وسـع المشـاهدة، وهـو الجمـع بـين الحضرتـين الكريمتـين الرّبّانيّة والنّبويّـة، وهـذه الحالـة ثمرتهـا الترّقّـي والزّيـادة في الأسرار الإلهية أبـد الآبديـن، وأيضـا مـن لم يعلـم مقـام المجاهـدة ومـا يتولّـد منه من الأحـوال والمقامـات والدّرجـات فهـو جاهـل لا محالـة، ولـو كان له

النّصيب الأوفر من علم الظّاهر، وذلك أنّ المجاهدة غاية ثمرتها المشاهدة، والمشاهدة هي سقوط الحجاب البتّة. فهذا هو حال أهل السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك.

## [الجذب:]

وأما حال أرباب الجذب الّذين كُشف لهم عن كمال الذّات دون تقدّم سلوك، فهو نادر والنّادر لا حكم له. لأن الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام أتونا بالسّلوك، ولا بُدَّ منه، ولا بدّ أيضا من الوسائط لا في السّلوك الّذي قبل الجذب، ولا في السّلوك الّذي بعد الجذب، ولا في الجذب الّذي قبل السّلوك، كما قال في الحكم[1]، فأرباب الجذب يُكشف لهم عن كمال ذاته .. الخ، والسّلام.

## [علم الظاهر وعلم الباطن:]

اعلموا أنّ إصلاح الظّاهر بغير إصلاح الباطن هباء منثور وكذلك العكس، فنحبّكم أن تتعلّموا علم الباطن وتعملوا به، كما تعلّمتم علم الظّاهر وعملتم به(نهاية ص 159). إذ الجمع بين علم الظّاهر والباطن واجب على كلّ من أراد أن يكون محمّديّا ظاهرا وباطنا، لأنّ الشّريعة بلا حقيقة تعطيل، كما أنّ الحقيقة بلا شريعة تعطيل والجمع بينهما كمال، كما عند سائر المحقّقين رضي الله عنهم وقال أيضا: من تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق. ولا تستبعدوا الجمع بينهما أو نقول علم الظّاهر والباطن. إذا ما مثل الجمع بينهما إلاّ كالجمع بين الماء والثّلجة، فهل يتصوّر أن تكون الثّلجة غير الماء والماء غير الثّلجة، بل ذلك محال

---

1 - لا وجود في الحكم العطائية لحكمة بهذ المبنى.

إلّا أنّ سبب التّمييز بينهما هو ظهور كثافة الثّلج وبطون لطافة الماء فتميُّز الثّلج من الماء في الظّاهر بجموده وبطون لطافة الماء والخفاء وصار باطنا. فلذلك كان الحكم للغالب مع أنّهما شيء واحد. فهذا مثل علم الظّاهر مع علم الباطن. أو نقول علم الشّريعة مع علم الحقيقة. فتوجّهوا بهممكم ولا بدّ إلى التّعلم في الجمع بينهما إذ لا يحصل الكمال لأحد إلّا بذلك، وشرط ذلك كلّه هو صحبة المشايخ الرّبّانيّين: «اَلذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ»[1]، أي الّذين قالوا ربّنا الله حقيقة بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان لا بالدّليل والبرهان، ثمّ استقاموا بالجمع بين الحضرتين الرّبّانيّة والنّبويّة بحيث لا يُحجبون بشهود الحضرة الرّبّانيّة عن النّبويّة ولا العكس، كما قال شيخ مشايخنا أبو العبّاس المرسي رضي الله عنه: لي أربعون سنة ما حُجبتُ عن الله ولو غاب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما عددت نفسي من المسلمين. فهذا هو حال أهل الكمال من أكابر أوليّاء الله، فهم دائما لا يحجبهم فرقهم عن جمعهم ولا جمعهم عن فرقهم. ونحبّكم -أحبّكم الله- أن تكونوا دائما على الذّكر والفكر لأنّ الولاية الكبرى لا تتولّد (نهاية ص 160) إلّا بينهما، إذ نورهما عظيم كما قال الله تعالى: «يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءامَنُواْ اذْكُرُواْ اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»[2]، وقال في حقّ الفكر: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[3]، إلى غير ذلك من الآي الّتي نزلت في فضلهما، والسّلام.

---

1 - الاحقاف/ 13

2 - الاحزاب/ 41-42

3 - ءال عمران: 191

## [علل الظّهور:]

اعلموا أنّ النّصيحة في الدّين واجبة علينا، لا سيّما لأهل طريقنا، لأنّ أهلها كانوا على المحاككة دائما قديما وحادثا، ولكنّ الألسن حربة والقلوب سلمة كما هو شأنهم رضي الله عنهم. وأوصيكم أنّ الظّهور للخلق، وصرف الهمّة إليهم دائما يورث الرّياسة لا محالة، والرّياسة تورث العُجب، والعُجب يورث الرّياء والتّصنُّع ومحبّة الاستتباع وغير ذلك من العلل وقد عدَّ أكابر الأولياء رضي الله عنهم هذه الأوصاف من الشّرك الخفيّ، وقد قال تعالى: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[1]. ولا شكّ أنّ الشّرك: خفيّ وجليّ، فالجليّ أمره ظاهر، أمّا الخفيّ فلا يشعر به إلّا الرّجال البالغون الرّاسخون المتمكّنون، فإيّاكم وهذه الأوصاف المذمومة القاطعة لجُلّ النّاس عن سلوك الطريق: «وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ»[2]، وذلك أنّ كثيرا من المدّعين الخصوصيّة يحسبون، أي يظنّون ويتوهّمون أنّهم على الدّين الّذي هو لأهل علو الهمّة عن الدّنيا وأهلها الّذين تنزّهوا حتّى عن الدّرجات والمقامات الّتي سلكها أهل الولاية وحصل لهم الوصول إلى الله على سبيل الشّهود والعيان. وقد قالوا رضي الله عنهم: دليل الوصول إلى الله هو الاكتفاء بالله والغنى به عمّا سواه، قال الشّيخ الشّشتري رحمه الله في نونيته:

وَكُلُّ مَقَامٍ لاَ تَقُمْ فِيهِ إِنَّهُ
حِجَابٌ فَجِدَّ السَّيْرَ وَاسْتَنْجِدْ العَوْنَا

---

1 - المائدة/ 74، وقع المؤلف في سهو جعله يجمع بين آيتين مختلفتين فقال: «ومن يشرك بالله فقد حبط عمله» كما أشرنا من قبل في موضع مشابه.

2 - المجادلة/ 18

وَمَهْـمَا تَـرَى كُلَّ المَرَاتِـبِ تَجْتَـلِي
عَلَيْـكَ فَحُـلْ عَنْهَـا فَعَنْ مِثْلِهَـا حُلْنَا
وَقُـلْ لَيْـسَ لِي فِي غَـيْرِ ذَاتِـكَ مَطْلَبٌ
فَـلاَ صُـورَةٌ تُجْلَـى وَلاَ طُرْفَـةٌ تُجْنَى[1]

(نهاية ص 161)

وقـد قـال أسـتاذنا رحمـه الله: مـن ادّعـى الوصـول إلى الله فأنظروه، فـإن حصل لـه الاكتفاء بـالله فهو صـادق وإلّا فلا، لأنّ شـاهد الوصول هـو الاكتفـاء بـالله، فهذا هو شـأن أهـل الله. وأمّا أهـل الدّعـاوى الّذين يعـدّون إقبـال الخلـق عليهـم، وكثـرة الأتبـاع لهـم خصوصيّـة كـبرى، ويشـيعون في النّـاس أنّ الفتـح يكـون عـلى أيديهـم في ثلاثـة أيـام، حتّى سـمعت عنهـم أنّ كلّ مـن صحبهـم مـدّة قليلة يقولـون له: اذهـب ترَ، فقـد أذنّـاك في المشـيخة. مـع أنّـه لم يعلـم حـقّ علـم البدايـة، فأحـرى الوصـول إليـه والفنـاء فيه بالشّـهود والعيان وهـذا محال عنـد المحقّقين، وقـد قال أسـتاذنا رحمـه الله: صاحـب الفناء يحتـاج للمـربّي والملازمة له بـل حتّـى صاحـب البقـاء، إلاّ إذا حصـل لـه الجمـع التّـام بـين المقامين والرّسـوخ والتّمكـين فيهـما، والإذن مـن الله ورسـوله صـلّى الله عليه وسـلّم ومـن الشّـيخ فتبـارك الله. وهـذه المذاكرة قـد وجّهناها لـكلّ من يدّعـي الخصوصيّـة الكـبرى والتّربيّة الحقيقيّـة، وهو بعيد منهـا وقد كنّا في حـضرة شـيخنا رحمـه الله عـلى المحاككة دائـما، وذلك بأمـره لنا بذلك ووصيّتـه لنـا المـرّة بعد المرّة. ومن جملـة ذلك قولـه رضي الله عنه: اعلموا

1 - أبو الحسن الششتري، الديوان، مصدر مذكور، ص72.

أنّ كلّ من ادّعى عليكم الخصوصيّة الكبرى، فحُكُّوا له في الدَّبْرة فإن زعرط، فقد أراحكم الله منه، وإلاّ فهو منكم إلى غير ذلك.

## [النصيحة بين الإخوان في طريق القوم:]

واعلموا أنّ هذه مودّة عظيمة قد وجّهناها لكم إن قبلتموها، وقد روي: لن تؤمنوا حتّى تتحابوا ولن تتحابّوا حتى تتوادّوا[1]. ولا شكّ أنّ أعظم المودّة عند أهل القلوب هي المذاكرة في الطّريق الّتي اخذوها عن المشايخ المحقّقين والمناصحة في الدّين، كما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «الدّين النّصيحة»[2]، وأمّا قراءتكم الصّلاة المشّيشيّة ممزوجة مع التّعليق الّذي جعله(نهاية ص 162) النَّقْشَبَنْدِي[3] رحمه الله، ولم تفرّقوا بينها وبين التّعليق فليس بصواب. وإنّما الصّواب قراءتها وحدها لئلاّ يتوهّم بعض النّاس أنّهما كلام واحد، بل بينهما فرق كبير، لأنّ الصّلاة المشّيشيّة كأنّها وحي يوحى وقلّ ما يوجد مثلها لا قبل ولا بعد. وقد روي عن بعض العارفين أنّه قال له عالم من أهل عصره: أريد أن أشرح تائية ابن الفارض فقال له اشرح بيتين منها وإتيني بهما ففعل ذلك وآتاه به، فلما قرأه كتب على ظهره:

---

1 - لعله يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «لن تدخلوا الجنة حتّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتّى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...ح54، ص44).

2 - مرّ تخريجه.

3 - جمال الدين الهندي النقشبندي، الذي تنسب إليه الطريقة الصوفية النقشبندية، قيل عنه إنه عارف أهل زمانه، كثير الذكر توفي في 16 جمادى الأولى 1075ه، ودفن بالبقيع.(موسوعة أعلام المغرب، مصدر مذكور، ص 1075).

سَارَتْ مَشْرِقًا وَسِرْتَ مَغْرِبًا     شَتَّانَ بَيْنَ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبِ(1)

وها أنا قد جعلت عليها شرحا مختصرا وأمرت إخواننا بقراءتها وحدها ويجعلونها وردا صباحا ومساء بالتّرتيل والحضور من غير قراءة شيء معها تبرّكا بها. وقد وجدنا الأستاذ الكبير العارف الشهير غزالي وقته سيّدي أحمد بن عجيبة رحمه الله يقرأها هو وأصحابه صباحا ومساء لا غير. وأما أستاذنا رحمه الله فلم يأمرنا بقراءتها صباحا ومساءً، بل أمرنا بحفظها فقط، وما حملني على أمر إخواننا بقراءتها وحدها إلاّ مخافة التّخليط واعتقاد بعض الإخوان أنها مع التّعليق كلام واحد.

## [الإخلاص عمدة الدّين:]

وأمّا ما كتبناكم به في صدر الرّسالة من المحاككة فلا تفهموا منه أنّنا ننكر عليكم السّياحة لأجل الدّلالة على الله، لا والله، وإنّما مرادنا تحذيركم من عدم الإخلاص في ذلك، لأنّ الإخلاص هو العمدة في الدّين قال تعالى: «ألاَ للهَّ الدِّينُ الخَالِصُ»[2] ، وقال صلى الله عليه وسلّم: «أخلص في العمل يكفيك قليله»[3] إلى غير ذلك من الآي والأحاديث، وأما كلام العارفين في ذلك فكثير ويكفي في ذلك قول صاحب الحكم: «الأعمال: صور قائمة، وأرواحها: وجود سرّ

---

1 - ينظر: عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر، مصدر مذكور، ص32. (صاحب الشرح هو ابن حجر العسقلاني، وقدمه لصوفي هو الشيخ مدين بغرض الإجازة، وبعدما اطلع عليه، كتب له على ظهر الشرح البيت المذكور).

2 - الزمر/ 3

3 - رواه البيهقي بلفظ مقارب: «أَخْلِصْ دِينَكَ، يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ» (البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410ه، ج9، ص175).

Scanned with OKEN Scanner

الإخلاص فيها»[1] وقال يوسف بن الحسين الرّازي رحمه الله: أعزّ شيء في الدّنيا الإخلاص (نهاية ص 163) وكم أجتهد في إسقاط الرّياء عن قلبي فكأنّه ينبت فيه على لون آخر. وأمّا إذا حصل الإخلاص فالدّلالة على الله فيها سرٌّ عظيم لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أحبّ عباد الله إلى الله الّذين يحبّبون عباد الله إلى الله ويحبّبون الله إلى عباده ويمشون في الأرض بالنّصيحة»[2]. إلى غير ذلك والسّلام.

## [شرائع الطريق وسلوكها:]

اعلموا أنّي أحبّكم أن تنتبهوا لشرائع الطّريق وسلوكها، وإيّاكم والغشمانيّة في ذلك، والجهل بشرائعها المأخوذة عن الله وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعن المشايخ الرّبّانيّين. وإيّاكم أن تتوهّموا أنّ الفتح يأتيكم بلا سلوك، وتنظروا في ذلك الفتح بالفيضة والهمّة، لأنّ ذلك نادر، والنّادر لا حكم له، إذ الرّسل عليهم الصّلاة السّلام أتونا بالسّلوك، والسّلوك أمر ونهي بالقول والعمل، والعزم والقريحة وغير ذلك. والفتح فيه على حسب صدق الطّالبين. فمنهم من يفتح عليه في أقرب مدّة، ومنهم من يفتح عليه في أوسط مدّة، ومنهم من يفتح عليه عن بعد، ولا يخيب إلّا من خَيَّبته نيّته وصدقه. لأنّ المريد ما دام على نظره، ولم يتّبع نظر المشايخ ولو أمروه بالمحال لا يُفتح عليه، ولو بقي معهم ألف سنة. قال لنا أستاذنا رحمه الله: من حصل له الاعتناء بذكر الاسم مع شروطه يفتح عليه في ثلاثة أيّام أو سبعة أيّام أو سبعين إلى سبعة أسباع، وإلّا فلا صدق له ولا نيّة له ولا عزم له... الخ كلامه. وقد قالوا: المُريد لا ينتفع ولا يُفتح عليه إلاّ بصدقه،

1 - الحكمة العاشرة.

2 - مرّ تخريجه

وانظروا يا إخواني، فإنّ أبا بكر ما لقِّب بالصّدّيق دون سائر الصّحابة رضي الله عن جميعهم إلّا لقوّة صدقه، وإذا وقع التّفاوت بسبب الصّدق في حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الّذي لم يدركه منّا سابق ولا لاحق، فأحرى غيره، وهم المشايخ رضي الله عنهم، فعليكم بالصّدق مع الله ومع المشايخ والمحبّة (نهاية ص 164) والنّيّة الصّالحة والعزم والثّبات فيما يأمرونكم به، وما ينهونكم عنه يُفتح عليكم حقّا: «ولا تطالبوا الشّيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم بأن يكون الشّيخ في خاطركم»[1]، فعلى مقدار ما يكون الشّيخ عندكم تكونون عنده. وإيّاكم والوقوف مع المظاهر، فإنّه حجاب ظاهر، كما قيل، لا سيّما الوقوف مع علم الظّاهر إذ كم من واحد قطعه الوقوق مع علمه حتّى أدّاه إلى الإنكار على أوليّاء الله تعالى، وعلى أنبيّائه عليهم الصّلاة والسّلام، كما وقع بالأحبار والرّهبان والقسّيسين من الكفر بالأنبيّاء عليهم السّلام. وقد قال مولانا علي الجمل رحمه الله: يهون عليّ أن أربّي مائة جاهل، ولا يهون عليّ أن أربّي عالما واحدا، لأنّه له الميزان الظّاهر إلى آخر كلامه. ومن لم يكسر الميزان لا يجيء منه شيء، ولو بقي مع أهل الطّريق مائة سنة. واعتبروا بقصّة العالم الذي كان في حضرة أبي يزيد ثلاثين سنة، وقصّته معلومة عند أهل الطّريق، وقد تقدّمت لنا غير ما مرّة والسّلام.

## [مخالفة النفس فيما تهواه:]

اعلموا أنّ شريعة طريقنا الّتي أخذناها عن أستاذنا قطب الدائرة وأخذها هو عن أستاذه قطب الدائرة مولاي علي الجمل رضي الله

1 – تنسب المقولة لأبي العباس المرسي (ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص 73).

عنهما، وهو من شيخ عن شيخ إلى النبي صلى الله عليه وسلّم هي مخالفة النّفس في كلّ ما تهواه من شهواتها وحظوظها مع الاستغراق في الذّكر الدّائم، ولا شكّ أنّ من كان على هذه الشّرائع تنتج له حتما فكرة الشّهود والعيان في أقرب مدّة، وجرّبوا ولا بدّ، إذ في التّجريب كشف الحقائق لا محالة، ومن جرّب أصاب وإذا حصل على هذا يقول بلسان حاله:

رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي     فَقُلْتُ: مَنْ أنتَ؟ قَالَ: أنتَ
أنتَ الَّذي حُزْتَ كلَّ أيْنٍ     بِنَحْوِ «لَا أيْنَ».. أَيْنَ أنت
وَلَيْسَ لِلْوَهْمِ مِنْكَ وَهْمٌ     فَيَعْلَمَ الوَهْمُ أَيْنَ أنت
فَفِي بقَائِي وَلَا بَقَائِي     وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أنتَ[1]

(نهاية ص 165)

إلى غير هذا من كلام أهل التّحقيق. فإيّاكم ثمّ إيّاكم ودعوى علم الحقائق بلا شرائعها، إذ من ادّعى ذلك فهو بطّال، ولو كان له من العلوم الظّاهرة والباطنة ما لا حدّ له ولا حصر، لأن السّرّ والنّور في العمل بهما قلبا وقالبا. وإلّا فلا يجيء منه شيء ولو كان له الطّيران في الهواء، والمشي على الماء وغير ذلك من الكرائم. وقد قال أستاذنا رحمه الله: مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبيّ، والعلم الوهبيّ ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشّكوك والاوهام، ويزجّ صاحبه بحضرة الملك العلّام وقال أيضا: الذّكر ينتج الفكر، والفكر عمل قلبيّ، وذرّة من أعمال القلوب تفضُل أمثال الجبال من أعمال الجوارح.

1 - الحلاج، الأعمال الكاملة، مصدر مذكور، ص 295-296. لاحظنا وجود اختلاف كبير بين ما ورد في ديوان الحلاج، وما أثبته المؤلف ومن ثمة قمنا تصحيح ما في المتن ليوافق ما ورد في الديوان.

وإيّاكم ثمّ إيّاكم أيضا الشّهرة والظّهور بقلقلة اللّسان بالعلوم الظّاهرة والباطنة بلا عمل ولا إخلاص فيهما. لأنّ ذلك هباء منثورا، ولو بلغ الإنسان فيه ما بلغ إذ: «الأعمال: صور قائمة، وأرواحها: وجود سرّ الاخلاص فيها»[1]. لا سيّما صاحب قلقلة اللسان بعلم القوم دون ذوق ووجدان، ولو بلغ ما بلغ من الكرائم والظّهور وإقبال الخلق عليه واتّباعهم له فأمْره خِدَجٌ[2] في خِدَجِ أي هباء منثورا. واسمعوا ما قال الصّوفيّة رحمهم الله في ذمّ ذلك. قالوا: الظّهور نقمة والنّفس ترضاه والخمول نعمة والنّفس تأباه. وقالوا أيضا: الظّهور يقطع الظهور. وقالوا أيضا: «كم قطعت طقطقة النّعال حول الرّجال من رأس وكم أذهبت من دين». وقد سأل صاحب بغية السّالك إلى أشرف المسالك أباه سيّدي محمّد السّاحلي[3] رضي الله عنهما وقال له: «لقد اشتهر طريقك وكثر أصحابك، فهل منهم وارث لك أومن قارب؟ فقال لي: لتعلم أنّ من حقّ هذه الطّريق الكتمان لكنّي للّذي رأيته من توالي الفساد، وقلّة الرّشاد، واستيلاء الغفلة (نهاية ص 166) على قلوب العباد، رأيت أن أشعت من مبادئ طريقي في النّاس لعلّهم يُخرجهم من بعض ما هم فيه، ولعلّه يحفظ عليهم الحدود فأنا قانع منهم بتلبُّسهم بشيء من الذّكر والقيام بالفرائض واجتناب الكبائر، فالمشار إليه منهم عسى أن يكون قد حصل له منزل التّوبة، فهم

1 – ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، مصدر مذكور، ص48. الحكمة العاشرة.

2 – ناقص، يقال : خَدَجَ الشَّيءُ: نَقُص

3 بغية السّالك إلى أشرف المسالك، لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم، أبو عبد الله المعمّم الأنصاري الساحلي المالقي، المتوفى سنة754هـ/ 1353م. في المتن: بغية المسالك في أشرف المسالك.

Scanned with OKEN Scanner

للأجور أقرب منهم للحضور. ثمّ قال لي: لم أر فيمن تعلّق بي أحسن بداية من عمّك أبي الحسن بن حديدة[1] رحل إليّ من الجزائر، وأخذ عنّي واجتهد حتّى إذا ظهرت عليه بركات مبادئ الطّريق ولاحت لديه علامات النّجابة، وأخذ بحظ من مقام الايمان، ومن هنالك فما قدّم رِجْلًا إلى ما بعده بسبب علّة كانت فيه، ثمّ سافر إلى المشرق باقيا على علته، ولم يزل كذلك إلى أن مات. فقلت له: وما تلك العلّة الّتي حجبته وقطعت به عن السّباق؟. فقال لي: الميل إلى حبّ الرّياسة الّتي قطعت رقاب أكثر الرّجال. ثمّ قال: وذلك أنّ من خصائص هذا الطّريق أن يوضع لصاحبه القبول في الأرض، وهي فضيلة من فضائل الصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فكلّما حسنت بداية السّالك ولاح عليه أثرها أقبل عليه الخلق بالمحبّة والتّعظيم والإكرام وذلك من أكبر خدع النّفس... الخ.[2]

فانظروا كلام الرّجال البالغين في ذمّ الظّهور للخلق، والدّعوى بعلم القوم دون ذوق ووجدان، ونرى جلّ النّاس على ذلك ويحسبون أنّهم على شيء. اللهمّ إلّا من حصل له الفناء في الله بالشّهود والعيان وحصل له البقاء به مع الرّسوخ والتّمكين حتى لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحس إلّا به. وصاحب هذا الحال يأخذ النّصيبَ وكلّ

---

1 - لا يعرف عن الشخص شيء غير أنه من بني حديدة قرية على وادي بيرة بالأندلس، ويبدو أنه لا علاقة له بالجزائر، وإنما وردت لفظة الجزائر التي ذكرها صاحب بغية السالك على سبيل الجمع للفظة جزيرة. وقد سماه المؤلف ابن جريدة(أ وب).

2 - أبو عبد الله الساحلي المالقي، بغية السالك في أشرف المسالك، تحقيق عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب،2003، ج2، ص140

شيء ولا يأخذ النّصيبُ منه شيئا، كما قال المشايخ رضي الله عنهم. قالوا: «الصّوفي من لا يعرف في الدّارين أحدا غير الله، ولا يشهد مع الله سوى الله، قد سخر له كلّ شيء، ولم يسخر هو لشيء، يأخذ النّصيبَ من كلّ شيء، ولا يأخذ النّصيبُ منه شيئا، يصفو به كَدرُ كلّ شيء ولا يُكدِّر صفوَه (نهاية ص 167) شيءٌ، قد شغله واحد عن كلّ شيء، وكفاه واحد من كلّ شيء»[1]. انتهى.

واعلموا أنّ من لم يشاهد الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة في نفسه وفي الوجود بأسره بالشّهود والعيان فهو بطّال من حيث يظنّ الجدّ، وبعيد من حيث يظنّ القرب. فاجتهدوا في تحصيل هذا المقام العظيم. واللهُ يرزق العبد على قدر همّته، ولا شكّ أن من كان على هذا النّعت يقال فيه: حدّث عن البحر ولا حرج. والسّلام.

## [الهويّة:]

اعلم أنّك أخبرتنا فيما مضى أنّ الهويّة قد استولت عليك حتّى لا تقدر على ذكر الاسم ولا غيره من الأذكار. وهذا خبر صحيح لا [شكّ][2] فيه لأنّ كلّ من استولت عليه الهويّة في مقام الفناء بالله بالذّوق والوجدان لا يقدر على ذلك حقّا، ولكن يا أخي عليك بالبحث والمذاكرة مع أهل الفنّ دائما، لأنّ ذلك يحصل به الوسع العظيم في دائرة الولاية حتّى تجد صاحبها -إن شاء- ينزل من بحر العمى إلى بحر الوحدة، ومن بحر الوحدة إلى بحر الأحديّة، ومن

---

1 – أحمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مصدر مذكور، ج4، ص94.

2 – ب: إشكال.

Scanned with OKEN Scanner

بحر الأحديّة إلى بحر الواحديّة، ويميّز بين هذه البحور الّتي جمعتها الهويّة حتّى لا يخفى، يعطي كلّ ذي حقّ حقّه.

فهذه هي فائدة التّفنّن في علم القوم مع أهله بعد استيلاء الهويّة على العبد. واسمع كلام مولاي علي الجمل رحمه الله في فضل المذاكرة وعدم الرّخصة في تركها حيث قال: «اعلم أنّ صاحب المعاني القنات بها يحصل له الجوع، كما يحصل الجوع والشّبع لصاحب الأكل والشرب. وكما أنّ الجوع والشّبع بالأكل يحصل للصّغير والكبير، كذلك الجوع والشّبع بالمعاني يحصل للصّغير وهو المُريد، ويحصل للكبير وهو الشّيخ. ولأجل هذا المعاني تجد الشّيخ يحتاج للمُريد، كما يحتاج المُريد للشّيخ أو أكثر. لأنّ الشّيخ تارة يُسْقى من آنية المُريد (نهاية ص 168)، وهو ساعة جوع الشّيخ، وتارة يُسْقَى المُريد من آنية الشّيخ لأنها ساعة جوع المُريد، وإذا اجتمع المُريد مع الشّيخ لا بدّ أن يكون الشّيخ شبعان والمُريد جائعا أو الشيخ جائعا والمُريد شبعان لا يخلو. ومهما عالم ومتعلّم تتنوّر بصيرة الجائع منهما من بصيرة الشبعان فتصير نفسهما واحدة، وهذا الاختلاف لا بدّ منه قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ»[1]. ولأجل هذا المعني اتّخذ المشايخ المتقدّمون رضي الله عنهم هذه الزوايا ودوام الجلوس فيها لملاقاة الرّجال ومباشرتهم، ولولا هذا المعنى ما احتاجوا إلى شيء من ذلك. جعلنا الله وإيّاكم من السّالكين على منهاجهم القويم بفضله وإحسانه. وكلامنا هذا ليس هو على علم الكتب، وإنّما هو على القلوب من الأذواق والمعارف والأسرار. ويقال له علم الإلهام جعلنا الله من أهله بفضله وإحسانه»[2].

1- هود/ 118

2- علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص119-120.

Scanned with OKEN Scanner

ومعنى كلام الشّيخ مولاي عليّ الجمل رضي الله عنه في جوع المُريد والشّيخ، واحتياج الشّيخ للمُريد كما يحتاج المُريد للشّيخ، وسقي الشّيخ من آنيّة المُريد، كما يُسقى المُريد من آنيّة الشّيخ.

أمّا أمر المُريد [فظاهر][1] في جميع ذلك. وأمّا أمر الشّيخ في احتياجه للمُريد، فمعناه أنّ الشّيخ لمّا حصل له الاستغراق في بحر العظمة حتّى لا يوجّه همّته إلى شيء ممّا يفيض عليه من المعاني الرّبّانيّة، والعلوم اللّدنيّة لوصوله لبغيته واستغنائه بمولاه، كما قال أستاذنا رحمه الله في بعض كلامه: إذا حصل الوصول، ليس لأحد ما يقول. وكما روي عن بعض العارفين أنّه لمّا حصل له الوصول استغنى عن العلوم كلّها وحمل كتبه إلى البحر رماها فيه ثمّ قال: يا علم ما رميتك استهزاءً بك ولا استخفافا بحقّك، فنعم الدّليل كنت لي لكن لمّا وصلت الى المدلول استغنيت عن الدّليل (نهاية ص169)، أو كما قال. إلى غير ذلك. وهذا هو الغالب ولكنّ بحث المُريد الصّادق للمشايخ في المعاني ربّما يفيدهم من الأسرار والعلوم اللدنيّة ما لا حدّ له ولا حصر، لأنّ التّرقّي والزّيادة لا ينقطع أبدا، فالزّيادة للشّيخ في التّرقّي بعد الوصول كانت بسبب بحث المُريد له، فهذا هو سقي الشّيخ من آنيّة المُريد، والله أعلم. لأنّ الشّيخ إذا بحثه المُريد يوجّه همّته إلى الله فيستمدّ من الله بلا واسطة، لأنه يأخذ ذلك عن قلبه عن سرّه عن ربّه. وأمّا المُريد فلا يأخذ ذلك إلّا عن شيخه، لأنّه هو واسطته. وكلام مولاي عليّ الجمل هذا يفيد أنّه لا استغناء في علم الباطن للمشايخ ولا للمُريدين ولو بلغوا ما بلغوا، كما قال أستاذنا رحمه الله: صاحب الفناء يحتاج إلى المُريد بل حتّى صاحب

---

1 – ب : ساقطة.

البقاء. اه. وصدق رضي الله عنه، لأنّ التّرقّي والزّيادة في طريق الولاية لا ينقطع أبدا فلا تستغنوا عن التّفنُّن في علم القوم. ونحبّكم أن تتعلّموا التّعبير عن مقاماته كلّها تارة من أهلها، وتارة من كتبهم لتتوسّع حالكم في كلّ ما تتجلّى به الحقيقة الإلهيّة عليكم، وتتلوّن به لكم من جلال وجمال، وقبض وبسط، ووجد وفقد، ومنع وعطاء، وقوّة وضعف، وعزّ وذلّ. وهكذا، والسّلام.

## [خطاب إلى الفقهاء:]

اعلم أيّها الفقيه أنّ اسمك على اسم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنت جاهل بمشاهدة ذاته الكريمة في ذلك، وصفاته في صفاتك، وذلك لتوهُّمِك وجود ما سواه من نفسك والوجود بأسره، بل ربّما يحصل لك الإنكار على من ادّعى رؤيته صلّى الله عليه وسلّم، كما صحّ عن الشّيخ أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه، قال: لي أربعون سنة ما حُجبتُ عن الله ولو غاب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين (نهاية ص 170) انتهى. وكذلك ما أخبر به غيره من المشايخ من اتّصالهم برؤيته صلّى الله عليه وسلّم حتّى لا يغيب عنهم طرفة عين ولا أقلّ من ذلك، وتواتر عنهم من زمان أبي يزيد إلى الآن. فاحذر ذلك الإنكار على أئمّة الدّين لأنّ كلّ من أنكر عليهم خاب سعيه وخسر الدّنيا والآخرة إلّا من نجّاه الله تعالى. ولا يخفى عليك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «قبض قبضة من نوره، فقال لها: كوني محمّدا ومن محمّد كان ما كان وما يكون»[1]، وقوله أيضا: «أنا يعسوب الأرواح»[2] أي أصلها إلى غير ذلك من

1 - مرّ تخريجه.

2 - مرّ تخريجه.

الأحاديث الدّالة الواردة في ظهور ذاته الكريمة في العالم بأسره لأنّها أصله وهو فرعُها. فانظر وتأمّل ذلك تفصيلا وإجمالا، وهل ذاتك داخلة في جملة ما دلّت عليه هذه الأحاديث أم لا ؟. وقد أشار بعض العارفين إلى أنّ حروف اسم محمّد صلّى الله عليه وسلّم موجودة في صورة الإنسان فرأسه بمنزلة حرف الميم الأولى وذراعاه بمنزلة حرف الحاء وصرّته بمنزلة حرف الميم الثّانية ورجلاه بمنزلة الدّال. فافهم الإشارة، وكذلك حروف اسم الجلالة «الله» فهي بمنزلة أصابع يد الانسان. فافهم الإشارة أيضا لعلّك تفهم قوله تعالى في بعض الكتب المنزّلة: عبدي أنت صفاتي وأنا صفاتك، ارجع إليّ أرجع إليك. وإلّا فأنت محجوب عنّي بتوهّم استقلال وجود نفسك من دوني.اه. وروي أيضا عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «إن الله خلق آدم على صورته»[1]، وفي رواية على صورة الرّحمن إلى غير ذلك، مّما يدلّ على مشاهدة الحقّ في نفسك وفي الوجود بأسره. واسمع مخاطبة بعض العارفين رضي الله عنهم للخمرة الأزليّة في باطنه بقوله:

**إِذَا قُلْتُ: مَا أَذْنَبْتِ؟ قَالَتْ: مُجِيبَةً**
**وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ**[2]

---

1 – مرّ تخريجه.

2 – ورد البيت في وفيات الأعيان لابن خلكان، ص146-147، طبعة حجرية، دت. وله قصّة طريفة مع أبي القاسم الجنيد، إذ سمع جارية تغنيه مع بيتين أخرين: إذا قلتُ: أهدى الهجر لي حال البلى*** تقولين: لولا الهجر لم يطب الحبّ
وإن قلتُ: هذا القلب أحرقه الهوى*** تقولي: بنيران الهوى شرف القلب
وإن قلتُ: ما أذنبت؟ قلت مجيبة: *** حياتك ذنب لا يقاس بذنب
يقول: «فصعقت وصحت، فبينما أنا كذلك، إذا بصاحب الدار قد خرج. فقال: ما هذا يا سيدي. فقلت له: مما سمعت. فقال: أشهدك أنها هبة مني إليك. فقلت: قد قبلتها، وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم زوجتها لبعض

(نهاية ص 171) وقال ابن الفارض رضي الله عنه في تائيّته:

وَلَوْ خَطَرتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ
عَلَى خَاطِرِي سَهْواً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي[1]

إلى غير ذلك من كلام المحقّقين رضي الله عنهم، أَوَ أنت أعظم منهم علما في الظّاهر؟!، لا والله، لا تعلم من علم الظّاهر حتّى عشر العشر بالنّسبة إليهم، فأحرى ما مدّهم الله به من العلوم اللّدنيّة والمواهب الرّبّانيّة. فسلّم تسلم من عقوقهم. وهذه الحقائق الّتي تكلّمتُ بها معك لا تُشاهَد إلّا إذا مدّ الله تعالى عبده المخصوص بالعناية بالعلم به ومع هذا يشاهده به لا بنفسه قال تعالى: «وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا»[2].

وأُعلمك أيضا أنّي والله ما بحت لك بهذه الحقائق الرّبّانيّة والأسرار الباطنيّة الّتي تحرم إباحتها لغير أهلها إلّا محبّة فيك لعلّك يحصل لك الإيمان والتّصديق بها وبأهلها، وإلّا فيجب علينا كتمانها لأنّ: صدور الأحرار قبور الأسرار كما قيل[3]. وقد بالغ أئمّة الدّين في

---

أصحابنا بالرباط (من المرابطة على ثغر العدو)، فولدت له ولدا نبيلا، ونشأ أحسن نشوء». ونلاحظ أن ابن خلكان قد أورد حياتك بدل وجودك.

1 - ابن الفارض، الديوان، دار صادر، بيروت، دت، ص52.(من التائية الكبرى المسماة: نظم السلوك).

2 - الكهف/ 64.

3 العبارة لذي النون المصري، وقد أوردها صاحب الحلية: «حدثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أبو الحسن الرازي، قال: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: قال ذو النون: « صدور الأحرار قبور الأسرار » (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، مصدر مذكور،ج9/ ص377).

Scanned with OKEN Scanner

كتمانها، فقالوا: أُكتم سرّك عن [زرّك][1] أي صاحبك. وقد كنّا نظن أنّ الله قد أراحنا منك لتوهّمنا أنّك عرفت شَوْرَ الطّريق، فإذا بك على خلاف ذلك. فنسأل الله تعالى أن يردّ علينا وعليك.

## [الحقيقة الإلهية:]

وأعلمك أيضا أنّ كلّما تجلت به الحقيقة الإلهيّة من عالم الكنزيّة إلى عالم الأبديّة، وما بينهما إنّما من بحر العمى السّابق لا خارج عنه، لأنّه ليس لبحر العمى مكان فارغ ممّا ظهرت به الرّبوبيّة من وجود عالم الحقيّة حتّى يعمّره وجود الخلقيّة، بل ظهرت الخلقيّة في نفس الكنزيّة بجميع اختلافات مظاهرها وتلوّنات صفاتها، وذلك كلّه سرّ اسم الظّاهر فافهم. وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عنه الله عزّ وجلّ: (نهاية ص 172) «كنت كنزا لم أُعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأُعرف، فبي عرفوني»[2]. فافهم معنى قوله: فبي عرفوني. ويكفينا أيضا في ظهور الحقيقة الإلهيّة من العمى إلى الوحدة إلى الواحديّة بذاتها وصفاتها وأفعالها وأسمائها وجميع شؤونها في العوالم كلّها، من ملك وملكوت وجبروت ورحموت، قوله تعالى: «هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ»[3]، فهذه الهويّة قد أحاطت بجميع ما ظهر وما بطن من أسراره تعالى. ومن هنا قيل من لم يشاهد الله في ذاته وصفاته وفي الوجود بأسره

1 – ملازمك ورفيقك وصاحبك، وفي المثل: «أَلْزَمُ مِنْ زِرٍّ لِعُرْوَةٍ»، والعبارة مقتبسة من الرسالة القشيرية: «ثم يجب عليه (أي المريد) حفظ سرّه عن زرّه إلا عن شيخه» (ص 427).

2 – مرّ تخريجه

3 – الحديد/ 3

فهو مشرك عند الصّوفيّة. وإيّاك أن تتوهّم أنّنا نقول بقدم العالم، لا والله. بل نقول: وجوده عدم محض، وانّما المعتبر هو ظهور الحقّ فيه بذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه. واسمع ما عبّر به صاحب العينية عن ذلك حيث قال:

وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلاَّ كَثَلْجَةٍ
وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ

فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ
وَغَيْرَ أَنَّ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ

وَلَكِّنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ
وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ[1]

والمراد بذوب الثّلجة هنا هو فناء المُريد وغيبته عن نفسه، وعن الوجود بأسره حتّى لا يدري ما يقول ولا ما يقال، فحينئذ يشاهد من «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[2]. لا، إنه يشاهده وهو باق على عقله راسخ في الخوض في المحسوسات فافهم واسمع أيضا كلام ابن العربي الحاتمي في ذلك حيث قال:

الْبَحْرُ بَحْرٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قِدَمٍ
إِنَّ الْحَوَادِثَ أَمْوَاجٌ وَأَنْهَارُ[3]

1 - ~~عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر~~ مذكور، ص205. عبد الكريم الجيلي

2 - الشورى/ 9.

3 - هو لعبد الغني النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، مصدر مذكور، ص157.

لاَ يَحْجُبَنَّكَ أَشْكَالٌ يشَاكِلِهَا
عَمَّنْ تَشَكَّلَ فِيهَا فَهِيَ أَسْتَارُ[1]

فالإشارة في كلامهما بالثّلجة والماء والأمواج والبحر إلى حدوث (نهاية ص 173) كثافة الخلقيّة المتجلّي بها الحقّ، وقِدَم اللّطافة الثّابتة الوجود للحقّ من صفات المعاني. والمعنويّة القائمة بالعالم بأسره، ولولاها لم تثبت الأشياء كلّها كما قال ابن عطاء الله، رحمه الله في حكمه: «الأكوان ثابتة بإثباته ممحوّة بأحديّة ذاته»[2]، فكما هي كثافة الثّلجة دالّة على حدوثه وعدمه والماء المعتبر، فكذلك الخلقيّة دالّة على حدوثها وعدمها، والمعتبر هو ظهور الحقّ فيها، وكذلك يقال في البحر والأمواج. فالعالم ليس هو موجود مع الله مستقلّا بنفسه دون الله، لا والله، وإنّما الظّاهر فيه هو الحقّ سبحانه بذاته وصفاته، ولم يحجبنا عنه توهّم وجود معه لا غير، والوهم باطل لا أثر له، قال في الحكم: «إنّما احتجب لشدّة ظهوره، وخفي عن الأبصار لعظم نوره»[3] وفيها أيضا: «الحقّ ليس بمحجوب، وإنّما المحجوب أنت عن النّظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكلّ حاصر لشيء فهو له قاهر[4]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾»[5]، إلى غير ذلك من كلام الأئمّة رضي الله عنهم.

1 - ورد البيت دون نسبة في جامع الأسرار ومنبع الأنوار، لحيدر الآملي، مصدر مذكور، ص161.

2 - الحكمة الحادية والأربعون بعد المائة.

3 - الحكمة الستون بعد المائة

4 - الحكمة الثالثة والثلاثون

5 - الأنعام/ 61، الآية الكريمة من مشمولات الحكمة

Scanned with OKEN Scanner

## [تفسير قوله تعالى «اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والَارْضِ» بالإشارة:]

واعلم أنّه يكفيك في ظهور الحقّ قوله تعالى: «اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والَارْضِ»[1]، فانظر وتأمّل بفكرتك في المثال الّذي ضربه مولانا عزّ وجلّ لظهور أنواره وأسراره في السّماوات والأرض، وفي كلّ شيء بقوله: «اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والَارْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ»[2]، وتأمّلوا معنا من باب الإشارة، والله يهدينا لمشاهدته بالعيان في العوالم كلّها بجوده وكرمه، آمين. وانظروا أيضا قوله تعالى: «قُلُ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ والَارْضِ»[3]، وقوله سبحانه: «اِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ (نهاية ص 174) وَالَارْضِ وَاخْتِلَافِ الِيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الَالْبَابِ»[4]، وقوله تعالى: «وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ»[5]، وقد قالوا كبرياؤه هو اختفاؤه في شدّة ظهوره، إلى غير ذلك من الآي الدّالّة على ظهور الحقّ سبحانه في خلقه بجميع شؤونه، وها أنا أفسّر لكم بإشارة معنى قوله تعالى: «اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والَارْضِ»، يعني ظهوره فيها بذاته وصفاته وجميع شؤونه دون حلول ولا اتّحاد، كما هو اعتقاد النّصارى في المسيح،

---

1 - النور/ 35

2 - النور/ 35

3 - يونس/ 101

4 - ءال عمران/ 190

5 - الجاثية/ 36

وإنّما هو مثل ضربه الله تعالى لظهوره فيها فقال سبحانه: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ»... الخ، يعني بالمشكاة الصّورة الخلقيّة الّتي هي العرش وما حوى، والمصباح هو النّور الأزليّ المودع فيها القائم بها الّذي لولاه لم تكن أصلا، وقوله سبحانه: «فِي زُجَاجَةٍ» يعني بالزّجاجة اللّطائف الملكوتيّة كأرواح الملائكة والأنبيّاء عليهم السّلام، وأرواح أكابر الأوليّاء رضي الله عنهم، وقوله: «كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» الكوكب الدّريّ هو السرُّ القائم بالأرواح من جميع اللّطائف، من عالم الجبروت وغيره. وقوله سبحانه«يُوقَدُ»، أي ذلك النّور الّذي هو السّرّ القائم بجميع الموجودات «من شجرة مباركة» وهي الرّوح المحمديّ الّذي هو يعسوب الأرواح، كما تقدّم في الحديث، وفيه أيضا: «قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمّدا»، الحديث، وقوله: «مُّبَارَكَةٍ» أي تجلّى فيها سبحانه بعظمته واصطفاها لحضرته. وقوله سبحانه: «لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ» أي ليس لها مكان مخصوص فارغ لم تظهر فيه شمس الرّبوبيّة، ولا زمان تظهر فيه شمس الألوهيّة بل هو البرزخ الجامع ولولاه لكان سبحانه كنزا لم يعرف. وقوله سبحانه: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»، أي يكاد نور روحانيّته صلّى الله عليه وسلّم (نهاية ص 175) يظهر لكلّ أحد أي لمن طلبه، وتسبّب فيه بالشّرائع الموصلة إليه، ولمن لم يطلبه، وذلك لشدّة ظهوره في بطونه. وقوله: «نُّورٌ عَلَى نُورٍ»، الأوّل هو نوّره صلّى الله عليه وسلّم، والنّور الثّاني هو النّور الأصليّ الأزليّ المقبوض منه، نوره صلّى الله عليه وسلّم لشدّة ظهور النّورين في بطونهما ظهورا على ظهور. وقوله: «يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَّشَاءُ» أي يوفّق الله لمعرفة النّورين المذكورين من يشاء من خواصّ عباده، بحيث لا يحجبه أحدهما عن الآخر، بل يشاهد كلا

منهما عين الآخر. فهذا حال من اجتباه الله تعالى واصطفاه لحضرته من ملائكته وأنبيّائه ورسله على جميعهم الصّلاة والسّلام، وأكابر أوليّائه رضي الله عنهم. وقوله تعالى: «وَيَضْرِبُ اللهُ الامْثَالَ لِلنَّاسِ»[1]، أي لذوي العقول السّالمة، وهم أهل القلوب المنوّرة ليهديهم سبحانه بعنايته، ويمدّهم باسمه العليم فيشهدونه سبحانه في كلّ ما يتجلّى به عليهم وذلك بعلمه لا بعلمهم، لأنّ علمهم قاصر ولو علموا ما علموا. وقوله جلّ من قائل: «فِي بُيُوتٍ اَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالاَصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»[2]، المراد بالبيوت المجتابين لحضرته أي اجتباء وهبيّا وتقدّمه سلوكُ «أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ» إلى حضرته الّتي هي محلّ مشاهدة الذّات الأقدس. وقوله «وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» أي تُشاهَد أوصافه وأسماؤه وأفعاله وآثاره لأنّها هي عين ذاته قال الشّيخ الجيلالي رحمه الله في عينيّته:

فَأَوْصَافُهُ وَالاسْمُ والأَثَرُ الَّذِي
هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ واللهُ جَامِعُ[3]

1 - إبراهيم/ 27.

2 - النور/ 37-38

3 - عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص 202.

وقال فيها أيضا:

**هُوَ مُوجِدُ الأشْيَا وَهُوَ وُعين وُجُودِهَا**

**وَعَيْنُ ذَوَاتِ الكُلِّ وَهُوَ الْمَوَانِعُ**[1]

أي هو موجد الأشياء كلّها من نفسه بنفسه في نفسه وليس خارجة (نهاية ص 176) عن كنزيّته، وهو وجودها أي الظّاهر فيها بجميع ما بطن في كنزيّته من شؤونه، وهو عين ذوات الكلّ من الأشياء، ومن جميع اختلاف أوصافه وأسمائه، لأنّ الألوهيّة هي الجامعة لجميع أسراره أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً. وقوله سبحانه: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ» أي ينزّهه في القلوب المشاهدة لحضرته بحيث لا تشاهد معه سواه «رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ» أي لا يلهيهم ولا يحجبهم إثبات الشّريعة في ظواهرهم عن مشاهدة الحَقيقة في بواطنهم، ولا تحجبهم مشاهدة الحقيقة في بواطنهم عن إثبات الشّريعة في ظواهرهم. بل يعطون كلّ ذي حقّ حقّه ويوفون كلّ ذي قسط قسطه وقوله: «وَإِقَامُ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ»، الصّلاة صلة بين العبد وربّه، فإذا حصلت الصّلة حصل المقصود، صلّى العبد أو لم يصلِّ، لأنّ الصّلة بالله هي المعتبرة، وقوله: «وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ»، أي تزكيّة نفوسهم من جميع الأوصاف المذمومة وتحليّتها [بالصّفات][2] المحمودة، لأنّ العبد إذا زكّى نفسه بطاعة مولاه كما ينبغي يحصل له الفلاح التّام، كما قال تعالى«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»[3]، والفلاح هو

1 – نفسه، ص204. حوى البيت في المتن بعض الهفوات التي صححناها بالعودة إلى المصدر.

2 – ب : الأوصاف

3 – الشمس/ 9

فوزها بظفرها بالرّجوع لأصلها الّذي ظهرت منه، وهو حضرة القدس. وقوله سبحانه: «يَخَافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ» أي يخاف هؤلاء الرّجال مكر الله الّذي تتقلّب فيه القلوب المحجوبة عن حضرته، والأبصار الّتي لم تشاهده في آياته، وقوله: «لِيُجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا» أي يجازيهم بالأسرار، والأنوار من خزائن رحمته وفضله وجوده أحسنَ ما عملوا، أي أفضل ما عملوا من الأعمال الصّالحة المتقبّلة والأذكار الّتي ذكروها محبّة له «ويزيدهم من فضله»، (نهاية ص ١٦٦) أي علوما وهبيّة لدنيّة كأمواج البحر وأعظمَ، وفتوحاتٍ وزيادات وترقيات من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام بلا انقطاع ولا انفصال أبد الآبدين. وقوله سبحانه: «وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي يعطي من يشاء من عباده المخصوصين بعنايته من الخصوصيّات وقوّة مشاهدة الذّات الأقدس والتّأييد فيها «بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي بلا غاية ولا نهاية لأسرارها وتلوّنات ظهورها. ولـمّا ضرب الله المثل للّذين آمنوا وكانوا في إيمانهم على بصيرة من الله أتبعَهم بمثل الّذين كفروا فقال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ»، المراد بالّذين كفروا أهل الحجاب والرّانِ فأهل الحجاب هم عامّة المسلمين من العلماء وغيرهم الّذين وقفوا مع الظّواهر، كما قال بعض العارفين رضي الله عنهم: الوقوف مع المظاهر حجاب ظاهر، والتّرقّي من المظاهر كشف ظاهر. وقال أيضا: أشدّ النّاس حجابا عن الله العلماء ثم العُبّاد ثم الزُّهّاد: فالعلماء لوقوفهم مع علمهم، والعُبّاد لوقوفهم مع عبادتهم، والزهّاد لوقوفهم مع زهدهم. فهذا كلّه من الشّرك الخفيّ، وقلّ من نجا منه. وقال رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم: «الشّرك في أمّتي أخفى من دبيب النّمل»[1]. وأمّا الرّان فهو زيادة على الحجاب، لأنّه هو قوّة ظلمة الكفر الّتي تؤدّي إلى إنكار الرّبوبيّة أصلا، كما عليه جلّ بني آدم. فجملة أعمال هؤلاء كسراب بقيعة من شدّة إعراضهم عن الله، وعدم إقبالهم عليه ومعرفتهم له. وقوله سبحانه: «يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً»، أنّهم على شيء في أعمالهم وأحوالهم وعلومهم وهي في الحقيقة كسراب وهو شيء يشبه الماء. وقوله تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً» أي حتّى اذا تحقّقت الحقائق لم يجد (نهاية ص 178) ذلك العمل، ووجد الله عنده، أي بقهره وانتقامه وغضبه عليه فيوفيه حسابه في الدّنيا باستيلاء الغفلة على قلبه واتباع شهواته واتخاذه إلهه هواه. وقوله سبحانه: «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»، أي سريع المجازاة لعباده على أعمالهم. فالحذر من الإعراض عن الله بالقلب والجوارح والوقوف مع العلم والعمل الظّاهرين دون تحصيل قطب العلوم والأعمال، وهو علم الباطن وعمله على سبيل الشّهود والعيان للذّات الأقدس مع الرّسوخ والتمكين فيهما. وقوله سبحانه: «ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ»، أي الأعمال الّتي يعملها أهل الشّرك الخفيّ والجليّ كظلمات بعضها فوق بعض، أي ظلمات شركهم الّتي هي أقوال وأفعال واعتقادات. فالأقوال هي التّفاخر والكذب والسّبُّ وغير ذلك، وظلمات الأعمال هي الكبر والعجب والحسد والحقد والعداوة، وغير ذلك، وظلمات الاعتقادات

---

1 - رواه أحمد والطبراني، ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح، وأبو علي وثقه ابن حبان، ولم أر أحدا جرّحه: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل» (عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، اعتنى به مشهود بن حسن آل سلمان مكتبة المعارف، الرياض، ط1، المجلد الأول، كتاب الإخلاص، باب الترهيب من الرياء وما يقوله من خاف شيئا منه، ح36، ص80).

هي نسبة التّأثير بالقلب للغير والاستغراق في مشاهدة ما سوى الله مع الله حتّى كأنّ الله تعالى لم يكن موجودا في نظره من شدّة إكبابه بالشّهوات الدّنيويّة وشدّة انطباع صور الأكوان في مرآته. وقوله تعالى: «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ»، أي أخرج يد عزمه على الخروج منها إلى العمل الّذي يوصله إلى التّوحيد الخاصّ والنّجاة من الشّرك الخفيّ والجليّ لم يكد يريها بالعمل والحال. وقوله: «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ»، أي ومن لم يهده مولاه إلى النّور الّذي هو نور التّوحيد والإخلاص فما له شيء من نور التّوحيد الكامل الخاصّ بالمقرّبين دنيا وأخرى، بل هو مستغرق في هذه الظّلمات الثّلاث. فنسأل الله تعالى أن يغطي أوصافنا بأوصافه، ونعوتنا بنعته ليحصل لنا الوصول إليه (نهاية ص 179) به لا بنا بجاه محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

ولا تستبعد يا أخي إدخالنا الشّرك الخفيّ في هذه الآية، لأنّ كلّ آية نزلت في الكفّار تجرّ ذيلها على المؤمن العاصي، لأنّ كلّ فنّ لا يؤخذ إلّا من أربابه، والشّرط في ذلك هو [المحبّة][1] والملازمة والبحث لا سيّما علم القوم رضي الله عنهم.

## [مجالسة العارفين:]

واسمع ما قال قطب الوجود مولاي عليّ الجمل رضي الله عنه: «اعلم أنّ مجالسة الرّجال العارفين هي أصل كلّ أصل، لأنّ بالمجالسة يحصل لك العلم، وبالعلم تحصل لك المعرفة، وبالمعرفة يحصل لك التّعظيم، وبالتّعظيم يحصل لك الإنكار، وببطلان الإنكار يحصل لك الإقرار، وبالإقرار تحصل لك الألفة، وبالألفة يحصل لك أن تقول بأمر الله تعالى للشّيء كن فيكون، وما ذاك على الله بعزيز»[2]. انتهى، والسّلام.

---

1 - ب: الصحبة.

2 - علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص121.

## [الاجتماع على محبة الله ورسوله:]

ومنها فإنّنا وإيّاكم على محبّة الله ومحبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لا على محبّة الدّنيا والطّمع فيها، كما عليه أهل الحظوظ النّفسيّة، وإذا كانت لله ولرسوله فلا تزيد بالإحسان، ولا تنقص بالإساءة، لأنّ الرّجال البالغين قالوا: حبيبي ومحبوبي على كلّ حال.

واسمعوا ما قال شيخ مشايخنا سيّدي العربي بن عبد الله، وذلك أنّه لما سمع قول بعض المشايخ: عييت نساوي بين من يجيب ومن لا يجيب فلم يستويا. قال هو رضي الله عنه: عييت نساوي بين من يجيء وبين من لا يجيء فلم يستويا. فانظروا ما بين مَنْ قَصدُه المجيء لله لا غير وبين غيره. وقد أكرمنا الله بمعرفة أهل الطّريقة، والدّخول فيها ونيل بعض مقاماتها بالذّوق والوجدان في هذا الزّمان الصّعب الّذي قلّت محاسنه، وكثرت قبائحه. والحمد لله والشكر لله.

## [في فضل الشّاذليّة:]

ولا شكّ أن من دخل هذه الطّريقة الشّاذليّة سعيد لا محالة ولو(نهاية ص 180) لم يحصل له إلّا التّشبُّه بأهلها والتّصديق والإيمان بما أشاروا به من الحقائق الرّبّانيّة لكان في ذلك خير كبير كما قيل:

فَتَشَبَّهُوا بِالْقَوْمِ إن لم تَكُونُوا مِنْهُمْ
إِنّ التَّشَبُّه بِالْكِرَامِ فَلَاحُ[1]

---

1 - السهروردي(ت587ه)، ديوان السهروردي المقتول، تحقيق كامل مصطفى الشيبي، مطبعة الرفاه، بغداد، 2005، ص62. في المتن: رباح.

Scanned with OKEN Scanner

[وقالوا أيضا][1] التّصديق بطريقتنا هذه ولاية، وقالوا أيضا: المتعلّق بالواصل واصل. وقد قال قطب الدّائرة مولاي عليّ الجمل رحمه الله ورضي عنه: مشاهدتك العبد الّذي يشاهد المولى تقوم لك مقام مشاهدة المولى لأنّ الوليّ الّذي يشاهد المولى لم يبق له إلّا خيال العبوديّة يشاهده العموم. وأمّا هو في نفسه فلم يشاهده. هو الحقّ شاهد نفسه بنفسه في نفسه، وهو المتكلّم لنفسه بنفسه في نفسه وهو السّميع لنفسه بنفسه في نفسه لا غير[2].اه

ولا شكّ في كلام مولاي عليّ الجمل هذا إذ لولا أنّ الله تعالى مدّ عبده المشاهِد له بالأوصاف العاليّة حتّى تحقّق بأنّ الله [تعالى][3] هو الّذي يشاهد نفسه بنفسه. ولا عبْدَ لم يطق العبد مشاهدته سواء كان رسولا أو نبيّا أو وليّا. واسمعوا قوله تعالى فيما أخبرنا به عن نبيّه وكليمه موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين سأله الرّؤية بقوله: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرِ إِلَى الْجَبَلِ»[4]. فهذا فضل أخبرنا به أكابر أوليّاء الله تعالى، وشاهدنا فضله والحمد لله، ولكنّ: «القناعة من الله حرمان»[5]، لأنّ دائرة الولاية واسعة لا غاية لها، ولا نهاية لأسرارها والتّرقّي والزّيادة فيها لا تنقطع أبد الآبدين في العمر الطّويل الأخرويّ، فما بالك بالعمر القصير الدنيويّ. فنسأل الله تعالى أن يرزقنا ما رزق أهله من الشّهود والعيان

---

1 - ب: زائدة.

2 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص136.

3 - ب: زائدة.

4 - الاعراف/ 143

5 - ينظر: علي الجمل، نصيحة المريد، مصدر مذكور، ص121.

والرّسوخ والتّمكين في الحضرتين الكريمتين الرّبانيّة والنّبويّة بجاه خير البريّة محمّد صلّى الله علية وسلّم وعلى آله.(نهاية ص 181).

واسمعوا ما قال شيخ مشايخنا أبو الحسن الشّاذلي رضي الله عنه في فضل طريقته الّتي بأيدينا قال رضي الله عنه: طريقتنا هذه محفوفة بعشر خصال:

**الأولى:** أهلها مختارون من اللّوح المحفوظ،

**الثانية:** القطب يكون منها،

**الثالثة:** مجذوبها سالك،

**الرابعة:** مؤمّنة من السّلب.

**الخامسة:** لا يدخلها إلّا سعيد.

**السادسة:** عليها تقوم السّاعة. فهذه الّتي حفظتها منها ولكن قد تمّمتها بحسب اجتهادي وما سمعت من مشايخي رضي الله عنهم فقلت:

**السابعة:** أنّها ليست طريق الجدّ والاجتهاد ولا طريق الخلوتين، وإنّما هي بالهمّة والحال.

**الثامنة:** الفتح قريب على أهلها، وأوّل ما يفتح لهم في الفناء في الذّات من أوّل وهلة.

**التاسعة:** أنّها مأخوذة عن مشايخ التّحقيق لا عن مشايخ التّبرّك،

**العاشرة:** لا بدّ لأهلها من الإذن من الله ومن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن مشايخ التّحقيق[1].

---

1 - ما نسيه المؤلف من هذه الخصال، وأكمله من عنده هو :...-5 المريد إذا أتاهم من أول وهلة يلقنونه الاسم الأعظم، -6 أن شيخ الطريقة لا ينقطع

ولا شكّ أنّ من أكرمه الله في الدّخول في أهل الطّريق وسلكها على يدي من كان فيها على بصيرة [الله][1]، وحفظه الله من الهيجان في غيرها من الطّرق المتشعّبة الّتي هي على تقدير أن لو حصل لأهلها الفتح على يد لا يحصل لهم الكمال إلا نادراً، لأنّ الطّرق إلى الله شتّى. وقيل: إنّها على عدد النّجوم وطريق الحقّ مفردة. ولا شكّ أنّ كلّ من دخلها يكون محمّديّا ظاهرا وباطنا.

## [من باب التحدث بالنعم:]

واسمعوا ما أخبركم به وذلك من باب التّحدّث بالنّعم لقوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»[2]، أنّ هنا رجلا تجلّت فيه أحوال

من طريقهم إلى يوم القيامة، -7 الولي لا تكتمل ولايته إلا إذا ختم بطريقة الشاذلية، -8 ما انطوت عليه بواطنهم كان منطويا عليه بواطن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، -9 المبتدئ إذا دخل طريقهم بصدق طوية وحسن سريرة من أول وهلة يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم، -10 إذعان العلماء الأعيان وسادات العصر والأوان كعز الدين بن عبد السلام والإمام القسطلاني... لحقّية الطريقة(لمزيد من التفصيل في هذه الفضائل التي خصت بها الشاذلية ينظر كتاب الفتوحات الربانية في تفضيل الطريقة الشاذلية لمحمد بن محمد بن مسعود الفاسي الشاذلي، نشر على الهلالي بمطبعة المعاهد، مصر، 1340هـ-1921م، ص5-6 مع الإشارة إلى أن الكتاب كله في شرح هذه الخصال، وينبغي أن نشير إلى أن هذا ليس من كلام أبي الحسن الشاذلي بل هو لصاحب الفتوحات، أما ما ينسب له فهو: «أعطيت الشاذلية ثلاثا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم: الأول: أنهم مختارون من اللوح المحفوظ، الثاني: أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو، الثالث: أن القطب منهم إلى يوم القيامة. - نقلا عن: إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد، مصر، ط1، 1426هـ- 2005م، ص263-264).

1 - ب: زائدة.

2 - الضحى/ 11

القطبانيّة منذ زمان وهو كلّ ما تجلّى فيه من الجلال والجمال يظهر في الوجود حتّى يشاهده بالعيان (نهاية ص 182) المرّة بعد المرّة، وفي هذه السّنة اجتمع عنده رجال من أهل الله، وجوههم لها نور عظيم، وقدّموا له ما يشير إلى ذلك الحال الّذي هو حال القطبانيّة، فتأمّله فوجد المقام الّذي هو فيه لا نهاية له ولا غاية، وذلك بأن وجد نفسه مستغرقا في بحر العمى وبحر الأحديّة، وبحر الواحديّة وجميع النّجوم الإلهيّة، فحصل له [التّنزّه][1] والاستغناء عن القطبانيّة، وجميع المقامات ثمّ مدّه مولاه بوسع العلم به، فصار تارة يتنزّل إلى بحر الوحدة وتارة إلى بحر الأحديّة، وتارة إلى بحر الواحديّة ليعطي كلّ ذي حقّ حقّه من الأسماء والصّفات والأفعال والآثار وغير ذلك من تجلّيات الرّبوبيّة والألوهيّة. لأنّ حضرة الألوهيّة لا غاية لها ولا حصر في التّلوّن في جميع مظاهرها.

فعليكم بعلو الهمّة عن جميع المقامات تظفروا بهذا الشّراب العظيم إن أردتم السّير والسّلوك في حضرة ملك الملوك، وإيّاكم والقناعة من الله، لأنّ القناعة من الله حرمان، وإيّاكم أن يغشمكم أحد بدعوى الوصول إلى الله وتثقوا به، وتصدّقوه قبل أن يخوض في بحور هذه الأسرار بالشّهود والعيان والرّسوخ والتّفكير والسّلام.

## [وجوب موافقة الفعل للقول:]

ومنها اعلموا أنّ المطلوب من الإنسان أن يكون فعله موافقا لقوله. وأمّا من كان فعله مخالفا لقوله فهو ضالّ مضلّ، قال الله

---

1 – ب : ساقطة.

تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»[1] وقال أيضا: «يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»[2]، إلى غير ذلك من الآي الدّالّة على ذمّ من كان حاله هكذا، وقد أخبرنا ولدُنا عنكم أنكم خاطبتموه بأن يأخذ الطّريق عنكم ويُفتح عليه في ثلاثة أيام، فقال لكم: أخذت عن أبي. (نهاية ص 183) فقلتم له: إنّ النّاس يتركون الغدير ويسقون من [الجبا][3]. فقال لكم: أنيّ أريد أن يفتح عليّ في دفعة واحدة. وصدق في مقالته لأنّه إذا كان الفتح عندكم بالنظرة والهمّة دون سلوك فتبارك الله، لأنّ أهل هذه الأحوال بنفس ما يلقاهم المريد يفتح عليه في لحظة واحدة، وأمّا إن كان بتقدّم سلوك كذكر الاسم مع شروطه، [ فيمكن أن يكون الفتح في ثلاثة أيّام أو أكثر، وهذا القدر قد ذكره أستاذنا رضي الله عنه، وذاك أنه قال لنا: من ذكر الاسم مع شروطه،][4] وهي طهارة البدن، والثياب، والمكان، وترك ما لا يعني، وتشخيص حروفه الخمسة، والوقف عليه، [فالأشيع][5] يفتح عليه في ثلاثة أيّام أو سبعة أو سبعين إلى سبعة أسابيع، وإلّا فلا صدق له ولا نيّة ولا عزم. اه. ولم يقل ذلك

1 – الصف/ 2

2 – ءال عمران/ 167.

3 – الماء المجموع في الحوض، وفي ب: الحَيْرُ: وهو حَوْضٌ يُسَبَّبُ إليه مَسِيلُ الماء من الأَمطار، يسمى هذا الاسم بالماء. والأصل: حائر، واستحسانا للتخفيف أسقطت الألف من الاستعمال.

4 – ب: زائدة.

5 – ب: بدل الاشياء

أحد غيره فكيف تفتخرون بكلام ليس لكم فمن عمل به على المقام والصّدق والقريحة يفتح عليه لا محالة.

وأمّا ما ذكرتم من أنّ الشّراب من [الجبا] أفضل من الغدير، فهنا رجل رفع همّته وتنزّه فحينئذ خاض في البحر الّذي أحاط ببحور السّموات والأرض والعرش وما حوى، حتّى صار العرش وما حوى زاوية من زوايا قلبه ومع هذا لسانه خارج من فيه يقول هل من مزيد؟. وأمّا كيفية ذكر الاسم الّتي أمرَنا بها أستاذُنا، فقد أمرْنا بها جلّ أهل محبّتنا وكلّ من عمل به، واعتنى وثبت فيه يفتح عليه في أقرب مدّة حتّى استولت عليه الهويّة واستقرّت فيه، وغيّبته عن نفسه وعن الوجود بأسره، بل حتّى عن ذكره لأنّه استغرق في بحر العظمة بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان لا بالظّنّ والتّخمين(نهاية ص 184) الّذي هو لأهل الحقيقة السّوقيّة، وهي تعلّم كلمات في الفناء والبقاء من أهلها بلا ذوق ثمّ يدّعي المشيخة على النّاس والعيّاذ بالله، وقد قال لنا أستاذنا رحمه الله: من حصل له مقام الفناء في مائة سنة لم يكن مفرِّطا لأنّه مقام عظيم.. الخ كلامه. وأيضا: إن كان الفتح على أيديكم كما وصفتم نأمر أولادنا وجميع أهل محبّتنا يأخذون الطّريق عنكم ولا ابتداع لنا من ذلك، لأنّ شيخنا رحمه الله كان يقول لنا: اذهبوا فتّشوا على من هو أكبر منّا، فان وجدتموه فأعلمونا لنذهب إليه جميعا ونأخذ من عنده ما يخصّنا.

وأمّا اعتقادكم أنّ شيخنا مولاي العربي لم يخلّف سوى شيخكم المدني فهو باطل، لأنّ المشايخ المحقّقين [قالوا: يُسلّم][1] للمُريد في

1 – ب: ساقطة.

تعظيمه لشيخه وغلوه فيه ما لم يؤدِ إلى فساد أو تنقيص في المشايخ، يعني بالفساد أن يعتقد فيه اعتقاد النّصارى في المسيح، وتنقيص المشايخ هو أن لا يعتقد الكمال إلّا في شيخه. وربّما يقطّبونه وهم لا يعرفون القطبانيّة، ولا معناها. وهو لم يطّلع على حقيقة المشايخ الرّبّانيّين بالعيان حتّى يفرّق بينهم في المقامات العالية، ولا حول ولا قوّة الا بالله. فالحذر الحذر من اتّباع هوى النّفس، واتّباع أهواء النّاس في الأمور التي تؤدّي إلى سوء الأدب، إذ في ذلك عطب كبير. وكم من واحد هلك بسبب ذلك. وقد كنّا فيما مضى نحذّر بعض إخوان سيّدي محمّد المدنيّ من ذلك، ولم يمتثل لأنّه كان مغلوب الطّبع [لا محالة][1]، حتّى هلك هو وأصحابه دفعة واحدة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وقد كاتبت أخانا سيّدي محمّد المدنيّ رحمه الله في شأنه مرارا فلم يسمع لي مقالا. فلما تحقّق (نهاية ص 185) سوء أدبه معنا كاتبني في أمره، وقال لي: إن لم يمتثل أمرك ولم يكن على نظرك فأنا بريء منه. نسأل الله تعالى أن يحفظنا وإيّاكم من سوء الأدب مع أصحاب الطّريق، وأن يميتنا وإيّاكم على غاية المعرفة ونهاية التّحقيق.

وأما قولك: ومن رمانا بغير صلة الله فقد [هفا][2] وأخطأ... الخ، فهو باطل، لأنّه ليس الخبر كالمعاينة. وأخبركم عن بعض الماء الّذي سال من الغدير الّذي وصفتمونا. وذلك أنّه قد فتح على كثير من أهل محبّتنا حتّى استغرقوا في شهود الذّات الأقدس وغابوا عن إحساسهم وعن الوجود بأسره وصاروا ينطقون بالأنانيّة، كما وقع

1 - ب: لأصحابه.

2 - يقصد وقع في هفوة وأخطأ.

لجلّ أكابر أوليّاء الله، ولم أذكرهم اكتفاء بعلم الله، لأنّه هو المطّلع على كلّ أحد من المحقّقين والمبطلين. وقد قال بعض المشايخ الرّبّانيّين: المدّعون كثيرون والمخلصون قليلون. وأيضا فإنّي أحبّك أن تنهى أصحابك عن سوء الأدب مع أصحاب الطّريق والاعتقاد الفاسد فيهم، لأنّه شؤم كبير وضلال واضح شهير، وكلّ من كان على ذلك ولم يتب، ويرجع للتّعظيم والاحترام والخلق الحسن لا يصلح أبدا كما وقع لكثير. وقد قيل: «لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السّماء والأرض. فما ظنّك بالمؤمن بالمطيع، وقيل أيضا: لو كُشِف عن حقيقة وليٍّ لَعُبِد»[1]. واعتبروا بالحكاية الّتي وقعت في زمن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه، وذلك استضافة بعض مشايخ زمانه، فلمّا قدّم لهم الطّعام، وكان له مريد صالح جالسا معهم، فقال له بعضهم: كل معنا ولك صوم شهر فأبى. فقال له الآخر: كُلْ معنا ولك صوم سنة فأبى فقال لهم شيخه: (نهاية ص 186)، دعوا من سقط من عين الله فرُئي ذلك المُريد بعد مدّة على الفواحش والمناكير والعياذ بالله. ومع ذلك لم يأمره شيخه بذلك وعصاه. وإنّما أمره غير شيخه فوقع به ما وقع بسبب سوء أدبه ووقوفه مع نظره، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. فأحرى من يتكلّم في أهل الطّريق بالكلام البشع الّذي يؤدّي إلى تنقيصهم والعياذ بالله، واعتبروا أيضا بما وقع بمُريد لأخينا سيّدي محمّد المدني. فقد أخبرنا عنه أنّه بالمدينة المشرّفة، وهو يشرب الدّخان مع الجبابرة وأهل الفساد بعد الفقه والانتساب إلى أهل الله. فمسخ بسبب سوء أدبه مع أهل المغرب من أصحاب

1 - المقولة لأبي الحسن الشاذلي (الشعراني، الطبقات الكبرى، ج2، ص 17).

شيخنا مولاي العربي بن أحمد رحمه الله، لأنّه كتب لهم كتابا يمدح فيه شيخه ويشير إلى تنقيصهم. وهو لم يطّلع على أحوالهم ولم يخالطهم حتّى يعرف الكامل منهم من النّاقص، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وأعوذ بالله من الجهل بأهل الطّريق ومعاداتهم لأنّ من جهل شيئا عاداه. وما كتبت لكم هذه الرّسالة وغيرها إلّا محبّة فيكم ونصيحة في الدّين وإلّا فالاكتفاء بالله هو شأن أهل الطّريق. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله، آمين.

## [رسالة إلى الفقهاء:]

ومنها اعلموا أيّها الفقهاء الّذين لم يعملوا بعلمهم وجعلوه واسطة للدّنيا والرّياسة والجاه وغير ذلك. وهم يحسبون أنّهم على شيء، أنّ العلم والعمل به هو قوت الأرواح وسبب قربها من الحضرة الأزليّة والاستغراق في مشاهدتها دائما مع ما منح الله أهلها من المكاشفات والتّصرّف في العوالم العلويّة والسّفليّة حتّى يظهر عليهم سرّ تغطية الأوصاف (نهاية ص 187) بالأوصاف والنّعوت بالنّعوت، ويقولون بأمر الله تعالى للشيء: كن فيكون. فهذا هو حال من كان العلم والعمل قوت روحه، وقد قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»[1]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من عمل بما يعلم أورثه الله علم مالم يعلم»[2]، والعلم نور يضعه الله في قلب من يشاء، إلى غير ذلك من الأدلّة الواضحة من الكتاب والسّنة وكلام السّلف الصّالح في فضل العلم والعمل به. إذ لا شكّ أنّ من عمل به يطلع عليه نهار أنواره ويذهب عنه ليل ظلمة الجهل حتّى لا يبقى له أثر. فعليكم بالعمل

1 - فاطر/ 28

2 - مرّ تخريجه.

به والجدّ والقريحة الكبيرة تنالوا ما نالت الرّجال من أسراره، لأنّه إذا كان الإنسان يجتهد في صلاح الأشباح من أكل وشرب ولباس وغير ذلك، ويساعده الوقت بتدبّر ذلك وتيسيره، فأحرى من يجتهد في طلب القرب من الله تعالى بالعلم والعمل والحال، وفي الحديث القدسيّ: «لا زال عبدي يتقرب اليّ بالنّوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنته»[1] وقال عزّ من قائل: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»[2]، وقال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ»[3]. فلا تشتغلوا يا عباد الله في طلب الدّنيا وتحصيلها مع خلو أيديكم من الأعمال الّتي تقرّب العبد من مولاه، وهي العلم والعمل به مع صحبة أهل الله: «الذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»[4]، وكانوا على بصيرة من الله، لأنّ ثمرة العلم والعمل به لا تجنى إلّا على يد المشايخ الرّبّانيّين، لأنّ من لا شيخ له فالشّيطان شيخه، كما قيل، ومن لا شيخ له لا قبلة له، ومن ليس له أستاذ فهو بطّال، وحذف الوسائط اختلال كما قيل. وقد قال الله تعالى: «يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ»[5]، وقال جلّ من قائل: «يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وابْتَغُواْ إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ»[6]، وقال: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي (نهاية ص 188) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ

---

1 - مرّ تخريجه.

2 - البقرة/ 185

3 - الذاريات/ 56

4 - الاحقاف/ 13

5 - التوبة/ 120

6 - المائدة/ 37

Scanned with OKEN Scanner

نُطِعْهُمَا»[1]، وقوله: «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»[2]، جعلنا الله ممّن اتّبع سبيله وأناب إليه قلبا وقالبا، والسّلام.

## [تأكيد على دوام المحبة للإخوان والنصح لهم:]

ومنها اعلم أنّي أحبّك أن لا تسمع إلّا كلام المؤمنين الّذين يحبّبون الله لك ويمشون في الأرض بالنّصيحة، كما في الحديث. واسمع أيضا ما نقوله لك من الآيات والأحاديث وكلام السّلف الصّالح، وإيّاك أن تسمع لمن يمشي بين العباد بالكذب والنّميمة والهمز واللمز حتى يُفرّق بين الأحبّة، قال تعالى: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ»[3]، والويل هو [القُبوح][4] الذي لا يحبّه الله ورسوله، وقيل: اسم واد في جهنّم تستعيذ منه جهنّم كلّ يوم سبعين مرّة. وأمّا الهُمّزة واللُّمّزة فمعناهما كما قال ابن عبّاس رضي الله عنه هم: «المشّاؤون بالنّميمة المفرّقون بين الأحبّة الباغون للبرآء العيب»[5]. وقيل الهمّزة الذين يأكلون لحوم

---

1 - لقمان/ 14

2 - لقمان/ 14

3 - الهمزة/ 1

4 - مصدر قَبَح، الأفعال القبيحة.

5 - عن ابنِ عباسٍ أنه سُئل عن قولِه: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ» قال هو المشّاءُ بالنميمةِ المُفرِّق بينَ الجمعِ المُغري بينَ الإخوانِ. (الشوكاني، فتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، 1994، ج5، ص665)، أما ما أورده المؤلف فهو جزء من حديث أغلب طرقه حسنة، منها الذي أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: «إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، المشّاؤونَ بالنّميمةِ المُفرِّقونَ بينَ الأحبّةِ الملتمسون للبُرآءِ العيب». (مجمع الزوائد، مصدر مذكور، ج8، ح12668، ص15).

النّاس ويغتابونهم، واللّمزة الطّعان عليهم بالسّبّ والتّقبيح لهم عند كل أحد... الخ. فلا تسمع لمن يأتيك بمثل هذا من شياطين الإنس، لأنّ المؤمن إذا لم يقدر شيطان الجنّ على وسوسته وإغوائه يستعين عليه بشيطان الإنس، لأنّه من جنسه، ويأتيه من باب النّصيحة بزعمه، فيأخذ رأيه فيما يقوله فيهلكه، ويبعده بعد القرب من الله، كما وقع لكثير من العبّاد والزّهّاد وقصصهم مذكورة في كتب التّفسير والأحاديث. أعاذنا الله وإيّاكم من ذلك. فالحذر الحذر من شياطين الإنس، والسّلام.

اعلموا أنّ قلوبنا لم [تسمح فيكم][1] وإن سمحتم أنتم فينا لأنكم عندنا أفضل من أولادنا لأنكم أولاد الأرواح، وأولاد الأرواح أفضل من أولاد الأشباح، كما هو معلوم عند المشايخ. وقد خفنا عليكم من مصيبة الأرواح الّتي هي الطّرد من حضرة (نهاية ص 189) الله، وحضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذه المصيبة أعظم من مصيبة الأشباح. فاحذروا منها، ولا بدّ. وقد بعثت لكم لتقدموا عندنا ليزول الجفاء الّذي بيننا، ويذهب ضيق الصّدر عنّا الّذي أصابنا وأصابكم بسبب توهّمكم أنّنا ظلمناكم في هجرنا لكم فأبيتم، واستعذرتم بمعاذير فاسدة لا تليق بأهل الصّدق مع المشايخ، لأنّ أهل الصّدق يقدّمون نظر المشايخ عن نظرهم، ولو أمروهم بالمحال، فهذا حالهم دائما لعلمهم أنّ طاعة المشايخ واجبة، والسّلام.

---

1 - تعبير عامي يراد به: تتخلى عنكم.

## [التأكيد على حب الخمول ورفض الظهور:]

اعلم يا أخي أنّ المدّعين كثيرون والمخلصين قليلون في كلّ زمان لا سيّما زمننا هذا، وسبب قلّة الإخلاص في الدّعوى هو محبّة الاستتباع والظّهور لأجل حطام الدّنيا الخسيسة حتّى عادوا يعتقدون أنّ الظّهور وكثرة الأتباع هو الخصوصيّة الكبرى، ومن لم يظهر عليه ذلك فهو بطّال ولا ولاية له. ولاشكّ أنّ هذين الوصفين تفرّع بسببهما جميع الأوصاف المذمومة الّتي تقطع العبد عن ربّه كما عند أكابر أهل الله. ولا شكّ أيضا أنّ أعظم الأوصاف المذمومة هو العجب والرّياء والتّصنّع والكبر والمباهاة، لأنّ ذلك يؤدي إلى الشّرك الخفيّ والعياذ بالله. ومن هذا حذّر أئمّة الدّين وجميع المشايخ الرّبانيّين طالبين السّلوك إلى حضرة ملك الملوك من ملاقاة الخلق كلّهم، لا سيّما أهل الدّعاوى العريضة، وأمروهم بخرق العوائد الّتي تسقط مرتبتهم عند الخلق كلبس المرقّعة وتعرية الرّأس والمشي ب[الحَفَى] والأكل بالأسواق، وذكر الجلالة بالجهر بحضرة النّاس، وغير ذلك من إظهار السّفليّات بين (نهاية ص 190) الأقران حتى يكون فاعل هذا كالكلب، بل الكلب أحسن حالا منه، وهذا مطلوب من كلّ مُريد، لاسيّما أهل الرّياسة كالعلماء وغيرهم من المنسوبين إلى العلويّات بنسب أو غيره.

واسمع كلام مشايخ الصّوفيّة رضي الله عنهم قال بعضهم: الصّوفيّ كالأرض يطأه البَرُّ والفاجر. وقال آخر: الصّوفي كالأرض يُطرح عليه كلّ قبيح ولا تأتي إلّا بالمليح[1]. وقد قيل:

1- ينظر: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص 17.

Scanned with OKEN Scanner

وَكُنْ عِنْدَهُـمْ كَالكَلْـبِ يُقْصِيهِ أهْلُه

وَمَـا يَأْتَـلِي فِي نُصْحِهِـمْ مُتَبَـذِلاً[1]

وقيل أيضا:

وَلَوْ قِيلَ لِي: مُتْ قُلْتُ: سَمْعاً وَطَاعَةً

وَقُلْتُ لِدَاعِي المَوْتَ: أَهْلاً وَمَرْحَبًا[2]

ولا زالـوا عـلى هـذه السّـفليّات حتّـى حصل لهـم التّغلغـل في علم الصّفـاء بالقـول والعمـل والحـال ظاهـرا وباطنـا. قال الشّـيخ الشّـاذلي رحمـه الله: كلّ مـن لم يتغلغـل في علمنـا هـذا مـات مـصرّا عـلى الكبائـر وهـو لا يشـعر. وصـدق رضي الله عنـه لأنّ هـذه الحفرة غريقـة لمن وقع فيهـا إلّا إذا نجّـاه الله بفضلـه ورحمتـه، كـما قيل:

وَلَـوْلاَ شَـذَاهَا مَـا اهْتَدَيْنَـا لِحَانِهَـا

وَلَوْلاَ سَـنَاهَا مَـا تَصَوَّرَهَـا الوَهْمُ[3]

1 - هـذا البيـت مقتبـس من متـن الشـاطبية المسـمى «حرز الأماني ووجـه التهاني» في القـراءات السـبع للقاسـم بـن فِـيرُّه بـن خَلَـف بـن أحمـد الشـاطبي الأندلسي المتـوفى سـنة 590 هجرية (نـشر: دار الكتـاب النفيـس، بـيروت، 1407، ص1).
وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ *** وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلاَ

2 - ورد البيت لدى صاحب الحلية باللفظ الآتي: ولو قلت لي: متْ، متُّ سمعا وطاعـة *** وقلت لداعي الموت: أهلا ومرحبا
وقصتـه أن رويما سئل عـن المحبة، فقال: الموافقـة في جميع الأحوال، وأنشـد البيت المذكور (حلية الأولياء، ج10، ص371).

3 - ابن الفارض، الديوان، مصدر مذكور، ص140.

Scanned with OKEN Scanner

وقال تعالى: «وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنَ أَحَدٍ أَبَداً»(1)، والتزكيّة هي الاجتباء بعد السّلوك وقبله ولولا ذلك ما قيل:

وَمِنْ وَجْهِ لَيْلَى طَلَعَتْ الشَّمْسُ تَسْتَضِي
وَفِي الشَّمْسِ أَبْصَارُ الوَرَى تَتَحَيَّرُ(2)

ولولا فضله أيضا ما قيل:

وَغَنَّى لِيَ مِنْ قَلْبِي ... وَغَنَّيْتُ كَمَا غَنَّى(3)
وَكُنَّا حَيْثُمَا كَانُوا ... وَكَانُوا حَيْثُمَا كُنَّا(4)

إلى غير ذلك، ويكفينا في ذمّ المدّعين للمشيخة دون تحقيق، قول الأستاذ أبي القاسم القشيري (نهاية ص 191) رضي الله عنه: من تعرّض للتّصحير قبل خمود بشريّته وسقوط شهواته، فهو ضالّ مضلّ لا يقتدي به إلّا جاهل ذاهل لا يفرّق بين السّنة والبدعة ولا الضّرّ والمنفعة، ولذلك تجد أكثر أتباع المشايخ الجهّال الجهلة الهمج

1 - النور/ 21

2 - يروى البيت لأبي الحسن الشاذلي (محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف بالصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي، والفخر الشامخ الجلي، القطب الأكبر، والغوث الأشهر، سيدي علي أبي الحسن الشاذلي، المطبعة التونسية الرسمية، 1304ه، دت، ص 106).

3 - ب: زيادة بيت في المستهل وهو: أيا قلبي لك البشرى *** وردنا ذلك المعنى

4 - جاء هذا في جواب للجنيد عندما سئل عن التوحيد، فقال: سمعت قائلا يقول وأنشد البيتين. فقال له السائل: أَهَلَكَ القرآنُ والأخبارُ؟ فقال: لا، ولكن الموحِّد يأخذ أعلى الخطاب من أدنى الخطاب وأيسره. (أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص 334).

Scanned with OKEN Scanner

الرّعـاع، فتراهـم يدلّونهـم على الأسـباب الدّنيويّـة قبـل أن يدلّوهم على الأسـباب الدّينيّـة. فيظـنّ الجاهـل أنّـه في مجاهـدة نفسـه وفي طاعـة ربّه، وهـو في خدمـة الدّنيـا والنّفـس والهـوى. انتهـى. وعـن مثـل هـذا نهى صاحـب الحكـم حيـث قـال: «لا ترحـل مـن كـون إلى كـون، فتكـون كحـمار الرّحـى ويسـير»[1]، فمـن هنـا كان أكثـر النّـاس يصطـادون الدّنيـا بالدّيـن ويتعرّضـون للخلـق في زيّ العارفين، ويتنسّـكون بجلب الصّيـت والجـاه مـن جميـع النّـاس، ولا تصـحّ الدّعـوى لمن [يخطـر][2] في قلبـه معرفـة النّـاس أبـدا. وهـذا هـو الغالـب، فـإنّ ذلـك كلّـه وبال عنـد أهـل الصّـدق. وقد قـال بعـض العارفـين: يذهـب النّـاس ويبقى [النّسـناس][3]. والله الموفـق، والسّـلام.

اعلـم أنّ الرّجـل القـوّي هو الّذي يكون سـكران دائـما، وهو يعرف بـاب داره ولا يغيب عنه سـاعة[4]، وذلك لأنّ صاحـب هـذا الحال غيْبته في حضـوره دائـما وحضـوره في غيبتـه وذلـك لإقامـة العبوديّـة ظاهـرا والتّحقّـق بأوصـاف الحريّـة باطنـا. وأمّـا الرّجـل الضّعيـف الهامل عن الكنـز المدفون فيـه من الحقائـق الرّبّانيّـة والمواهب اللّدنيّة الإلهيّة بسبب هيمانـه في شـهواته النّفسـانيّة، والخـوض في المحسوسـات الدّنيويّة فتراه صاحيـا ولا يعـرف بـاب داره الّتـي هـي الشّريعـة المحمديّـة، لأنّهـا هي بـاب الحـضرة الإلهيّـة. (نهاية ص 192) ومـن لم يدخل منـه لا يجيء منه شيء، ولـو ملـك مـا ملك مـن الدّنيـا وغيرهـا، وقد قـال أستاذنا رحمه

1 - الحكمة الثانية والأربعون.

2 - تعبير دارج يراد به: يأخذ بعين الاعتبار. وفي ب: يحضر.

3 - الأثر.

4 - تناص مع مثل شعبي : سكران ويعرف باب داره.

الله: الرّجل عندنا هو الّذي يَفْصِد النّملة من [أكْعَابِها][1] وهو غائب ....الخ كلامه. فهؤلاء هم الرّجال الّذين غابوا في حضرة مولاهم فازدادوا صحوا وسكرا بشراب الخمرة الأزليّة فازدادوا حضورا ... الخ. فكن منهم أيّها المريد لسلوك الطّريق وإلّا فلا، والله الموفّق والسّلام.

## [ممّا منّ الله به على المؤلّف:]

اعلموا أنّي أبشرّكم برؤيا رأيتها بعد استعمال الاستخارة النّبويّة على شأن القدوم الى المشرق. وذلك أنّي رأيت أصنع قبر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في موضع عال متوجّه إلى القبلة، وحين أتممته خاطبني خصيم من باطني، وقال لي: قبر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة، وليس هو مقابلا لهذا. فقلت له: إنّ روحانيّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم واسعة، وقبره متوجّه إلى القبلة، وهذا كذلك، ونوره صلّى الله عليه وسلّم واسع. فإذا ببعض الفقراء وجدني عند القبر. فقلت له: هذا قبر المصطفى صلّى الله علية وسلّم. فقال لي: مثل ما قال لي خصيم نفسي، فأجبته بما أجبت به خصيم نفسي، وإذا بالنّور الأحمديّ قد [علا][2] وعمّ الوجود. فقلت للفقير المذكور: ها هي نورانيّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قد عمّتك وعمّت الوجود. فرجع ذلك الفقير، وإذا بإخواننا عادوا يعلّمون قبورهم حِذو قبره صلّى الله عليه وسلّم وكذلك الفقير المذكور، وأنا

1 - جمع كَعْب على خلاف القياس المطّرِد: أَكْعُب، كِعَاب، كُعْب، كُعُوب، وهو العظم النّاتئ عند ملتقى السّاق والقدم.

2 - ب: عمّني

قائم عن يمين قبر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. فلمّا رأيت القبور الّتي علّمها الفقراء قد كثرت وعادت مقبرة كبيرة. قلت في نفسي: أنا نجعل قبر المصطفى هو قبري أو نجعله عن يمينه. وهذه الرّؤيا حقيقة (نهاية ص 193) لا شك فيها، إذ ليس [للشّيطان][1] فيها مدخل، لأنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «من رآني فقد رآني حقا فإنّ الشّيطان لا يتمثّل بي»[2]، وقال أيضا: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[3]، والله الموفّق، والسّلام.

اعلموا أنّ المعوّل عليه عند مشايخ الصّوفيّة هي المناصحة في الدّين ولو بالأمور الّتي تنفر منها النّفس، وقد قال بعضهم: لا زال الصّوفيّة بخير ما تشاجروا، فإذا اصطلحوا هلكوا.

## [الزّهد في الدّنيا:]

واعلموا أنّي أحذركم وإيّاي من الأوصاف الّتي كان عليها من نزل فيهم قوله تعالى: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا»[4]، وعليكم بالأوصاف الّتي كان عليها أكابر أهل الله تعالى اقتداء برسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، والأوليّاء والصّالحون بعدهم، وذلك أنّه لمّا وبّخ الله

1 - ب: لأحد. والأصح ما في أ.

2 - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، ح110، ص40.

3 - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فقد رآني»، ح2266، ص1076.

4- الاحقاف/ 19

تعالى من كانت همّته في التّمتّع بطيّبات شهوات الدّنيا وحظوظ النّفس، آثر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والتّابعون لهم اجتناب اللّذات الدّنيويّة والشّهوات النّفسانيّة رجاء ثواب الآخرة والدّخول في الحضرة الأزليّة بالشّهود والعيان. روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثّر في جنبه فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئا يردّ البصر إلّا أُهبَةٍ ثلاثة، فقلت: أُدع الله يوسّع على أمّتك، فقد وسّع على فارس والروم (نهاية ص 194) ولا يعبدون الله. فاستوى جالسا ثم قال لي: «أفي شكّ أنت يا ابن الخطّاب؟ أولئك قوم عجّلت لهم طيّباتهم في الدّنيا. فقلت: استغفر لي يا رسول الله»[1]، وروى البخاري ومسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: «ما شبع آل محمّد صلّى الله عليه وسلّم من خبز شعير يومين متتابعين، حتّى قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[2]، وروى البخاري ومسلم عنها أيضا قالت: «كان يأتي علينا الشّهر ما توقد فيه نار إنّما هو الأسودان التّمر والماء إلاّ أن يُؤتى باللّحم»[3] وفي رواية أخرى: «إنّا كنّا لننظر إلى الهلال ثمّ الهلال ثمّ الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نار، وقال عروة: قلت يا خالتي: فما كان

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعُلّيَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، ح2468، ص597.

2- مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح1055، ص1357

3- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح2972، ص 1357(روي عن عائشة، رضي الله عنها، أحاديث كثيرة في هذا المعنى)

Scanned with OKEN Scanner

عيشكم؟ قالت: الأسودان التّمر والماء، إلّا أنّه كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يمنحون لرسول الله من ألبانهم فيسقيناه»[1]. وعن ابن عبّاس قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبيت اللّيالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشّعير»[2]. وله عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لقد أخِفت في الله مالم يُخَف أحد، وأوذيت في الله مالم يؤذ أحد، ولقد أوتي عليّ ثلاث من اللّيالي وما لي ولبلال طعام إلّا شيء يواريه إبط بلال»[3]. [وفي رواية أيضا][4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: «رأيت سبعين من أهل الصّفة ما منهم رجل عليه رداء، إمّا كساء، وإمّا إزار قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف السّاقين، ومنها (نهاية ص 195) ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته»[5]، وروى البخاري أيضا عن إبراهيم بن عبد الرّحمن[6]: «أنّ عبد الرحمن بن عوف

1 - رواه البخاري، كتاب الرقاق، ح6459، ص1608 ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح2972، ص1358.

2 - الترميذي، الجامع الكبير، المجلد الرابع،كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي(ص) وأهله،ح2360، ص175. قال: هذا حديث حسن صحيح.

3 - الترميذي، الجامع الكبير، المجلد الرابع، ح2472، ص255. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

4 - ب: وروى البخاري.

5 - رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، ح442، ص 119.

6- إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، أبو إسحاق ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله المدني، ولد سنة 21 للهجرة. وهو أخو حميد بن عبد الرحمن، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، ووالد سعيد بن إبراهيم وصالح بن

أتي بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة إن غُطّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدت رأسه، وقال: قتل حمزة وهو خير منّي فلم يجد ما يُكفَّن فيه إلّا بردة. ثمّ بسط لنا من الدّنيا ما بسط، وقد خشيت أن تكون عُجّلت لنا طيّباتها في حياتنا الدّنيا. ثمّ جعل يبكي حتّى ترك الطعام»[1]، وقال جابر[2]: «رأى عمر بن الخطّاب لحما معلّقا في يدي. فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتهيت لحما واشتريته. فقال: أوَ كلّما اشتهيت يا جابر اشتريت!؟، أما تخاف هذه الآية[3]: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا»[4]، ا.ه. انظروا أين أنتم من هذه الأحوال العظيمة الّتي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه الكرام والتّابعون وتابعوهم من الرّجال البالغين رضي الله عن جميعهم. وقد سمعت عن بعض من يدّعي

---

إبراهيم، توفى سنة ست، وقيل: سنة خمس وتسعين، وهو ابن خمس وسبعين، يعد في الطبقة الأولى من التابعين وكان ثقة.

1 - رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن من جميع المال، ح1274و باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد، ح1275، ص308.

2 - هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، صحابي جليل من الأنصار، يكنى أبا عبد اللهّ، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثانية، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد. وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير المكي، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم.

3 - نقله أبو الفرج محمد بن علي الجوزي، عن مالك وأحمد والبيهقي(مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق حلمي بن محمد بن إسماعيل، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دت)، ص 170

4 - الاحقاف/ 20

المشيخة والخصوصيّة الكبرى أنّه يلبس القفاطين النّفيسة مع ما يناسبها من الثّياب الحسنة ويفرش المطارح الرّفيعة ووسائد الحرير ويركب في [الكرّوسة][1]، وغير ذلك من الجماليّات الّتي عليها الجبابرة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. ألم يعلموا ما قال لنا أستاذنا رحمه الله، حيث قال لنا: لا تتشبّهوا بأحوال الجبابرة قطّ. وقد أقمنا في زاويته رضي الله عنه نحو سبع سنين، فلم نر له شيئا ممّا عليه أهل الدّنيا من لباس وأكل وفرش، بل تارة يخرج في ثوب واحد ورأسه(نهاية ص 196) عليه قلسونة وعمامة فقط، ويجلس معنا للمذاكرة من صلاة الظّهر[إلى صلاة العصر][2]، ومن صلاة العصر إلى صلاة العشاء. ومرّة يخرج وهو لابس [شَمْلة][3]، وثوبا ولم أره قط لابسا قفطانا أبدا إلا وقتا واحدا وذلك حين يقدم السّلطان من مراكش، ويذهب أهل الزّوايا ليسلّموا عليه يذهب معهم لابسا قفطان باليا أخضرَ لم يحصل به افتخار على الوُصفاء فضلا عن غيرهم. فهذا حاله رضي الله عنه حتّى لقي الله.

وأمّا السّفليات الّتي كان عليها في أوّل أمره فلم يفعلها إلّا القليل من أهل الله، ولقد لبس [تَلِّيسًا][4]. وبقي نحو عشرين يوما بعد وفاة شيخه لا يملك شيئا من الدّنيا سوى الغداء

---

1 - لفظة مقترضة من الفرنسية معرّبة يراد بها: العربة التي تجرها الدواب.

2 - غير موجودة في المتن، ونرجح أنها سقطت سهوا من الناسخ.

3 - قطعة قماش بيضاء طويلة بعض الشيء تعرف في بعض المناطق من الجزائر وخاصة الغربية منها ب «الكَنبُوش» وتوضع تحت العمامة فتغطي الأذنين بتدليها، وهناك من يضعها دون عمامة فتظهر على صاحبها كالخمار على المرأة.

4 - يعرف عن التَّلِّيس أنه أشبه ما يكون بالكيس الكبير الذي تخزن فيه الحبوب، ويصنع من الحلفاء أو الدوم، والتّلّيس في المغرب لباس قد صنع من صوف أو قماش خشن، وقد اتخذه الصوفية وسيلة للخمول وقتل النفس.

والعشاء. وإذا ذهب أصحابه يسألون للزّاوية يقول لهم: لا تأتوا إلّا بقدر العشاء والغداء، وما فضل عنكم فارموه في الخلاء. حتّى أتاه الإذن من الله في إمساك ما يزيد. فقال لهم إن فَضُل لكم فِلْس على الغداء والعشاء فأتوني به. فحينئذ عاد الفقراء يحرثون للزّاوية ويأتون بالزّيارة الكبيرة، ومع ذلك كان لا يملك شيئا من الدّراهم ولا غيرها من أجل ما أعطاه الله من كثرة السّخاء، حتّى كان السّعاة يقصدونه من كلّ جهة ولا يخيّب أحدا، ومن لم يجد منهم شيئا يقول له: اصبر حتّى يفتح الله، فيبقى عنده ثلاثة أيّام وأربعة أو أكثر من ذلك، فإذا فتح الله عليه عاملهم ولو ب[التّسلُّف][1] ولم يخيّبهم. وقد أتاه رجل يسأله ما يَعُقّ به عن ولد ازداد له، فلم يجد شيئا فقال له: اصبر حتّى يفتح الله. فمكث ما شاء الله فقدم بعض أهل المحبّة بزيارة من الذّهب في قرطاس فدفعها إليه قبل أن ينظر إليها. وجاءه مرّة آخرون (نهاية ص 197) بثلاثمائة مثقال ففرّقها ولم يترك شيئا لعياله. ومرّة ذهبنا للسّياحة لمّا رأينا الدّين قد كثر فيه. فلمّا قدمنا دفعنا ما يسّر الله لنا به فأعطاني تلك الدّراهم وقال لي: فرّقها على أهل الدّيون فاجعل عشرة في موضع، وخمسة في موضع. ففعلت، وما بقي من ذلك إلّا القليل، فقال: اتركه عندك حتّى نحتاجه. إلى غير ذلك. وحين توفّي رضي الله عنه ترك أولاده فقراء.

وأمّا شيخه مولاي عليّ الجمل رضي الله عنه فقد بقي قطب الدّائرة ثلاثين سنة، ومع ذلك لم يملك شيئا من الدّنيا ولم تكن له حرفة سوى السّؤال ولا يترك منه إلّا قدر العشاء والغداء حتّى توفّي، رضي الله عنه، وترك أولاده فقراء أيضا. اه. فنسأل الله

1- الاقتراض.

أن يميتنا على منهاجهم القويم الّذي كانوا عليه وكان عليه جلّ الرّجال البالغين أهل الخصوصيّة الكبرى نفعنا الله بجميعهم أمين.

## [النّصح في الله والموعظة بين أهل الطريق:]

وما كاتبتكم بهذه المذاكرة إلّا بيانا لأحوال أهل الخصوصيّة الكبرى، لأنّهم رضي الله عنهم كانت ظواهرهم جلالا محضا وبواطنهم جمالا محضا. ولا شكّ أنّ جلالهم عين جمالهم وجمالهم عين جلالهم، والجلال عندهم عبوديّة، فلذلك لا يستغنون عنه بالجمال، لأنّ العبوديّة هي شرف كلّ أحد والجمال حرّية، والحرّية بلا عبوديّة لا عبرة بها عند سائر المحقّقين رضي الله عنهم. فلذلك اختاروا العبوديّة على الحرّية، ولو بعد بلوغ الكمال في طريق الولاية، كما هو شأن الأنبيّاء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام وأكابر الأوليّاء رضي الله عنهم. وأيضا فلا تجزعوا من محاككتنا لكم ولو بالمحال لأنّ ذلك (نهاية ص 198) شأن المتحابّين في الله دائما.

وقد حكي عن بعض أهل الله رضي الله عنهم، أنّ رجلين منهما كانا على المحبّة القوّية والأخوّة الصّادقة، فمرض أحدهما بوجع البطن حتّى كان لا ينام ليلا ولا نهارا من شدّة الوجع، وكان أخوه يقوم بأمره في مرضه ولا ينام كذلك، فأخذته سِنَة وقتا ما. فقال له المريض: نمت لعنك الله، وسكت عنه ساعة. فقال له: كيف وجدت قلبك حين قلت لك لعنك الله؟ فقال: كقولك يرحمك الله. اه.

فانظر في أحوال هؤلاء الرّجال في المحبّة والأخوّة كيف كانت، ونحن إذا تكلّمنا معكم بالنّصيحة في الدّين بالكلام الّذي يثقل

على النّفوس يحصل لكم غيض كبير، وتحدّثكم أنفسكم بمثل ما قال الفقيه الذي كان مع أبي يزيد رضي الله عنه ثلاثين سنة يطلب سلوك الطّريق، فقال له ذات يوم يا سيّدي: من جاء قبلي قضى حاجته، ومن جاء بعدي قضى حاجته، إلّا أنا؟ فقال له أبو يزيد: إن شئت قضاء حاجتك فاحلق لحيتك واجعل مخلّاة من الجوز في عنقك، واخرج إلى أزقة بسطام وقل للصّبيان: من يصفعني أعطيه جوزة، فقال الفقيه: سبحان الله لمثلي يقال هذا؟ فخاب سعيه والعياذ بالله. نسأل الله السّلامة والعافية. ومع ذلك أنتم تدّعون المشيخة الحقيقيّة والمعرفة الكاملة، واذا استمعتم ما يؤلم النّفس من الجلاليّات يحصل لكم القبض الكبير، حتّى يقع منكم ما يشير الى العداوة. وأمّا تلميذ أبي يزيد البسطامي الّذي حصل منه ذلك فهو رجل ظاهره ما أحبّ رياسة، [و][1]ليس له معرفة بعلم الباطن الّذي لا يحصل إلّا بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان دون دعوى(**نهاية ص 199**) وقلقلة لسان. والله المستعان على ما يصف أهل الدّعاوى العريضة، والسّلام.

## [تفسير آية: «وكَذَلِكَ نُري إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والَارْضِ» بالإشارة:]

اعلم أنّه قد سألني بعض الإخوان عن معنى قوله تعالى: «وكَذَلِكَ نُري إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والَارْضِ»[2]، من باب الإشارة، فأجبته بما يسّر الله. فقلت بعد الحمد لله: اعلم أنّ الولاية

1- من عندنا.

2- الانعام/ 76

جامعة لأحوال أهل السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك بداية ووسطا ونهاية، فهي مشيرة إلى مقام عين اليقين، وهو لأهل النّهاية، وإلى مقام حقّ اليقين وهو لأهل نهاية النّهاية. كما عبّر عن ذلك مشايخ الصّوفية رضي الله عنهم. وهذا كلّه في حقّ الأوليّاء.

وأمّا الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام فهم منزّهون عن ذلك، لأنّ بدايتهم هي نهاية الأوليّاء، لأنّ الحقّ تعالى تولّى تربيّتهم هو بنفسه لشرفهم وعلوّ قدرهم. إلّا أنّ مخاطبتهم بمثل هذه الآية وغيرها إنّما هو عبوديّة لهم. ولا شكّ أنّ العبودية هي الشّرف. وقال أيضا لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: «سُبْحَانَ الَّذِي اسْرَى بِعَبْدِهِ»[1]، ولم يقل بنبيّه ولا برسوله ولا غير ذلك من الأسماء، بل اختار له اسم العبد مع حصول الحرّيّة الكبيرة له، لا سيّما ما خصه به من الحرّيّة ليلة الإسراء وغيرها، لأنّه أسرى به صلّى الله عليه وسلّم بروحه وجسده ورأى من ليس كمثله شيء، وذلك بعيني رأسه، كما عند ابن عبّاس وغيره من أئمّة الدّين وإذا تحقّقت العبوديّة لأحد، وتمكّن فيها فلسيّده أن يخاطبه بما شاء تربيّة له وزيادة في الشّرف لا غير. ولنرجع إلى معنى الآية، قوله سبحانه: «وَكَذَلِكَ (نهاية ص 200) نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ»[2]، يعني بالملكوت حقائقها وجميع ما ظهر منها من عالم الحكمة وما بطن فيها من عالم القدرة، لأنّ الله تعالى كرّم الانبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام بالرّؤية للحقائق

---

1 - الاسراء/ 1

2 - الانعام/ 76-77

الإلهيّة في أنفسهم وفي كلّ شيء ليكونوا في أعلى درجة اليقين. فلذلك كانت بدايتهم هي نهاية الأولياء كما قيل. وقوله سبحانه: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً»[1]. هذا خطاب لأهل دائرة الولاية في حال سلوكهم بداية ووسطا وغاية، وهذا من باب الإشارة، والله أعلم أنّ المريد إذا تراكم عليه ليل الجهل وعظم، وأراد أن يجتهد في دفع ذلك عن مرآة قلبه بالذّكر والفرار إلى المشايخ الرّبانيّين، والوقوف عند أمرهم ونهيهم، أدّاه ذلك إلى الاستشراف على مقام الفناء في الله، فأوّل ما يظهر له بارق العلم اللّدنيّ، فيتنح له ذلك فكرة التّصديق والإيمان بنور المحاضرة حتّى يتوهّم أنّ ذلك بغيته ومراده، فإذا دفعت عليه أمواج الحسّ فيقول له خصيم نفسه: ليس هذا توحيد أهل الشّهود والعيان، وذلك هو معنى قوله: «فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ»، فيرجع حينئذ بتأييد الله إلى الاجتهاد في صقل مرآة قلبه باستعمال شرائع الطّريق، فيبرق له بارق قمر التّوحيد، وهو أقوى من بارق نجم العلم اللّدنيّ، فيقول أيضا هذا هو حاجتي فيقنع بذلك. فإذا أفل عن قلبه قمر التّوحيد بسبب وقوفه مع ذلك ورجوعه إلى الحسّ ووقوفه مع المقامات والدّرجات، فيقع في حيرة عظيمة ويقول: «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ»، (نهاية ص 201)، أي لئن لم يهدني ربّي إلى توحيده بالشّهود والعيان به منه فيه، ويخلّصني من بقايا نفسي، وشيطاني لأكوننّ من القوم الضّالّين، أي على طريق الكمال من شهود الحضرتين الكريمتين الرّبانيّة والنّبويّة، فإذا وافقه القدر رجع إلى الذّكر والفكر إن كان له شيخ ربّانيّ يسوسه في حال سيره، حتّى يقول له ها أنت وربّك، فإن جعل ذلك بتوفيق من الله قويت فكرته وطلعت عليه شمس الأحديّة

---

1 - الأنعام/ 77.

وشاهدها بالعيان فيقول أيضا إذا لم يؤيده مولاه، هذا هو غاية التّوحيد الخاصّ ونهايته، ويقف مع ذلك ويقنع به مع أنّ القناعة من الله حرمان.

فإذا أفلت عليه شمس التّوحيد بسبب ذلك الاجتهاد في محو بقايا نفسه، حتّى يحصل له الكمال التّام بالرّسوخ والتّمكين في مشاهدة الحضرتين الكريمتين، فحين يحصل له ذلك يقول لسان حاله لجميع الخواطر والهواجس والملمّات النّفسانيّة والشّيطانيّة: «يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ»[1]، لأنيّ وجّهت كلّيّتي وخبريّتي وجميع عوالمي لمشاهدة مولاي الّذي هو الظّاهر بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في جميع العوالم، ولولا ظهوره فيها لم يقع عليها وجود أبصار وحينئذ ينجو المُريد من الشّرك الخفيّ والجليّ ويحصل له الاستغراق في عين بحر الوحدة، حتّى لا يرى، ولا يسمع، ولا يجد، ولا يحسّ إلّا بها، ويكون الحجاب الأعظم حياة روحه، وروحه سرّ حقيقته، وحقيقته جامع عوالمه، كما قال ابن مشّيش رضي الله عنه[2]. فمن كان هكذا كان (نهاية ص 202) محفوظا من الأعداء الظّاهرة والباطنة، ولا يكون لهم عليهم سلطان، أي لا يكون لهم عليه حجّة، وقوله تعالى: «وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ»[3] أي إذا حاجّه تلك الأعداء بالتّخليط والتّقييد بأوحال التّوحيد وغيره. يقول لهم بعدما حصل له صفاء التّوحيد: «قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي الله

1- الانعام/ 78

2- في الصلاة المشيشية.

3- الانعام / 81

Scanned with OKEN Scanner

﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾، أي أتحاجّون في الله. والحالة أنّه قد هداني سبحانه أيضا إلى الجمع بين العبوديّة والحرّيّة بحيث لا تحجبني حرّيّتي عن عبوديّته ولا عبوديّته عن حرّيّتي، وقوله سبحانه: ﴿وَلَاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾. إنّي لا أخاف مع تأييد الله، ومع ما أعطاني من الكمال التّام ما توسوسون به من الشّرك الخفيّ، وهو مشاهدة ما سوى الله والسّكون إليه أبدا. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي﴾، أي إلى أن يشاء ربّي ذلك منّي فلا عاصم لي من أمره، لأنه: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[1]، أي أحاط علمه بكل شيء من الجلاليّات والجماليّات من حيث ظهوره بها في العوالم كلّها، فهو العالم بما ظهر منها وما بطن أزلا وأبدا وهو هو، ما هو إلا هو، وقوله: ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾، أي بتوحيد الباري جلّ جلاله بالشّهود والعيان لا بالدّليل والبرهان، ليحصل لكم الإيمان بما أنا عليه من توحيد مولاي، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾[2] أي كيف أخاف ما أشركتموه، أي الوساوس من إثبات الغيريّة مع الله، وأنا قد تحقّقت بمشاهدة مولاي بالفناء فيه والغيبة عمّا سواه، كما قال بعض العارفين: الفناء محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال. وقال آخر (نهاية ص 203): «الفناء هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدّنيا والآخرة والأحوال والدّرجات والمقامات والأذكار...» الخ[3]، وقوله: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ

---

1- طه/ 96

2- الانعام/ 82

3- تنسب العبارة لأبي سعيد بن الأعرابي(شرح ابن عبّاد النفري الرندي على متن الحكم لابن عطاء الله السكندري، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1338ه1920-م، ج1،ص19)

بـالله»[1]، أي وكيف لا تخافون من مكر الله مع أنكم أشركتم بالله مالم ينـزّل بـه عليكم سلطانا وذلك من إثبات السّوى معه، مع كونـه كالهباء في الهـواء إن فتّشته لم تجده شيئا وهـو أيضـا: «كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا»[2]، قال في الحكم: «الأكوان ثابتة بإثباته ممحوّة بأحديّة ذاته»[3] وقد حجبتم عن مولاكم بسبب الآثار، قال في الحكم: «...فمن رأى الكون ولم يشاهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد اعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار»[4]، وقوله تعالى: «فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»[5]، أي الفريقين منّي ومنكم، أي الوساوس أحقّ بالأمن من مكر الله، أي هل أنا أحقّ بذلك لتأييد مولاي وتوفيقه إيّاي وإكرامه لي بالرّسوخ في معرفته وتوحيده بالشّهود والعيان، وعدم التفاتي إلى وجود ما سواه معه البتّه أم أنتم على ما أنتم عليه من الإشراك المؤدّي إلى العطب والهلاك؟. وقوله سبحانه: «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، أي كنتم تعلمون حقيقة ذلك. ثمّ بيّن سبحانه من هو أحقّ بالأمن من الفريقين فقال: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»[6]، أي الّذين آمنوا به على نعت الشّهود والعيان وهم الّذين جمعوا بين الحضرتين الكريمتين كما سبق.

---

1 - الانعام/ 82

2 - النور/ 38

3 - الحكمة الحادية والأربعون بعد المائة.

4 - الحكمة الرابعة عشر.

5 -الانعام/ 82

6 - الانعام/ 83

وقد قال أبو العبّاس المرسيّ رضي الله عنه: لي أربعون سنة ما حجبت عن الله ولو غاب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (نهاية ص 204) طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. إلى غير ذلك من كلام المحقّقين رضي الله عنهم.

فهؤلاء هم المهتدون إلى الأمن من مشاهدة ما ليس بصواب، وإن خطر ببالهم خاطر فهو كالنّقش في الماء. قال الله العظيم: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ»[1]، وقوله تعالى: «وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ»، أي لم يخلطوا إيمانهم بظلم وهو إشراك ما سواه معه، أولئك لهم الأمن أي من مكر الله. وهم مهتدون مرشدون الى الطّريق الموصلة الى الله. وأمّا ما عدا هذا الفريق وهم الذين ألبسوا إيمانهم بظلم التّخليط كالقدريّة والمجسّمة، وأهل الحلول والاتّحاد والمرجئة وغيرهم من الطّوائف الضّالّة الّذين كانوا رعيّة للأعداء الأربعة الملازمة للقلوب، وهي: النّفس والشّيطان والهوى والدّنيا فلا أمن لهم. وقوله تعالى: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»[2]، أي أعطيناها إبراهيم دالة على إثبات توحيدنا وإبطال ما يدّعيه قومه من إثبات الإلهيّة معنا، أي كما أعطينا إبراهيم هذه الحجّة على قومه، نعطيها لمن كان على قدمه أو قدم غيره من الأنبيّاء، ممّن أهّلناه لمشاهدتنا، واصطفيناه لدخول حضرتنا من الأوليّاء المخصوصين بمعرفتنا على من ينازعهم من الأعداء، وقوله سبحانه: «نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ»،

1- الاعراف/ 201-202

2- الانعام/ 84

أي الّذين بلغوا الغاية والنّهاية في سلوك الطّريق الموصلة إلينا. وقوله سبحانه: «إنَ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»، أي حكيم بأن [يضع][1] كلّ شيء في محلّه، [فيه][2] مشاهدته، ومعرفته لمن هو أهل لها، ويمنعها ممّن لم يكن أهلا لها، عليم بمن يكون محلّا لكتمان سرّه وبمن يكون أهلا لإفشائه وإذاعته (نهاية ص 205) لغيره، والسّلام

## [حسن الخلق ومنزلته في التّربية الصّوفية:]

اعلم أنّ معظم الأوصاف الّتي مدح الله بها نبيّه صلّى الله عليه وسلّم وجميع أنبيّائه عليهم السّلام وأوليّاءه رضي الله عنهم، هو حسن الخلق، قال الله تعالى في كتابه العزيز لنبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»[3]، وقال تعالى أيضا: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ»[4]، فسأل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن معنى هذه الآية فقال له: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتَعْفُو عَمَنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ»[5]، وقال

1 – ب: ساقطة.

2 – ب: فيعطي، وهو الأصح.

3 – القلم/ 4.

4 – الاعراف/ 199.

5 – روي بألفاظ مختلفة بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، والآخر ضعيف جدا، وفيها الموضوع، وكلها تصب في الأمر بصلة قاطع الرحم، والعفو عن الظالم، والصفح عن المذنب (لمزيد من التفصيل ينظر: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق مشهود بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، 1424، كتاب البر والصلة، باب الترغيب في صلة الرحم وإن قطعت والترهيب من قطعها، ص952-959).

له أيضا: «وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ»(1) وقال له أيضا: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ»(2)...إلى غير ذلك من الآي [الّتي نزلت مُحَضِّضَة](3) له صلّى الله عليه وسلم على حسن الخلق، ودالّة على علوّ مقامه على جميع الخلق.

واعلموا أنّ حسن الخلق له بداية ووسط وغاية، وذلك على حسب مراتب الرّجال في وسع دائرة الولاية. فبدايته كظم الغيض، والصّبر على المضارّ، وفقد المنافع. قال الله العظيم في كتابه العزيز: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»(4)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من كظم غيظا يقدر على تنفيذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا»(5). ووسطه الصّبر على من ظلمك وعدم مقابلتك له لا ظاهرا ولا باطنا، كما كان الحسن بن علي كرّم الله وجهه، وذلك أنّه إذا شرع أحد في إيذائه يسكت عنه حتّى يَشفي غيظه، ثمّ يقول له: عافاك الله ما حاجتك وما تريد أن نقضيه لك؟. وتارة كان يعطي أحد أصحابه نحو أربعين دينارا ويقول له: اذهب إلى فلان (**نهاية ص 206**) فيذهب بها إليه، وكذلك من كان على قدمه من الأوليّاء، كما روى عن سيدي أحمد الرّفاعي رضي الله عنه: أنّ بعض العلماء كان يبالغ في سبّه حتّى يقول له في مَكاتِبه: يا أعور الدّجال، يا كلب بن

---

1- القصص/ 77.

2- النحل/ 127.

3- ب:الذي نزل محضضا

4- ءال عمران/ 134.

5- رواه الترميذي بلفظ: «من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتّى يخيره في أي الحور شاء»، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب(الجامع الكبير3/ 447، باب كظم الغيظ، ح2021).

Scanned with OKEN Scanner

كلب. فيجيبه رضي الله عنه بأن يقول له: الله خلقني كما تقول. ويبعث له ما تيسّر من الدّنيا[1]. حتّى تاب وحسنت توبته. وروي أيضا عن مالك بن دينار[2] رضي الله عنه، أنّه سُرِق إزاره في الحرم فكان يطوف ويقول: اللهم اغفر لسارق إزاري. فقيل له في ذلك فقال: استحييت أن يكون حظي منه الخير وحظه منّي الشر. وروي أيضا عن عبد الله بن المبارك[3] رحمه الله أنّه قيل له: إنّ فلانا اغتابك فملأ طبقا من التّمر وبعث به إليه. فقيل له في ذلك. فقال: لأنّه أهدى إليّ أفضل ما عنده، وهي الحسنات فأهديت إليه أفضل ما عندي وهو التّمر. إلى غير ذلك من أحوال الرّجال البالغين. وغايته هي الإحسان لمن ظلمك مع تحمّل إذايته وكفّ إذايتك عنه، لأنّه هو قطب التّصوف كما هو معلوم عند مشايخ التّحقيق رضي الله عنهم. ولا بدّ، ولابدّ يا أخي أن تتخلّق بهذه الأخلاق الشّريفة، وتَحقَّق بها لعلّك تكون من أهلها، وتدرك بسببها أعلى مقامات دائرة الولاية الكبرى.

ولا شكّ أنّك إذا ظفرت بذلك يكفيك قليل الأعمال والله على ما نقول وكيل. فاجتهد في استعمال حسن الخلق ولولم

---

1 - ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج1، ص 192.

2 - مالك بن دينار: هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري. قال الذهبي: علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف، حدث عنه سعيد بن جبير والحسن البصري وآخرين. وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة وطائفة سواه. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري. توفى سنة سبع وعشرين ومائة وقال ابن المديني سنة ثلاثين ومائة.

3 - عبد الله بن المبارك المروزي (118 ه - 181 ه) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية، من كتبه: الزهد والرقائق، كتاب الجهاد وله مؤلفات اخرى لم تطبع بعد.

Scanned with OKEN Scanner

يحصل لك إلّا بدايته لكانت كافيّة، لأن الله تعالى قال: «والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ»[1]، وقال أيضا: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[2]، فأحرى إذا قوّاك الله على السّلوك وحصّلت منه المقام الأوسط، وهو مقام العفو كما قال الله تعالى(نهاية ص 207): «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ»[3]، وأحرى وأولى إن زجّك الله إلى الغاية منه وهو مقام الإحسان، كما قال الله تعالى: «وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»[4]، والسّلام.

## [سوء الأدب مع المشايخ وعواقبه:]

اعلموا - علّمكم الله خيرا ووقاكم شرّا- أنّي خفت عليكم غاية من السّلب بعد العطاء والعياذ بالله، وذلك لأنّ سوء الأدب مع المشايخ عطب كبير وقطيعة عظيمة، ومعظمه هو انقطاع المُريد حتّى يتوهّم النّاس في ذلك العداوة، بل هو العداوة والعيّاذ بالله، لأنّ صاحب هذه الحالة عادَ لنفسه وشيطانه وهواه، وهذه الأعداء قطعت كثيرا من الرّجال بعد الاستشراف على مقامات الولاية الكبرى، نسأل الله السّلامة والعافيّة.

وأعلمكم أيضا أنّ ما أنتم عليه من اتّباع هوى النّفس ورأيها وتدبيرها في أمر المعيشة ويظهر لكم بحسب نظركم أنّه حسن، وتركتم ما تحتاجون إليه من السّير والسّلوك في مقامات النّفس الزّكية والمطمئنّة والرّاضية والمرضيّة مع زعمكم في ذلك عن صواب. لا والله ما أنتم إلّا في بُعد كبير وانقطاع كبير عن

1 - ءال عمرن/ 146

2 - الزمر/ 11

3 - ءال عمران/ 134

4 - ءال عمران/ 134

طريق أهل الله. لأنّ النّور الّذي يحصل لكم في تلك المراتب لا يكون إلّا على يد المشايخ الرّبّانيّين مع شرط كونكم عند أمرهم ونهيّهم بحيث لا تخالفونهم في نَفَس من أنفاسكم. وأمّا من لم يخالف نفسه في شهواته واتّباع هواها وتدبيرها واختيارها فهو عابد هواه لا محالة. ومن كان عبد هواه فأوليّاء الله بَرَاءٌ منه. قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»[1]، فهذا ما ظهر لنا في عقوق الأستاذِين والعياذ بالله.

واعلموا أيضا أنّ أعظم المصائب هو ما يصيب (**نهاية ص 209**) المُريد في باطنه. وأمّا ما يصيبه في ظاهره فلا عبرة به، فتوبوا إلى الله يا عباد الله من مخالفة المشايخ الرّبّانيّين، وارجعوا إلى نظرهم بالخروج عن نظركم بالكلّيّة.

## [شروط صحبة المشايخ واتّباعهم:]

وأعلمكم أيضا أنّ معرفة المشايخ الرّبّانيّين كنز عظيم في الدّنيا والآخرة، فمن عثر عليها، وساعده القدر في اتّباعهم فهو من المختارين من اللوح المحفوظ، كما جاء في كلام الشّيخ عليّ الجمل، رحمه الله، في بيان فضل ذلك. قال رضي الله عنه: معرفتك للوليّ الّذي يشاهد المولى تقوم لك بمقام مشاهدة المولى، لأنّ الوليّ الّذي يشاهد المولى لم يبق له إلّا خيال العبوديّة يشاهده العموم، فأمّا هو في نفسه فلم يشاهده، هو الحقّ شاهَد نفسه بنفسه في نفسه، وهو المتكلّم لنفسه بنفسه في نفسه، وهو السّميع لنفسه بنفسه في نفسه ا.ه.

واسمعوا أيضا ما قال أئمّة الصّوفيّة رضي الله عنهم في شرط الصّحبة، واسمعوا ما قال الشّيخ ابن العربي الحاتمي رحمه الله:

---

1 - الجاثية/ 22

شرط المُريد مع الشّيخ أن لا تكون له إرادة معه، ومتى كانت له إرادة فهو صاحب هوى، وهو مع نفسه لا مع شيخه، فينبغي للمُريد أن يكون مع شيخه كالميّت بين يدي الغاسل لا تدبير له في نفسه، ولا يدفع عن نفسه ما يريد به أستاذه، فيبقى المُريد مع الشّيخ على ما يريده الشّيخ إلى آخر كلامه. وقال الشّيخ ابو القاسم القشيريّ رحمه الله: فشرط المُريد أن لا يتنفّس نفسا إلّا بإذن شيخه، ومن خالف شيخه في نفس سرّا أو جهرا فسيرى غيّه من غير ما يجيئه من القطيعة سريعا. ومخالفة الشّيوخ فيما يستسرّونه منهم (نهاية ص 209) أشدّ ممّا يكابدونه بالجهر وأكثر، لأنّ هذا يلتحق بالخيانة، ومن خالف شيخه لا يشمّ رائحة الصّدق[1]. وقالوا أيضا: من لم يكن من الطّالبين لهذا الشّأن، والمُريدين لسّلوك طريق القوم متّصفا متحلّيا بسلب الإرادة لشّيخه والاستسلام لرأيه في جميع تصاريفه، و[أسلم][2] نفسه إليه، بحيث لا يتصرّف في نفسه وجميع أموره إلّا بمراجعته وأمره، فهو في غاية نهاية البعد عن أن يحصل له شيء من هذا الطّريق ويشمّ لها رائحة. وقالوا أيضا: المُريد الصّادق يفوّض أمره إلى شيخه لا يخالفه أبدا في شيء، ويعلم أن نفعه في خطأ شيخه أن لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه أن لو أصاب.[3] إ.ه. إلى غير ذلك من كلام أهل الله في هذا المعنى. وهذا هو الّذي سلب المُريدين نور الإرادة وقطعهم عن الله ويحسبون أنّهم على شيء من وجود الدّعوى. فتوبوا إلى الله ولا بدّ، ولا بدّ ممّا أنتم عليه من المخالفة. وإيّاكم ثمّ إيّاكم أن تسمعوا لشيطان الإنس والجن ولو كانوا

1 – ينظر: أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مصدر مذكور، ص427.

2 – أ: إسلام، والأصوب ما في ب.

3 – ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية، مصدر مذكور، ص176.

Scanned with OKEN Scanner

من الأقارب، لأنّ شيطان الإنس أعظم من شيطان الجنّ في قطع الإنسان عن طريق الله.

واعلموا أنّي أحبّكم أن تنتبهوا لقول الشّيخ أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه حيث قال:

يَا تَائِهاً فِي مَهْمَةٍ عَنْ سِرِّهِ ... أُنْظُرْ تَجِدْ فِيكَ الوُجُودَ بِأَسْرِهِ
أَنْتَ الكَمَالُ طَرِيقَةً وَحَقِيقَةً ... يَا جَامِعاً سِرَّ الإِلَهِ بَأَسْرِهِ[1]

كيف جمع فيه إبطال دعوة المدّعين لاتباع علم الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وذلك أنّ التّائه في اتّباع هوى نفسه في شهواتها وحظوظها في المهام الخاليّة من إخلاص التّوحيد لله تعالى لا حظّ له في كشف الكنز المدفون في الموجودات (**نهاية ص 210**) بأسرها وهو فقير إذ هو ضالّ مضلّ لا عبرة بعلمه ولا بعمله. وانظر يا أخي بعين قلبك وروحك وسرّك وتأمّل ذلك، فإنّك تجد فيك الوجود بأسره علّوه وسفله، لطيفه وكثيفة، ملكه وملكوته، وجبروته ورحموته، وغير ذلك من العوالم العلويّة والسّفليّة، لأنّك أنت خليفة مولاك على صورته كما في الحديث الشّريف: «إنّ الله خلق آدم على صورة الرّحمن»[2]. إذ لا شكّ أنّ كمال سّر الرّبوبيّة مجموع فيك لا تفتقر إلى مشاهدته في وجود سواك من العوالم بأسرها، لأنّك جامع لأسرار الرّبوبيّة من العمى، والوحدة والأحديّة والواحديّة، وما حجبك عن ذلك إلّا اتّباع هوى النّفس، ولو خالفت هواك لأنتج لك العلم الوهبيّ، وبسبب ذلك يحصل لك اليقين الكبير، واليقين الكبير يزجّك إلى حضرة الكبير المتعال منك فيك من غير

1 - أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصدر مذكور، ص519-520.

2 - مرّ تخريجه.

افتقار إلى سواك، فهذا معنى قوله: «يا تائها في مهمّة عن سرّه» المتين. فعليك بالقول والعمل والذّكر والفكر.

ولا شكّ أنّ من لم يكن له ذكر هو في المهمّة الخاليّة. وإيّاك أن تقنع بما دونه من العلوم والأعمال الظّاهرة لأنّها حجُب عظام عما سواها. كما قال أئمّة الدّين رضي الله عنهم: أشدّ النّاس حجابا على الله العلماء ثم العبّاد ثم الزُّهاد، لا سيّما من يتوسّط بذلك بالمعيشة الدّنيويّة والعياذ بالله. والله يا أخي لو كُشف لك عن أسرارك المدفونة فيك لمدّك مولاك بأوصافك العاليّة منك فيك، ويكون باطنك حريّة محضة. فظاهرك عبوديّة محضة في أعين عوامّ النّاس. وأمّا أنت إن حصل لك الكمال فتكون عبوديّتُك حرّيّتك عينُ عبوديّتك، وعبوديّتُك عينُ حرّيّتك، وحينئذ تشاهد حرّيّتك قريبة في بعدها بعيدة في قربها قويّة في ضَعفها (نهاية ص 211) ضعيفة في قوّتها... الخ. بحيث لا تحجبك تلوّناتها في جميع أوصافها وهي هي، ما هي إلّا هي ومع ذلك فمن عظيم سلطانه على أوليّائه كتمانهم لأسراره، إذ لو دارت ألسنتهم كما تدور قلوبهم لقيل لهم مجانين، ومن عنايته أيضا في أوليّائه المقرّبين ملاقاتهم للمشايخ الرّبّانيّين واجتباؤهم على أيديهم إلى حضرته: «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ»[1]، وقد قال ابن الفارض:

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ      وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمٌ[2]

والأصل في نشأة الانسان قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»[3] فهو في حضرة الرّبوبيّة دائما وأصله أيضا بما أخبرنا

1 - الشورى/ 11

2 - ابن الفارض، الديوان، مصدر مذكور، ص 143.

3 - ص/ 71

به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو قوله: «أنا يعسوب الارواح»[1] أي أهلها، وقوله أيضا: «قبض قبضة من نوره فقال لها: كوني محمّدا، ومن محمّد كان ما كان وما يكون»[2]. فهذا عجب ممّن بعُد عن هذه الأسرار مع شدّة قربه منها، ومع كونه لا يقوم ولا يجلس، ولا يسمع ولا يبصر إلّا بها، ولا يسكن ولا يتحرّك إلّا بها. والله يأخذ بيد الجميع، والسّلام.

## [تفسير سورة العصر بالإشارة:]

اعلموا أنّي تأمّلت في قوله تعالى: «وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلّا الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ»[3]، فوجدتها جامعة لكلّ من كلّفه استعلى بالعبوديّة له، فمن قام بالعبوديّة لله فهو داخل في حيّز من استثناهم الله بقوله: «إِلّا الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ»، ومن لم يقم بها وأتبع نفسه هواها فهو داخل في حيّز قوله: «وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» سواء كان مسلما أو كافرا، لأنّ:

ومن أباح النّفس ما تهواه

فإنّما معبوده هواه[4]

1 - مرّ تخريجه.

2 - مرّ تخريجه.

3 - العصر / 1-2

4 - أبو العباس احمد بن محمد بن يوسف التجيبي، المعروف بابن البنا السّرقسطي.

كما في المباحث الأصليّة وقال الله العظيم في كتابه العزيز: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ»[1]. فانظروا كيف جمع الله المفسدات من حيث هي فيمن اتّخذ إلهه (نهاية ص 212) هواه، وذلك أضلّه الله عن طريقه مع وجود علمه، ومن كان على هذه الحال ودام عليه ختم الله على سمعه بظلمة الضّلال، والخروج عن الطّريق الموصلة إلى الله، حتّى لا يقدر على سماع المواعظ والزّواجر، وغير ذلك مما جاء به الكتاب والسّنّة، وحينئذ تزيد ضلالته ويكثر الختم على باطنه، حتّى تقع الظّلمة والحجاب والرّان على القلب، والعياذ بالله. فيجعل الله الغشاوة على عين القلب الّتي هي البصيرة فلا يحصل لها بها شهود نور اليقين بجميع مراتبه الثّلاثة، حتّى يُعرض عن اتّباع الحقّ، ولو كان واضحا كنار على علم. وهذا هو سبب كفر وعصيان من عصى، وهو يحسب أنّه على شيء سواء كان من المدّعين لاتّباع السّنّة وهو متّبع هوى نفسه، أو من المُريدين المدّعين الاقتداء بالمشايخ الرّبانيّين أو من المدّعين لسلوك الطّريق، وهم متّبعون لهوى نفوسهم في تزيينها لهم حبّ الشّهوات. فهؤلاء كلّهم داخلون في حيز قوله تعالى: «وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ» بلا شكّ. وأمّا قوله الله تعالى على مخالفة الهوى دائما بحيث لا يميل إلى رخصة في ذلك حتّى تمكّن حاله الّذي هو اليقين الكبير والمعرفة التّامة بالرّسوخ والتّذكير فإنّه داخل في حيّز من استثناهم الله بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، أي الّذين آمنوا إيمانا كاملا حتّى تمكّن نوره من قلوبهم، وحصلوا على مقام علم اليقين الّذي هو مقام المحاضرة، وهو الفناء في الأفعال بالشّهود والعيان، بحيث يشاهدون فعل الله تعالى في أنفسهم وفي الوجود بأسره من الجلاليّات والجماليّات،

1- الجاثية/ 22

ويسقط من نظرهم فعلهم وفعل غيرهم (نهاية ص 213) ويغيبون عن ذلك جملة ثمّ يترقّون إلى مقام علم اليقين، فيحصل لهم الفناء في الصّفات الأزليّة حتّى لا يشاهدون سواها أبدا لا في الغيب ولا في الشُّهرة، ولا في الملك ولا في الملكوت، ولا في الجلال ولا في الجمال، ثمّ يترقّون إلى مقام حقّ اليقين فيحصل لهم الفناء في الذّات والبقاء بها، حتّى لا يرون ولا يسمعون إلّا بها ويجمعون بين الفناءات الثلاثة، فيصير صاحب هذا الحال عبد الله محضا: ظاهره عبوديّة بإثبات الأعمال الصّالحات بالله، والغيبة عن مشاهدة ما سوى الله في الأقوال، والأفعال والأحوال وجميع المقامات، وحينئذ تصحّ له النّصيحة في الدّين والتّواصي بالحقّ وهو اتّباع شرائع طريق السّلوك إلى حضرة ملك الملوك والتّواصي بالصّبر، أي الثّبات على ذلك إلى الوفاة من غير تبديل ولا تغيير، وهذا النّعت هو الغالب. ومن النّاس من يحصل له الفناء في الذّات والبقاء بها من أوّل وهلة، والله أعلم.

فعليكم يا عباد الله بالانتباه واليقظة لما يبرز من عيوب النّفس ونقائصها لتكونوا من الّذين استثناهم الله وحصلوا على طريق سلوك الله المفردة الّتي كان عليها أهل الله قديما وحادثا، وإيّاكم أن تتوهّموا أنّكم لستم داخلين في عموم الإنسان الّذي أخبر الله عنه بقوله: «إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ»، فوالله ما نجا من ذلك إلّا من كان على بصيرة من الله، فاعتبروا يا عباد الله وانتبهوا وتيقّظوا لمعاني القرآن العظيم، فما نزلت آية في الكفّار والمنافقين إلّا وجرّت ذيلها على المؤمن العاصي كما روي هذا في الآيات القرآنيّة بالاستثناء، كقوله تعالى: «والعصر»، «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ»[1]، وغير ذلك. فاعلم

---

1 - التين/ 1

أنّه سبحانه ما أقسم في الحقيقة إلّا (نهاية ص 214) هو بنفسه لأنّه هو الظّاهر في الموجودات كلّها بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله. ولولا ظهوره فيها لم يقع عليها وجود أبصار كما في الحكم: «لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود إبصار»[1]، وقال الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي رضي الله عنه: الخلق كالهباء في الهواء إن فتّشتهم لم تجدهم شيئا. اه. وذلك لأنّ وجود الأشياء عدم محض بالنّسبة إلى حضور الحقّ فيها، لأنّك إذا فرَقت الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم إلى غير ذلك من كلام المشايخ رضي الله عنهم. فلذلك كان قَسَم الله بالأشياء إنّما هو قَسَم بنفسه سبحانه، إذ هو روح العوالم كلّها أي حقيقتها، وأيضا فذِكْره الأشياء في القسم إنّما هو لحكمة، إذ لولا ظهور الخَلقيّة أيضا لكانت الأسماء الخفيّة الحقيّة كنزا لم تُعرف لأنّ اسم الخلق تفرّع من اسمه سبحانه الخالق، وكذلك اسمه المصوِّر تفرّع من أسماء صور المكوِّنات بأسرها وهكذا. إذ الأسماء الخفيّة كانت كنزا لم تعرف، وحين ظهرت الخلقيّة وأسماؤها ظهرت فيها الأسماء الخفيّة، فكلّ اسم من أسمائه تعالى يطلب حقّه في الظّهور. فهذا مراد الحقّ سبحانه من ظهور الخلقيّة وإلّا لبقي كنزا لم يعرف لا ذاتا ولا صفات ولا أسماء ولا أفعالا، فلا تشرك بالله أيّها الموحّد، وتتوهّم وجود ما سواه إن كنت عاقلا، واسمع كلام أئمّة الدّين في التّوحيد الخاصّ الحاصل بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان، قال بعضهم:

هَـذَا الْوُجُـودُ وَإِنْ تَعَـدَّدَ ظَاهِرًا وَحَيَاتِكُـمْ مَـا فِيـهِ إِلَّا أَنْتُـمُ[2].

---

1 - الحكمة الثامنة والثلاثون بعد المائة

2 - البيت لنجم الدين بن إسرائيل (603ه677-م)، من قصيدته الشهيرة:» يا من يشير إليهم المتكلم»(ينظر لمزيد من التفصيل: محمد بن شاكر الكتبي-ت

وقال في العينية:

فَأنْـتَ الوَرَى حَقًّا وَأنْـتَ إمَامُنَا وَأنَّكَ مَـا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ(1)

وقال أيضا:

فَأوْصَافُـهُ وَالاسْـمُ والاثَـرُ الَّـذِي

هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الـذَّاتِ وَاللهُ جَامِعُ(2)

وقال فيها ايضا:

وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إلاَّ كَثَلْجَةٍ وَأنْـتَ لَهَا المَـاءُ الَّـذِي هُـوَ نَابِعُ

فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرَ أنِ فِي حُكْـمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ

وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأمْرُ وَاقِعُ(3)

وقال الشّيخ الشّشتري رحمه الله في بعض كلامه:

مَحْبُـوبي قَـدْ عَـمْ الوُجُـودْ

وقَـدْ ظَهَـرْ فِي بِيـضْ وسُـودْ

وفَ نْصـارَى مَـعْ يَهُـودْ

وفَ الحـروفْ وفَ النَّقَطْ(4)

---

760هـ- فـوات الوفيـات، تحقيق إحسـان عبـاس، ج3، دار صـادر، بـيروت، دت، ص380 ومـا بعدها).

1 – ~~عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، مصدر مذكور، ص~~205. عبد الكريم الجيلي

2 – المصدر نفسه، ص202.

3 – المصدر نفسه، ص205.

4 – أبو الحسن الششتري، الديوان، مصدر مذكور، ص177.

Scanned with OKEN Scanner

وأخبركم أنّ مجمع كلام أهل الله في الحقائق كلّها هو قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ والْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»(1)، فقوله هو «الأَوَّلُ» إخبار عن قدمه وحدوث العالم لقوله في الحديث القدسيّ: «كنت كنزا لم أُعرف فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأعرف فبي عرفوني»(2)، وقوله: «الآخِرُ» إخبار عن بقائه سبحانه وفناء ما سواه من توهّم وجود العالم، ومشاهدته معه، وقوله: «وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» إخبار عن عدم العالم، وتلاشيه واضمحلاله وذهابه وزواله ظاهرا وباطنا، فافهم- فهّمنا الله وإيّاك- معنى أسراره كان وما يكون، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

وأخبركم أنّي قد رأيت رؤيا كأنّها يقظة، وذلك: أنّي رأيت المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في نفسي، ثمّ رأيته على صورته الكريمة بعد استغراقي في رؤيته في نفسي، ثمّ رأيت زوجته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعها جماعة لم أعرفهم. فجلست معها ساعة، ثمّ قالت لتلك الجماعة: هذا واحد من أولادنا تشير عليّ. فلمّا استيقظت استبشرت بذلك غاية، لأنّه قد وقع بي قبل ذلك ما يشير إلى وقوع الفتن في هذه البلدة، كما كانت عادتي (نهاية ص 216) بالمغرب ونجّانا الله من ذلك، والحمد لله والشّكر لله، والسّلام.

## [تفسير آيات من سورة الأعلى بالإشارة:]

اعلموا أنّ المشايخ الرّبّانيّين أُمروا بالتّذكرة بإذن الله لمن اقتدى بهم في سلوكهم الطّريق سواء عملوا بذلك كلّه أو بعضه أولم يعملوا، لأنّ تذكير من اقتدى بهم واجب عليهم، كما أوجب الله على رسُله التّذكير والتّبليغ لأممهم سواء عملوا أو لم يعملوا. والتّذكير يكون بالتّرغيب والتّرهيب. فأمّا التّرغيب فهو بذكر ما يتفضّل الله به على أهل الصّدق والقريحة والثّبات في سلوك الطّريق من المواهب الرّبّانيّة، والعلوم اللّدنيّة والفتوحات والكرامات الّتي كأنّها معجزات، حتّى يصير صاحب هذا الحال بإذن الله يقول للشيء كن فيكون. إلى غير ذلك من الأحوال والدّرجات والمقامات، ثمّ بعد ذلك يتفضّل عليه بالوصول إلى أعلى المقامات في دائرة الولاية الكبرى، وهو دخول الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة حتّى لا يغيب عنه ذلك طرفة عين ولا أقلّ من ذلك، فبسبب هذا التّرغيب يحصل للمُريد الشّوق والمحبّة والقريحة والثّبات في سلوك الطّريق حتّى يقال له: ها أنت وربّك. وأمّا التّذكير بالتّرهيب فإنّهم يخوِّفونه بالأمور الّتي تقطعه عن السّلوك، وتردّه إلى الأعداء الّتي هي النّفس والشّيطان والهوى والدّنيا، وذلك كاتّباع هوى النّفس وعوائدها ولو قلّ، وكذلك الميل إلى الدّنيا بقلبه وجوارحه ولو قلّ، لأنّ حبّ الدّنيا والميل إليها قطيعة كبيرة، حتّى أنّه يُخاف على من كان كذلك من الكفّار. وأمّا العاصي فلا يبالي بها، وقد روي: «حب الدّنيا رأس كل خطيئة». وروي أيضا: «حب الدّنيا كاد أن يكون كفرا»[1]. فيذكِّرون المقتدي به لذلك لعلّه يخاف ويخشى (نهاية ص 217) من مخالفتهم فيما يذكرونه به من

1 - مرّ تخريجها.

الترهيب والتخويف، فمن ذلك المعنى قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلّم: «فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ»[1]، ومعناها من باب الاشارة هو أنّ الواجب على المشايخ الرّبانيين تذكرة من اقتدى بهم سواء نفعته تلك الذّكرى أو لم تنفعه، فمن سمعها على حسب ما تقدّم من التّرهيب والتّرغيب اللّذين هما من أسباب شرائع سلوك الطّريق الموصلة إلى الله يحصل له خيرها وسرّها حقّا إن سمعها بقلبه فيعمل بها بجوارحه حتّى يشاهد سرّها بالعيان. وأمّا من لم يسمعها بقلبه من الأشقياء الّذين حرمهم الله من السّير والسّلوك إلى حضرة ملك الملوك، بسبب التّراخي والتّسويف والاستهزاء والكسل والميل إلى الرخص، فحتما تستولي عليه ظلمات الغفلات عن سلوك الطّريق، ويعود في ظلمات الجهل بالله وبطريقه، حتّى يصير أصمّ أبكم أعمى. قال الله تعالى: «وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ»[2]، وهم الّذين نزل فيهم قوله تعالى: «أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ»[3]، بحيث لا يؤثّر علمه ولا عمله في غياهب قلبه بما يحيّ الله تعالى به قلوب المؤمنين الممتثلين للتّذكرة، بل يكون جاهلا مع وجود علمه مقطوعا عن الوصول إلى الله تعالى مع وجود عمله ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

فهذا حال كثير من المنتسبين الى طريق الله مع وجود دعواهم السّلوك، وهذا معنى قوله تعالى: «وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ»[4]، لأنّ نار القطيعة والغفلات (نهاية ص 218) عن

1 - الاعلى/ 9-10

2 - البقرة/ 17

3 - الجاثية/ 22

4 - الاعلى/ 11-12

سلوك الطّريق أشدّ من نار جهنّم والعياذ بالله، وقوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»[1]، أي قد فاز وغنم غنيمة كبيرة من تزكّى وسلك الطّريق بالجدّ والتّشمير في فعل شرائعها، وبادر إلى امتثال المذاكرة الّتي يسمعها من المشايخ الرّبانيّين كيف ما كانت ولو بالموت، لأنّ من قال لشيخه فيما يأمره به: «لا»، لا يفلح أبدا. وكذلك عقوقه فيما يأمره به، لا توبة له كما هو معلوم. وأمّا من امتثل وفعل ما سمع منهم من شرائع سلوك الطّريق فهو داخل في معنى قوله تعالى: «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»[2]، أي ذكر اسم ربّه ليلا ونهارا بحيث لا يفترّ عنه بلسانه مع حضور قلبه حتّى تحصل له الصّلة بينه وبين مولاه، بحيث يغيب في حضرته عن نفسه وعن الوجود بأسره، لأن الذّكر الكثير صلة بين العبد وبين ربّه، وهو المراد بقوله في الآية «فَصَلَّى»، من باب الإشارة. قال الله العظيم: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً»[3]، فهل هو السرُّ والنّور الّذي يحصل للإنسان بسبب الذّكر والتّذكرة.

وأمّا من أعرض عنها فلا يجيء منه شيء، وقوله تعالى: «بَلْ تُؤثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى»[4]، هذا خطاب لمن آثر الدّنيا وأمْر المعيشة على سلوك طريق الله، وأقام على ذلك حتّى لقي الله، ولم يسمع التّذكرة لا بالحال ولا بالمقال، ولم يحصل له الإيمان الكامل الّذي لا يكون معه شرك خفيّ ولا جليّ. فقوله: «وَالآخِرَةُ

---

1 - الشمس/ 9

2 - الأعلى/ 15

3 - الاحزاب/ 41

4 - الاعلى/ 16-17

Scanned with OKEN Scanner

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ معناه من باب الإشارة جنّة المعارف لأنّ الجنّة جنّتان: جنّة المعارف وجنّة الزّخارف (نهاية ص 219) كما قيل. فالأولى معجّلة والثّانية مؤجّلة، ومن دخل جنّة المعارف لا يشتاق لجنّة الزّخارف. هذا كلّه ترهيب في الدّنيا وترغيب في السّرّ الّذي يحصل لسالك طريق الله بالشّهود والعيان من حيث أنّه موطن الكمالات خالٍ عن الأحوال المشوبة بالأكدار المعدّة للأغيار، الحاجبة عن حضرة ذي الجلال والجمال. لأنّ ذلك هو الباقي الدّائم، وهو نعيم جنّة المعارف والمُريد الصّادق هو الّذي يُؤثِر الباقي الدّائم على الّذي يفنى ويزول. وهذا حاله دائما بخلاف محبّ الدّنيا المؤثر لها على سلوك طريق الله وطريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. نسأل الله سبحانه السّلامة والعافية.

وقوله تعالى: «إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»[1]، إنّ هذه التّذكرة وما ينشأ عنها من السّرّ والنّور لمن امتثل وخشع وخشي، وكذلك ما دلّت عليه أيضا من المكر والبعد عن الله والمقت وغير ذلك لمن يتجنّبها من الأشقيّاء والمعرضين، عن طريق الله وطريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما هي موجودة في القرآن، كذلك هي موجودة في الصّحف الأولى المنزّلة على الأنبيّاء عليهم السّلام من شيت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. كأنّ ما في الكتب المنزّلة مجموع في القرآن، وما في القرآن مجموع في الفاتحة، وما فيها مجموع في البسملة، وما فيها مجموع في الباء، وما فيها مجموع في نقطتها. فمن امتثل ما جاء به رسول الله، صلّى الله عليه

1 - الاعلى/ 18

وسلّم، امتثل لجميع ما في الكتب المنزلة، ومن لم يمتثل لما[1] جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ظاهرا وباطنا لا يجيء منه شيء. (نهاية ص 220) واسمعوا قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما خصّه الله به وخصّ به خواصّ أمّته، وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الشّريعَةُ أَقْوَالي وَالطّرِيقَةُ أَفْعَالي وَالْحَقِيقَةُ أَحْوَالي»[2]، وقال أيضا: «كُلُّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ»[3] إلى غير ذلك ممّا خصّه به مولاه من الحقائق والأسرار. فامتثلوا رحمكم الله فقد نصحتكم في الدّين على قدر طاقتي، لأنّ نصيحتي في الدّين واجبة على المؤمنين. وبعد هذا ف«إِنَ اَحْسَنتُمُ أَحْسَنتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنَ اَسَأْتُمْ فَلَهَا»[4]، كما في الآية الكريمة، والسّلام.

1 - ب: ما.

2 - الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة المقدسي، القاهرة، 1351ه، ج2، ح1532، ص4-5. قال عنه: لم أر من ذكره فضلا عن بيان حاله، نعم ذكر بعضهم أنه رآه في كتب بعض الصوفية فليراجع: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي، والمعرفة رأس مالي».

3 - في مسند أبي يعلى (ت307) حديث بمعنى الوارد في متن المؤلف مروي بإسناد صحيح: «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبكر بن أبي قحافة، ولكن صاحبكم خليل الله وأن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حدّ ومطلع» (المسند، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، دت، ح5146، ص940) ونقل الزركشي (ت794ه) الحديث الوارد في متن المؤلف دون إسناد مع بعض الإضافة: «ما نزل من القرآن ما من آية إلّا ولها ظهر وبطن ولكلّ حرف حدّ، ولكلّ حدّ مطلع» (البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الجيل، بيروت، 1408ه/ 1988م، ص169).

4 - الاسراء/ 7

## [عظمة الدّين المحمّدي:]

واعلموا رحمكم الله أنّ الدّين المحمّديّ له نور عظيم وقد اجتمعت فيه الأديان الّتي كان عليها الأنبيّاء عليهم السّلام من آدم إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم وعلى جميعهم، وكذلك المقامات العاليّة، والأحوال الزّاكيّة، والأسرار الإلهيّة الّتي تفضّل الله بها على أهل الدّائرة والولاية الكبرى من مقام الإسلام، وما احتوى عليه من الأنوار كالزّجر واليقظة والانتباه والتّوبة والاستقامة والتّقوى والصّبر والرّضا، وغير ذلك ممّا يحصل لصاحب الاستشراف على مقام علم اليقين ثمّ مقام الإيمان، وما احتوى عليه من الأنوار والأسرار والكشوفات الّتي تتجلّى على صاحب مقام المكاشفة عند وصوله إلى مقام علم اليقين الّذي هو الفناء في الصّفات. ثمّ مقام الإحسان الّذي هو الفناء في الذّات والبقاء بها. وهو الّذي عبّروا عنه بمقام اليقين، وما احتوى عليه من الأسرار والتّرقّي والزّيادة في ذلك إلى أبد الآبدين.

## [تشديد على التّمسّك بشرائع الدّين:]

فعليكم بشرائع هذا الدّين العظيم قولا وفعلا ظاهرا وباطنا، ومعظم شرائعه هو الزّهد في الدّنيا، والإعراض عنها قلبا وقالبا حتّى لا تخطر بالبال أبدا. ولا تستبعدوا هذا فانّه قد جرّب فصحّ، (نهاية ص 221) فكونوا على ذلك واعتنوا به، ولا بدّ أن تثبّتوا ليثبّت الله أقدامكم كما ثبّت أقدام الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام، وأقدام الأوليّاء رضي الله عنهم. ولتعلموا أنّه كما للدّين نورا عظيما كذلك للدّنيا ظلمة عظيمة، فلذلك اجتمعت فيها المفاسد كلّها الظّاهرة والباطنة حتّى كان منتهى أمرها الى

الكفر والعياذ بالله. لأنّ ظلمتها إذا تمكّنت من القلب ذهب منه النّور وذلك من شدّة الميل إليها والالتفات الى زينتها.

واسمعوا ما قال الله العظيم في كتابه الكريم في ذمّها وغرورها، قال تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ»[1]، وقال أيضا: «مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ»[2]، وقال تعالى أيضا: «مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ»[3]، إلى غير ذلك. وفي علمكم أنّها جنّة الكافر والمنافق. وأمّا المؤمن التّقيّ السّالك لطريق الله وطريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجنّته الدّخول في حضرة الله تعالى بدليل قوله تعالى: «والله عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ»[4]، وقوله عزّ وجلّ: «قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا»[5]. وهذا كلّه لا يحصل إلّا بدوام المذاكرة والاستغراق في الذّكر دائما، ليلا ونهارا، لأن الذّكر نور، والمذاكرة نور على نور. ومن ثمّ كانت [ظلمة][6] الجهل وظلمات حبّ الدّنيا لا يخرجان من القلب إلّا بسبب ذلك. فعليكم باتّباع من سلك الطّريق، وكان فيها على بصيرة من الله. لأنّ أقواله وأفعاله وأحواله كلّها تذكير لمن له قلب. قال الله

---

1 - ءال عمران/ 14

2 - الإسراء/ 18

3 - هود/ 15

4 - ءال عمران/ 14

5 - ءال عمران/ 15

6 - ب : ظلمات.

Scanned with OKEN Scanner

تعالى في ذلك: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ»[1]. وأمّا من لا قلب له (نهاية ص 222) ولا نيّة ولا صدق، فهو بطّال ولو كان ملازما للمشايخ الرّبانيّين، كما هو حال المنافقين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. نسأل الله السّلامة والعافية، والله الموفّق، والسّلام.

## [مرجعيات أدب المريد مع شيخه:]

[اعلموا][2] -رحمكم الله- أنّ الأصل في أدب المُريد مع الشّيخ هو قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»[3]،ففي أوّل هذه الآية ترهيب وتخويف، ووعيد لمن فعل شيئا من ذلك بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ ينسحب معناها على من فعل شيئا بحضرة المشايخ الّذين هم على قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. لأنّ لهم حظّا وقسطا بالوراثة منه صلّى الله عليه وسلّم. وأمّا آخرها وهو قوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ» ففيه ترغيب ووعد بما يحصل لمن تأدّب بذلك في حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من السّرّ والنّور والفتح والتّجاوز عن ما صدر منه، من غير قصد وإصرار، ثمّ يكون من

1 - ق/ 37

2 - أ:ساقطة.

3 - الحجرات:1-3

ذلك شرب ونصيب لمن تأدّب بين يدي المشايخ أيضا، الّذين هم على قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. رزقنا الله وإيّاكم حسن الأدب مع الله، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومع المشايخ الرّبّانيّين بجاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والسّلام.

وأيضا فإنّ المشايخ في حضرة الله وفي حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دائما. فلذلك وجب الأدب معهم قولا وفعلا وحالا. وبسبب ذلك يحصل للمريد الفناء حتّى لا يشاهد سواهم في الغيب والحضور، ثمّ بعد هذا يحصل الفناء في الله وفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (نهاية ص 223) حتّى لا يحجب عن مشاهدتها طرفة عين. فهذا هو السّرّ الّذي يحصل للمُريد بسبب الأدب مع المشايخ والله الموفّق، والسّلام.

## [في بيان حقيقة الوليّ الكامل:]

واعلم أنّ حقيقة الوليّ الكامل الّذي يكون أهلا للمشيخة قد تكلّم عليها جلّ الاكابر واستُدلَّ عليها بآيات وأحاديث، فمن الآيات قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ»[1]، وقوله عزّ وجلّ: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»[2]، ومن الأحاديث قوله صلّى الله عليه وسلّم: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[3]،

1 - فاطر/ 32

2 - المجادلة/ 11

3 - رواه الترميذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه(الجامع الكبير ج٩

وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[1]، وذلك كلّه إشارة إلى أهل المعرفة بالله الجامعين بين الشّريعة والحقيقة من غير ميل إلى إحدى الجهتين، جعلوا الشّريعة في ظواهرهم اقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أقواله وأفعاله، لأنّهم في حضرته صلّى الله عليه وسلّم، دائما يشاهدونه بالعيان، فلا يقدرون على مخالفته في شيء من ذلك، وجعلوا الحقيقة في بواطنهم اقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيضا، بحيث يشاهدونها في المضارّ والمنافع، أو نقول في الجلاليّات والجماليّات بالذّوق والوجدان فلا يقدرون على مشاهدة من سواه في جميع تجلّياته، وتلوّنات خمرته مع الرّسوخ والتّفكير. فهؤلاء العلماء حقيقة لا غير، والّذي يوضّح ذلك ويبيّن ما عليه العلماء بالله من حقائق التّوحيد قوله تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ»[2]. فتأمّل ما أشارت إليه هذه الهويّة من إطلاق تجلّيها فيما ظهر وما بطن. فهذا هو حال أهل العلم به وذلك(نهاية ص 224) وراثة منهم للأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام، وهي مرتبة رفيعة على سائر الخلق، ولذلك أوجب الله عليهم التّقدّم لهداية خلقه.

ومن أحسن ما رأيناه في حق الوليّ ورفيع قدره، ما ذكره الشّيخ أبو محمد[3] صاحب «بغية السّالك في أشرف المسالك»، وذلك أنّه

---

باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة،ح2682، ص413-414)

1 - قال الدُّميريُّ والعسقلاني لا أصل له، وكذا قال الزركشي، وسكت عنه السيوطي.(الأسرار المرفوعة، ح298، ص247).

2 - ءال عمران/ 18

3 - محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المالقي الساحلي(سبقت ترجمته).

قال في: «الفصل الثّاني في أحكام المشيخة والتّلمذة» إلى أن قال: «وقد جاء الخبر أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ وَيُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ وَيَمْشُونَ فِي الأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ»*[1]. وإذا نظرت وتأمّلت هذه الرّتبة العليّة والمزيّة الرّفيعة، فإنّك لا تجدها بكمالها على ما ينبغي من شروطها إلّا في مشايخ التّربيّة الظّافرين بمعرفة الله الفائزين بولاية الله، المنقطعين إلى الله».

إلى أن قال: «ومثال القدوة العالم العارف الرّبّانيّ كصاحب علم الكيمياء، كما أن الكيميائيّ يأخذ القصدير والنّحاس ونحوهما فيعالج ذلك بعلاجات حتّى يذهب عنه الانحراف الّذي أصابه فأخرجه عن الاعتدال الّذي يكون عند الذّهب الخالص، ثمّ لا يزال يدير ذلك بسياسة الحكمة حتّى تَذهَب علله ويتخلّص ذهبا طيّعا عتيقا. كذلك الوارث الرّبّانيّ يعمد إلى من أحاطت به علله حتّى أخرجته عن الاعتدال الذي تكون به المعرفة التامة، فيعالجه بعلاجات حتّى يذهب عنه ذلك الانحراف. ولا يزال يسوسه بسياسة الحكمة، ووظائف الشّرع حتّى تذهب علله ويتخلّص عارفا محقّقا. فكما أنّ الكيميائيّ يخلّص الذّهب من العلل الطارئة على النفس، كذلك الوارث الرباني يخلّص العارف من العلل الطّارئة على النّفس فمن كان بهذا المثَابة هو جدير أن يُعرف له حقّه وأن يَدرِيَ رفيعَ شأنه (نهاية ص 225)، فتُحفظَ له حقوقه، ويُجتهَد في ضبط الأدب معه. فإذا تقرّر هذا فيشترط في الشّيخ الوارث شروط وترتّب له حقوق. أمّا شروطه الّتي تشترط فيه فأربعة:

1 * مرّ تخريجه.

الأولى: أن يكون مخلّصا من هواه قد ملك زمام نفسه بالطّهارة حتّى صارت نورا يهتدى بها، وتتجلّى الحقائق فيها حين خرجت من أطوار الأهواء الجسمانيّة، حتّى أنّه إذا تكلّم، تكلّم بالله، وإذا صمت، صمت بالله، وإذا نظر، نظر بالله، وإذا تحرّك، تحرّك بالله، وإذا سكن، سكن بالله، كما ورد في بعض الأحاديث عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم في ما يحكيه عن ربّه عزّ وجلّ أنه قال: «إِذَا كَانَ الغَالِبُ عَلَى عَبْدِي الاشْتِغَالُ بِي، جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي، وَإِذَا جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي أَحَبَّنِي وَأَحْبَبْتُهُ وَرَفَعْتُ الحُجُبَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَا يَسْهُو إِذَا سَهَا النَّاسُ، أُولَئِكَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَنْبِيَاءِ، أُولَئِكَ الأَبْطَالُ حَقًّا، أُولَئِكَ الّذِينَ إِذَا أُرِيدَ بِأَهْلِ الأَرْضِ عُقُوبَةً ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُهُ عَنْهُمْ»[1]، فإذا لم يكن القدوة بهذه المثابة من المعرفة بالله تعالى حتّى صار على بيّنة من ربّه فهو ناقص، ربّما ضلّ وأضلّ. واشتغاله بنفسه أولى له. نعم، قد يكون أخا في الله متّخذا للمناصحة من غير أن يسلم له زمام الأحكام.

الثّاني: أن يكون خلاصم من نفسه على يدي غيره لا بنفسه. ومعنى أن يقطع المقامات ويرقى في المنازل على يدي وارث كامل حتّى يتزكّى من علله. والإنسان عاجز على سياسة نفسه بنفسه لما جُبل عليه من حبّها وحسن الظّنّ بها والميل مع هواها، فربّما غاب

1 - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن الحسن البصري، وهو حديث مرسل، وقد أخرجه صاحب الكنز ببعض التطويل. يقول الله عزّ وجل: «إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي، جعلت بغيته ولذته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذته في ذكري عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب بيني وبينه، وصيّرت ذلك تغالبا منه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّا، أولئك الذين إذ أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم، فصرفت ذلك عنهم» (علاء الدين علي المتقي الهندي، ت975ه، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكري حيّاني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة،ج1، بيروت،1405ه/ 1985م، ح872، ص433-434).

عنه من علله ما لا يغيب عن غيره، ولذلك الإشارة بقوله صلاة الله وسلامه عليه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «المؤمن مرآة المؤمن»[1]. وقال بعضهم (نهاية ص226): «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي». فإذا سلك على يد وارث حتّى تخلّص من تبعات علل نفسه وأجاد تصْفيّتَها حتّى اطمأنّت بالله فملك زمامها، وكانت فيه أهليّة لهداية غيره، وإلّا كان نفعه مقصورا على نفسه.

الثّالث: أن يكون له من الكتاب والسّنّة ما يقيم به ما لا بدّ منه من الرّسوم الشّرعية، وما يبني عليه وظائف سلوكه، وإذا انضاف ذلك إلى ما فتح الله به عليه من الحكمة في باطنه، فإنه يكون له من ذلك نور يمشي به في النّاس، ويهديه إلى فهم أسرار الخطابات الكتاب والسنة، فتكون له من ذلك قوة إلهية تهديه إلى فهم أسرار الشريعة وحقائق العبادات. وإذا كان بهده المثابة فليس من شرطه أن يكون فصيح اللّسان باصطلاحات أهل الرّسوم، إذ يقذِف الله في باطنه من أنوار اختصاصه، وآثار حكمته ما تتجلّى له به المعاني حتّى يعبِّر عنها بألفاظ مؤوِّلة تقتضي الاشارة إلى بعض المراد، فيفهم عنه في ذلك ما يفيد ثلج اليقين، حتّى يُهتدى إلى العمل بمقتضاه بسهولة ويسر. حدّثني أبي[2] رضي الله عنه قال: كان الشّيخ أبو القاسم المريد[3] رضي

---

1 - في رواية الترميذي: «إنّ أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه» (الجامع الكبير، المجلد الثالث، باب شفقة المسلم على المسلم، ح1929، ص486).

2 - الوالد حسب الترجمة التي أوردها صاحب بغية السالك، هو: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم أبو عبد الله الأنصاري الساحلي المالقي المولود سنة649ه بمالقة، صوفي تربى على يدي الشيخ أبي القاسم المريد وأبي عمران البردعي(سترد ترجمتها).(ص125)

3 - أبو القاسم المريد(595ه- 683ه) هو قاسم بن محمد بن يحي أبو محمد

الله عنه أمّيّا لا يحفظ من القرآن إلّا بعض سور المفّصل، وكان من أصحابه العلماء والفقهاء، فربّما تقع بينهم المسألة العلميّة، فيتكلّم فيها بما يعجزون عن الإتيان بمثله حتّى يرتفع عنهم الإشكال، ويتّضح عندهم بكلامه حقيقة المسألة. ثمّ قال لي أبي: ولقد كنت أحضر مع أصحابنا فتقع بينهم المسألة فيتكلّمون فيها بأشياء، فأجد في باطني من حقائق تلك المسألة وأسرارها ما يقضي بغاية البيان، ويفيد ثلج اليقين، ثمّ تترادف على باطني فيها أوجه عدّة كلّها يكشف عن أسرارها، ولا يوجد مثلها في الكتب، وما يمنعني أن نقول بها إلّا جهاد النّفس على علّة الظّهور إذ ذاك. وذلك أنّ الباطن بقدر ما(نهاية ص 227) بداخله من أنوار المعرفة تتجلّى فيه أسرار الحقائق، وحقائق الأسرار، فلا ينفث إلّا عن الحقائق والأسرار.

الرّابع: أن يكون مديد الباع في مطالعة أسرار السّنة شديد التّصميم على المحافظة على أحكام الظّاهر والباطن، حتّى لا يظهر عليه إلّا ما يوافق السّنّة، ولا يخالف الشّريعة وما تضيق عنه العبارة من أسرار التّوحيد الى المألوف المعروف من أمور الشّريعة، بنسبة حسنة جامعة بينهما حتّى يكسو الحقائق ملابس الشّرع، فيعبّر بذلك عنه فلا يهتك ستر الأدب، ولا يخرق حجاب حفظ الأسرار، وليخاطب كلّ إنسان على قدر عقله وفهمه وإدراكه وتمكينه، فهذا من شيم الرّبّاني الحقيقيّ العارف. قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم «خاطبوا النّاس على قدر عقولهم»[1]. ولم يزل هذا مألوفا من الشّرع، وقد بوّب البخاري

---

اللخمي اللوشي، متصوف، أمي، ظهرت له كرامات، وأعاجيب ضمنها صاحب بغية السالك مؤلّفه، وهو شيخ التربية لوالده(ص129).

1 - في رواية البخاري: قال عليّ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب

لذلك باب: «من ترك بعض[الاختيار][1] مخافة أن يقصر فهم بعض النّاس فيقعوا في أشدّ منه»، ثمّ أورد حديث عائشة في نقض الكعبة[2]، وبوّب إثر ذلك باب: «من خصّ بالعلم[قوما][3] دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، ثمّ أورد حديث معاذ بن جبل في تحريم النّار على من اعترف بالشّهادتين صدقا من قلبه[4]. ومن هنا يظهر لك أنّ العلم على قسمين: علم العامّة، وهو العلم العام، وعلم الخاصّة وهو العلم الخاص[وأمّا الحقوق][5]المرتبة للقدوة بأربعة:

**الأوّل:** المحافظة على توقيره بالتزام الأدب معه في جميع الحركات والسّكنات، فلا يقطع عليه كلام ولا يتكلّم بحضرته إلّا عن إذنه، ولا يتصرّف في شيء إلّا بأمره ومشورته، ولا يرفع صوته في محلّه، ولا يكثر الضّحك، ولا يسترسل (نهاية ص 228) في الكلام، وإن

---

الله ورسوله؟»(الصحيح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح127، ص45).

1 – الإضافة منّا حتى يتوافق وتبويب البخاري لأن صاحب بغية السالك قال الاختبار، والمؤلف نقصت عنده كلمة ترك، والأصوب ما أثبت، وفق العنوان الموجود في صحيح البخاري.

2 –«يا عائشة لولا قومك حديثٌ عهدُهم – قال ابن الزبير: بكفر – لنقضت الكعبة، وجعلت لها بابين: باب يَدخُلُ الناس، وباب يخرجون» ففعله ابن الزبير. (الصحيح، ح126، ص45).

3 – وردت الكلمة في بغية السالك مجرورة ولعله سهو من الناسخ، وفي متن المؤلف سقطت كلمة علم.

4 –يشير إلى الحديث الذي سمعه أنس بن مالك من النبي(ص): «من لقي الله لا يشرك به دخل الجنة» (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح129، ص45)

5 – نقص في المتن تمّ إكماله من المصدر(مخطوط بغية السالك)

Scanned with OKEN Scanner

يتلمّح إشاراته فيعمل بحسبها، وقد قيل من الأدب مع القدوة ألّا يخاطبه إلّا باستفهام كما فعل موسى مع الخضر عليهما السّلام حين استعطفه مستفهما في قوله: «هل اتّبعك على أن تعلمني مما علمت منه رشدا» ولم يقل له: أريد أن أتّبعك ولا قصدت اتّباعك ونحو ذلك. من الأدب ألا يتقدّم بين يديه إلّا في مواضع مخصوصة، منها: المواضع الّتي تُتّقى، والخروج من المسجد، والهبوط في الدّرج ونحو ذلك. وقد روي عن أبي الدرداء قال:كنت يوما أمشي أمام أبي بكر الصّديق رضي الله عنه فرآني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «أتمشي أمام من هو خير منك في الدّنيا والآخرة»[1]. ومن علم فضل القدوة هداه علمه إلى المحافظة على حسن الأدب معه فيما قلّ وجلّ، وبالله التّوفيق.

**الثّاني**: حسن الظّنّ بالقدوة في القليل والكثير، والخطير والحقير، والحركات والسّكنات، وفيما عُلم أو جُهل وأُشكِل، لأنّ التّلميذ من نَقْصِ نظر نفسِه على يقينٍ من كَمَالِ نَظَرِ قدوتِه، على علم فمّا تحقّق التعليم التّلميذ الحقّ فيه جرى عليه، وما أُعْمِي عليه وأشكل صرفه إلى حسن نظر القدوة وأسنده إلى حكمته. فليس كلّ الحِكم تظهر لجميع النّاس، ولا أسرار الأحوال تبدو للكافّة. فلينظر جميع ما يصدر عن القدوة بعين الرّضا ولا يتّهمه في شيء، وقد قالوا: من قال لشيخه:لِمَ؟ فإنّه لا يفلح، أي لا يحصل على طائل من صحبته. ولّما وقف[موسى عليه السلام][2] مع

1 - أخرجه ابن أبي عاصم(ت287ه) في كتابه السّنة، وقال المحقق إن أسناده ضعيف: «فيه بَقِية مدلس وقد عنعن، ومثله ابن جريج(ابن أبي عاصم، السنة، تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي،ج2، الرياض،1419ه/ 1998م، ح1259، ص822).

2 - بياض في المتن تم إكماله بالعودة إلى مخطوط بغية السالك.

Scanned with OKEN Scanner

مجرّد الظّاهر فيما صدر من الخضر انقطع حبل مواصلتهما. حتّى قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «يرحم الله أخي موسى لو صبر حتّى يقص علينا من خبرهما»[1]. ومن حسن الظّنّ بالقدوة ألاّ يؤثر عليه فلا ينظره بعين النّقص عن مرتبة سواه. كما حدّثني أبي قال: حدّثني شيخي أبو القاسم قال: «جاء الشّيخ أبو العبّاس (نهاية ص 229) القنجايري[2] لمالقة[3] أيام كون شيخي أبي عمران[4] بها، فكان شيخي أبو عمران ذا خمول وتجريد وفقر وتستّر، وكان الشيخ أبو العبّاس القنجاري ذا جاه ومال وشهرة. قال: فخطر ببالي أن القبول الذي وضع الله لأبي العباس القنجاري في الأرض لعلّه لفضيلة زائدة على شيخي أبي عمران. قال: فما انفصل عنّي هذا الخاطر إلّا وقد نبت في إحد شدقي نبتٌ أفرط ألمه عليّ وأسهرني وعيل بوجعه صبري. وقال: فلمّا كان مع السّحر غلبتني عيناي فرأيت طريقا أبيض كأنّه

1 - مرّ تخريجه.

2 - أبو العباس القنجاري أو القنجايري (نسبة إلى قنجاير Canjayar: قرية وحصن من أحواز ألميرية) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي المربي (من ألميرية) (552هـ- 627هـ) عظيم الصيت، كثير السياحة، واسع المعرفة، كثير المال، حسن اللباس، عظيم الحاشية، معظم من العامة والخاصة (نقلا عن محقق كتاب بغية السالك في أشرف المسالك، عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1424هـ- 2003م، ج2، ص186).

3 - أمّا مالقة فهي (Málaga) المدينة الإسبانية القديمة الواقعة جنوب البلاد وهي عاصمة مقاطعة مالقة في منطقة أندلوسيا (الأندلس)، تطل على البحر المتوسط وتقع وسط منطقة كوستا دل سول وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة. تحيط بها الجبال، ويوجد حولها نهري غوادالمدينا وغواداهورس.

4 - أبو عمران موسى البردعي الفاسي مولدا ومنشأً، الإشبيلي ثم المالقي إقامة، وهو شيخ أبي القاسم المريد في التربية، حسب الترجمة التي قدمها له صاحب بغية السالك، وقد كان من أغنياء فاس وأعيانها في القرن السابع الهجري (ص131).

Scanned with OKEN Scanner

الفضّة في غاية الاعتدال، والسّهولة فنظرت فيه، فإذا الشّيخ أبو العبّاس القنجايري يجيء على ذلك الطّريق من إحدى ناحية، وشيخي أبو عمران يجيء من النّاحيّة الأخرى، كلّ واحد منهما يقابل الآخر. قال: فقلت في نفسي: الآن أعرف من هو الفاضل منهما عند تلاقيهما، فالمتواضع منهما لصاحبه هو المفضول. قال: فلمّا التقيا صار أبو العبّاس القنجايري بين يدي شيخي أبي عمران كالصّبيّ المتعلّم والتّلميذ المتبرّك، ثمّ جعل يقبّل يده. قال: له الشّيخ أبو القاسم. فقلت في نفسي وأنا نائم لّما رأيت ما رأيت من الشّيخين: والله إنّ شيخي لأكبر شأنا وأعظم خطرا، وإني أستغفر الله من تفضيل غيره عليه، فاستيقظت. وقد تفجّر نبتي وامتلأ فمي قيحا منه، وزال ألمه، فمسحت ذلك القيح. فلمّا صلّيت الصّبح غدوت على شيخي أبي عمران أزوره على عادتي. قال: فما هو إلّا أن رآني، وقال لي: يا أبا القاسم تفجّر نبتك. فقلت له: نعم يا سيّدي، وأنا أستغفر الله. فقال: ما يشكّ أحد أنّ أبا العبّاس القنجايري رجل فاضل صالح، وإنّما أطلعك الله على ما للفقير على الغنيّ من الفضل، ومع هذا يا أبا القاسم فلا تعد لمثل هذا من تفضيل بعض النّاس على بعض، فإن العواقب مستورة عنك وما هي إلّا (نهاية ص 230) ظنون تخطئ وتصيب.

**الثّالث**: التزام طاعته في كل مكروه ومحبوب، بقوّة عزم وطِيب نفسٍ، ومسارعة، وليعلم التّلميذ أنّ الّذي يشقّ على نفسه من طاعة قدوته في عاقبة أمره الخير والبركة، مع ما في ذلك من رياضة النّفس على مخالفة الهوى، وما يدريه لعلّ الشّيخ قصد بذلك[قال بعضهم:][1] من استعصى شيخه في شيء ولم يشفع به فليعش على مرضاة قدوته في جميع ما يأمره به، وينهاه عنه بالنّص أو بالمفهوم.

1 - بياض في متن المؤلف تم إكماله من مخطوط بغية السالك.

Scanned with OKEN Scanner

ومن حسن الامتثال في ذلك أن يكون التلميذ أبدا متلمّحا أغراض قدوته وإرادته فيجعل بحسب مفهومه بملاحظة إشارته ومراعاة أغراضه فمن حسن الطّاعات القيام بها قبل الأمر بها.

**الرّابع**: أن لا يؤثّر نفسه على قدوته بشيء من الحظوظ الدّنيويّة والأخرويّة، بل يؤثره على نفسه بجميع ذلك. أمّا الأخرويّة فمن عنده جاءه أصلها. أمّا الدّنيويّة فهي جنب ما ناله على يده من أمر الآخرة شيء تافه لا قيمة له. ومن آثر نفسه على قدوته بشيء من الأشياء ولو بحياة ساعة بعده فقد بخسه حقّه ولم يعرف له واجبه. ومن توابع ذلك أن لا يكتم شيئا عنه من أحواله الظّاهرة والباطنة الأخرويّة والدّنيويّة، وإن كتمه شيئا فقد خانه. وعماد هذه الشروط كلّها وذروة سنامها أن يكون القصد في ذلك كلّه رضا الله عزّ وجلّ قصدا مجرّدا من جميع الشّوائب والأوهام، وليعلمْ أنّ رضا الله تعالى في رضا قدوته، فليلتمسه بنفسه ما استطاع[1]. اه. والسّلام.

## تفسير أيات من سورة النساء تفسيرا إشاريا:

اعلموا أنّي أريد أن أتكلّم بالإشارة على حسب ما ظهر لي في قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا

1 – تمت مراجعة النص المقتبس وتصحيحه من المصدر: بغية السالك في شرف المسالك لمحمد بن محمد الساحلي المالقي المتوفى سنة 754ه (جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات مخطوط رقم 5315، ص 137-140، وقد حقق الكتاب وصدر في جزأين من تحقيق عبد الرحيم العلمي- سبقت الإشارة إليه-).

Scanned with OKEN Scanner

عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا»[1]، وذلك بعد ما ورد (نهاية ص 231) عليّ بعضها بلا تأمّل وهو قوله تعالى: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ»، وقوله «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِم» وقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ» أي وما أرسلنا من رسول إلّا جاء الوحي إلى أمّته بإذن من الله في التّبليغ لهم، وكذلك ما آمن به من أمّته وأطاعه إلّا بإذن من الله، وكذلك من كان على قدمهم من المشايخ الرّبّانيّين لا يتصدّرون إلى المشيخة على النّاس إلّا بإذن من الله، لأنّ الأنبياء عليهم السّلام يأتيهم الوحي بواسطة جبريل عليه السّلام، والأولياء يوحى إليهم في أسرارهم ولا ينتفع بهم أحد ويطيعهم إلّا بإذن من الله. وفي هذه الآية إشارة إلى أنّه لا بدّ من الاكتفاء بالله والتوكّل عليه في النّفع الّذي يحصل للنّاس من التّزكيّة والتّخليّة، والتّحليّة على أيدي الأنبياء عليهم السّلام، والأولياء رضي الله عنهم كما هو منصوص على ذلك في الكتاب والسّنّة، كقوله تعالى: «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»[2]، وقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ»[3]، إلى غير ذلك من الآي. وقوله

1- النساء -62 69
2- النور/ 52
3- القصص/ 56

صلّى الله عليه وسلّم: «اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ»[1] إلى غير ذلك وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ». هذه الآية فيها إشارة ودلالة على أنّ أساس آداب المُريدين هو امتثال أمر المشايخ وتحكيمهم لهم في أنفسهم، [وهذه هي][2] علامة السّعادة والخير لمن ظلم نفسه بالمخالفة لهم فيما أمروه به من العزائم في سلوك الطريق، فإن جاءهم تائبا مستغفرا من ذلك قلبا وقالبا راجعا إلى الله عاملا بما أمروه به قولا وفعلا، ولم يعد إلى ما كان عليه من مخالفتهم (نهاية ص 232) فاستغفروا له، وعطفوا عليه فيما صدر منه من المخالفة، فإنّه يجد الله توّابا رحيما، أي يقبل توبته ويرحمه ويغفر له ويقوّيه على سلوك طريقه على أيديهم، ويعطف عليه ويدخله حضرته.

فهذا من فضل الله تعالى على من تاب ورجع، وقوله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» هذه شريعة وحكم من الله على من ادّعى الاقتداء بالأنبياء عليهم السّلام، وكذلك يلتحق به من ادّعى الاقتداء بمشايخ الرّبّانيّة فلا يتمّ لهم الإيمان الكامل الّذي لا شكّ معه ولا ريب حتّى يحكّموهم فيما شجر بينهم، أي فيما وقع بينهم من التّشاجر والمخالفة والمذاكرة الّتي هي أساس الطّريق، وذلك بأن يقول أحدهم قولا ويقول غيره قولا خلافه ولم ينقادوا ولم يسمح بعضهم لبعض، بل وقع منهم ذلك بإظهار الرّياسة وغيرها من عيوب النّفس، فيجب عليهم حينئذ أن يحكّموا المشايخ فيما وقع بينهم من الجدال

1 - خاتمة حديث حجة الوداع: «اللهم فاشهد، اللهم فاشهد» (مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح 1218، ص 556-557).

2 - ب: هذا هو.

و[التعنّت](1)، بحيث «لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا» أي ضيقا وكراهيّة لما يحكمون به عليهم، ويسلّمون له تسليما فيما يأمرونهم به ويقضون به عليهم، ولو كان [ضلالا](2) في ظاهر الامر، «وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً»، أي ينقادوا انقيادا إلى أمرهم من غير مخالفة ولا تردّد، فهذا أصل حكم المشايخ على المريدين ومن خالفهم فلا يجيء منه شيء، كما قالوا: من خالف شيخه في نَفَس من أنفاسه لا يجيء منه شيء. وقالوا أيضا: من قال لشيخه (لِمَ؟) لا يفلح أبدا. إلى غير ذلك.

وبمعنى هذه الآية يظهر المُريد الصَّادق من المدّعي، ومن أجل ذلك كان الواجب على المُريد أن لا يكتم عن شيخه ما يتجلّى له من الموارد والخواطر سواء كانت في نفسه (نهاية ص 233) أو من جنسه، ليحكم له في ذلك بما ظهر له وإلّا فهو مخدوع غارٌّ لنفسه، ومن غرّ نفسه لا يجيء منه شيء. وكذلك إن وقعت منهم مشاجرة في الحقّ أي من خصيم النّفس والشّيطان والهوى، وخصيم الحقّ في أمر أو نهي من المشايخ، فخصيم الحق يأمر باتّباع الشّيخ وامتثال أمره واجتناب نهيّه. وضدّه يأمر بمخالفته، ولو بالميل إلى الرّخص والتّأويلات حتّى يتمكّنوا من مرآة القلب فتصيبها ظلمة لا نور بعدها بسبب اتّباع أمرهم.

فمن حكَّم شيخه في ذلك نال ما نالت الرّجال، ومن لا فلا. هذا هو الأصل في حكم المشايخ في المريدين، والله الموفّق. وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ» معناها من باب الإشارة، والله أعلم، ولو أنّا أوحينا وفرضنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم بمخالفة شهواتها وترك عوائدها أو اخرجوا من دياركم،

1- ب: التعنيت.

2- ب: محالا، وهو الأصوب.

Scanned with OKEN Scanner

وجميع ما بأيديكم ما فعلوه إلّا قليل منهم، وهم أصل الصّدق، وقد اختبر بعض المشايخ المتقدّمين أصحابهم اختبارا كبيرا: فمنهم من اختبر أصحابه بالقتل كما يُحكى عن سيّدي أحمد بن يوسف رحمه الله، ومنهم من اختبر أصحابه بالخروج عن المال كلّه سوى حمار، يفعل المريد جميع ذلك، ومع فِعل سيّدي عبد الرّحمن المجذوب مع سيّدي يوسف الفاسي، وذلك أنّه أمره بالخروج عن ماله كلّه لله عزّ وجلّ سوى دار سكناه، فامتثل وفعل جميع ذلك بل خرج حتّى عن الدّار حتّى ردّها عليه الشّيخ، وغيرهم من المشايخ كثير، لكن من المريدين من امتثل ومنهم من لم يمتثل.

والآن يا عباد الله فلو فعلتم(نهاية ص 234) ما وعظناكم به من المذاكرة بالجدّ والتّشمير من غير رخصة ولا ميل إلى هوى، ولا انهماك في أمر المعيشة، كما هو واقع ممّن كان منكم ذا عيال، وممّن كان متجرّدا برأسه حتّى كدت أيأس من سلوككم الطّريق، وحصول الفتح عليكم فيها ولا حول ولا قوّة الا بالله، وحتّى خفت أن يقال لي كما قيل لداود عليه السّلام لما أكثر قراءة الزّبور على قومه ولم يسمعوا له: على من تقرأ زبورك يا داود، أو يقال لي كما قال الله تبارك وتعالى لنوح عليه السّلام: «وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَ آمَنَ»[1]، إلى غير ذلك مما وقع للأنبياء عليهم السّلام، وكما وقع لنبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، حيث قيل له: «إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنَ اَحْبَبْتَ»[2]. ولا حول ولا قوّة إلا بالله، «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[3].

---

1 - هود/ 36

2 - القصص/ 56

3 - البقرة/ 156

فارجعوا يا عباد الله عن اتّباع الهوى، وتوبوا إلى الله من ذلك، وامتثلوا أمرنا فيما يقرّبكم من الله تعالى في أقرب مدّة. وأمّا تسويفكم وقولكم: السّاعة يُفتَح علينا فلا عبرة به، وقد غرّ ذلك كثيرا من النّاس وهم لا يشعرون، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ»، أي لو أنّهم فعلوا ما يوعظون به من الآي والأحاديث، أي وكلام أئمّة الصّوفيّة وغيرهم لكان ذلك خيرا لهم، أي لحصل لهم بسبب ذلك خير عظيم من الفتوحات الرّبّانيّة والمواهب الإلهيّة من التّسهيل عليهم في البداية وحصول اليقظة لهم والانتباه، وغير ذلك من المقامات والاحوال. وأمّا من لم يفعل ما يوعظ فلا يكون له شيء من ذلك أبدا، كما قدّمنا وقوله سبحانه «وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً» أي أكثر تثبيتا ورسوخا (نهاية ص 235) في سلوك الطّريق، وهذا من أكبر منح الله تعالى وفضله وجوده على من فعل ما يوعظ به، وهو حصول الثّبات في حصول طريق الله باستعمال شرائعها قلبا وقالبا حتّى يهب الله لهم العلوم اللّدنيّة والقربات والمشاهدة للحقائق النّورانيّة وغير ذلك من منح الله تعالى وعطاياه. وهؤلاء الّذين قال الله فيهم: «وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا»، أي ثوابا عظيما وفضلا جسيما مجازاة عن امتثالهم ما أمرناهم به، واجتنابهم ما نهيناهم عنه وسماعهم وفعلهم ما وعظناهم به، وقوله: «وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا»، أي لأرشدناهم طريقا مستقيما وتولّيناهم في سلوكهم ذلك الطّريق المستقيم الّذي سلكه الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام وأكابر الأوليّاء رضي الله عنهم وهي الّتي لا اعوجاج فيها، كما قال تعالى: «دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا»[1]، أي مائلا عن الباطل إلى الحقّ، أو نقول ولأخرجهم من الظّلمات إلى النّور، ومن الحجاب إلى كشف السّتور ودوام الحضور، والدّخول في حضرة القريب المجيب، وكلّ على حسب صدقه وقريحته وعزمه ونيّته وثباته، وقوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ» أي بامتثال جميع المأمورات واجتناب جميع المنهيّات «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أي مَنَّ الله عليهم وتفضّل عليهم وتكرّم عليهم «مِنَ النَّبِيِّينَ» أي من فعل ما يوعظ به، وأطاع الله ورسوله في جميع ما أمر به ونهى عنه، يكون له ما تقدّم من الأسرار حتما بسبب ذلك، ويدخل في دائرة الولاية مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين ..الخ. ولكن كلّ واحد على حسب مقامه لأنّ كلّ (نهاية ص 236) وليٍّ على قدم نبيّ قولا وفعلا وحالا. فمنهم من يكون الغالب عليه المشاهدة والرّؤيا بالبصيرة، وهذا على قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يكون الغالب عليه الخوارق كإحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكْمَهَ والأبرص وغير ذلك، فهذا على قدم عيسى عليه السّلام، ومنهم من يكون الغالب عليه تسخير الكائنات، وطاعتها له حتّى يصير يقول للشّيء كن فيكون، وهذا على قدم داود وسليمان عليهما السّلام، وهكذا إلى آدم عليه السّلام، وهذا كلّه من فضل الله تعالى على أوليّائه، وهو معنى قوله تعالى: «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» وقوله: «وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا»، أي كفى به عليما بحال عباده، أي فمن رآه أهلا لمشاهدة أنواره ومحلّا لاكتمال أسراره من أوليائه،

1 - الانعام/ 163

«الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا»[1] وكانوا على قدم الأنبياء عليهم السّلام -كما قدمنا- يعطيه من الأسرار والأنوار والقربات دنيا وآخرة ما لا حصر له ولا نهاية، وإلّا، فلا.

فاجتهدوا ولا بدّ من امتثال ما توعظون به من كلام الله عزّ وجلّ والأحاديث النّبويّة وكلام الصّوفيّة رضي الله عنهم وامتثال كلّ ما كتبناكم به من المذاكرات والمواعظ الّتي ترشد إلى سلوك طريق الله، وطريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وطريق المشايخ رضي الله عنهم، لعلّكم تستفيدون، وتنتفعون بمعاني هذه الآي الّتي فسرناها لكم بالإشارة في هذا الكتاب، ولا بدّ، ولا بدّ، كونوا عند أمرنا ونهينا. ومنذ زمان وأنا أتكلّم معكم بما يرد على قلبي من وحي الإلهام الّذي هو المواهب الرّبّانيّة والعلوم اللّدنيّة، وأنتم تسمعون بآذانكم وتؤمنون بذلك ولا تنكرونه، ولا بدّ (نهاية ص 237)، ولا بدّ، يا إخواني اعملوا بما تسمعون منّا وداوموا عليه حتّى يفتح الله عليكم، لأنّ الوقوف بالباب هو سبب الفتح الكبير، كما قيل:

لَازِمِ البَابَ إِنْ عَشِقْتَ الجَمَالا

وَاهْجُرِ النَّوْمَ إِنْ أَرَدْتَ الوِصَالا[2]

فهذه منّا إليكم، والسّلام.

## [نصيحتي إليك أيها المحبّ:]

اعلم أنّك إن أردت سحائب غيثنا وألطاف نفحاتنا فإنّي أخبرك بها، إن شاء الله على وجه الاختصار، بداية ووسطا ونهاية، واجعلها

1 - فصلت/ 29

2 - ينظر: أحمد بن عجيبة، البحر المديد، مصدر مذكور، ج2، ص575.

لك إلى أقصى دائرة الولاية الكبرى فإن تأمّلتها وجدتها جامعة لمعظم ما في كتب الصّوفيّة، نظما ونثرا ومتنا وشرحا على حسب ما ورد علينا بوحي الإلهام بلا تأمّل ولا قلقلة لسان، فأقول والله المستعان.

اعلم أيّها المحبّ أنّ مدارك كتب القوم كلّها الّتي ألفوها في علم الباطن من البداية إلى نهاية النّهاية على أنّ المُريد الصّادق إذا تجرّد في بداية أمره من أسباب الدّنيا ظاهرا وباطنا، ولم يسكن إليها بقلبه ولو قلّتْ صحّت له المُريديّة لا محالة، وإذا صحّت له المُريديّة يحصل له سلوك الطّريق الموصلة إلى حضرة الله، ويحصل له الفناء في الله الّذي هو أساس الطّريق، وبه يتوصّل الى مقامات التّحقيق، وذلك بالذّوق والوجدان والشّهود والعيان لا بلقلقة اللّسان، كما هو حال أكثر المدّعين. ولا شكّ إذا حصل له مقام الفناء الّذي ذكرنا على النّعت الّذي وصفنا يحصل له مقام البقاء لا محالة، وهو الجمع بين الحضرتين الكريمتين الرّبّانيّة والنّبويّة مع الرّسوخ والتّمكين فيهما، ومن هنا يحصل له الرجوع إلى الآثار وهو إثبات الأشياء بالله. وإذا حصل على هذا المقام الّذي ذكرنا أوّلاً يحصل له الإذن (نهاية ص 238) من الله ومن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الكسب وفي تركه، وحينئذ يخاطبه مولاه سبحانه منه فيه، ومن الموجودات بأسرها، ويقول له: يا عبدي: إن شئت اختر، وإن شئت لا تختر، فإنّك إن اخترت فباختيارك اخترت وإن تركت فباختيارك تركت الاختيار، فإنّك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار. فبهذا الوصف وبهذا النّعت صاروا أئمّة الدّين وكانوا من المشايخ الرّبّانيّين. فافهم واسمع واعقل يا من يدّعي المشيخة ويتفرّع في كلّ ما [تشتّت فيه][1] نفسه من أمور الدّنيا

---

1 - ب: تشتهيه.

Scanned with OKEN Scanner

كالعوامّ وأقبح، ولم يستح من الله ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن أهل الله رضي الله عنهم، مع علمه أنّ جلّ المشايخ الرّبّانيّين اختاروا التّجريد منهاجا، اقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم لم يخلّف دينارا ولا درهما، ولا شاةً ولا بعيراً، بل ترك درعه مرهونة عند يهودي في صاع شعير لقوت عياله[1]، ومع هذا فقد راودته الجبال الشّمّ أي العاليّة المرتفعة من الذّهب عن نفسه، فأبى وأعرض عنها وقال: «لا خير في عيشة بعد موت»[2] أو كما قال، وقد روي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «اللهمّ ارزقني ما يكفيني وامنعني ما يطغيني»[3]، وقال أيضا: «اللهمّ اجعل رزق آل محمّد كفافا» وفي رواية «قوتا»[4] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في اختياره صلّى الله عليه وسلّم الفقر ومصابرته عليه وهي لا تحصى كثرة، وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على حال الفرار من

---

1 - يشير المؤلف إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير» (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي -ص- والقميص في الحرب، ح2916، ص820).

2 - لم نقف له على أصل أو إسناد.

3 - أخرجه الهيثمي بلفظ مخالف، حيث قال: وعن أنس: ما صلى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صلاةً مكتوبةً قطّ إلا قال حينَ أقبل علينا بوجهِهِ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من كلِّ عملٍ يُخزيني وأعوذُ بك من صاحبٍ يُؤذيني وأعوذُ بك من كلِّ أملٍ يُلهيني وأعوذُ بك من كلِّ فقرٍ يُنسيني وأعوذُ بك من كلِّ غنًى يُطغيني». وحكم عليه بقوله: رواه البزار وفيه بكر بن خنيس وهو متروك وقد وُثِّق، ورواه أبو يعلى وفيه عقبة بن عبد الله الأصم وهو ضعيف جدا. (الهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر مذكور، ج10، ص110).

4 - رواه البخاري، كتاب الرقاق، كيف كان عيش النبي (ص)، ح6460، ص1068، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح1055، ص1357.

الدّنيا بالقليل منها وهو ما يسدّ الجوعة ويستر العورة، مع كونه معصوما فكيف يُسوَّغ (نهاية ص 239) لغيره كائنا من كان أن يتفرغ في أمور الدّنيا ولم يقنع منها بما يتيسّر ويدّعي الإذن في ذلك. ويقول أنّه فيه بالله لا بنفسه، ولم يعلم أنّ كثيرا من النّاس سلبتهم الدّنيا مع وجود الاستشراف على مقام القطبانيّة، ولم تترك فيهم رائحة العمر والعياذ بالله، وهم يحسبون أنّهم على شيء، والسّلام.

اعلم أنّ معظم الفساد على المُريد والقطيعة على الله والمقت هو مخالفة المشايخ فيما يأمرونه به، ولو كان محالا وينهونه عنه ولو كان مباحا، فأحرى المكروه أو المتشابه أو المحرَّم، ومن ذلك السّفر بغير إذنهم ومشورتهم ومعاشرة الأضداد وغير ذلك من مفسدات سلوك الطّريق الموصلة إلى الله وهي كثيرة، لأنّ الأدب مع المشايخ الرّبّانيّين واجب على من اقتدى بهم، وسوء الأدب معهم عطب كبير وعِقال عظيم، ومفسدة كبيرة.

واسمع قول الصّوفيّة في ذلك، قال أبو تراب النخشبي[1] رضي الله عنه: «لا أعلم شيئا أضرّ بالمُريدين من إسفارهم على متابعة نفوسهم بغير إذن أستاذهم وما فسد مُريد إلّا بالأسفار ومعاشرة الاضداد»[2].

1 - أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم، والفتوة، والتوكل، والزهد، والورع»، ووصفه الذهبي بأنه الإمام القدوة شيخ الطائفة. ومدينة نخشب من نواحي بلخ. توفي بطريق الحج انقطع فنهشته السباع في سنة 245 ه. صحب أبا حاتم العطار البصري، وحاتما الأصم البلخي وحدث عن نعيم بن حماد ومحمد بن عبد الله بن نمير وغيرهما. وحدث عنه الفتح بن شخرف، ورفيقه أبو بكر بن أبي عاصم وعبد الله بن أحمد بن حنبل ويوسف بن الحسين الرازي وأبو عبد الله أحمد بن الجلاء وغيرهم.

2 - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج2، ص109.

وقال إبراهيم بن شيبان[1]: «من ترك حرمة المشايخ ابتلي بالدّعاوى الكاذبة فافتضح بها»[2]. اه. وقال الحسين القرشي[3]: «من أكرمه الله تعالى بحرمة الأكابر أوقع حرمته في قلوب الخلق، ومن حُرم ذلك نزع الله حرمته من قلوب الخلق فلا تراه إلا ممقوتا، وإن حسُنت أخلاقه وصلُحت أحواله*[4]، لأنّ النّبي صلّ الله عليه وسلّم يقول: (نهاية ص 240) من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم»[5]،

---

1 -أبُو إسْحَاق إبْرَاهِيم بن شَيبَان القِرميسيني، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنّه: «شيخ الجْبَلِ فِي وقته، لَهُ مقامات فِي الْورع وَالتَّقْوى يعجز عَنْهَا الْخلق إِلَّا مثله، وَكَانَ شَدِيداً على المدّعين متمسكاً بِالْكتاب وَالسّنة لَازِماً لطريقة الْمَشَايِخ وَالْأَئِمَّة»، وقال عنه عبد الله بن محمد بن منازل: إبْرَاهِيم حجَّة الله تَعَالَى على الْفُقَرَاء وَأهل الْآدَاب والمعاملات، سافر ومرّ بمعان، وعاش في «قِرميسين» (بلدة بجبال العراق)، وتُوفي فيها سنة 330 ه، وقيل سنة 337 ه.

2 - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج2، ص151.

3 - أبُو الْحُسَيْن بن هِنْد، واسمه عَليّ بن هِنْد الْفَارِسِي الْقرشِي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنّه: «من كبار مَشَايِخ الْفرس وعلمائهم، كَانَ لَهُ الْأَحْوَال الْعَالِيَة والمقامات الزكية»، صحب جعفراً الْحذاء وَمن فَوْقه من الْمَشَايِخ بِفَارِس، وَصَحب أَيْضا الْجُنَيْد وعمراً الْمَكِّيّ وَمن فِي طبقتهم

4 *عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج2، ص150-151.

5 -أخرجه الخطيب البغدادي(ت463) برواية إبراهيم بن سليمان البُرُلسي(ت272ه)، عن أبي هريرة، وقال عن إبراهيم البرلسي كان ثقة متقنا حافظا للحديث(الخطيب البغدادي، كتاب الموضح لأوهام الجمع والتفريق، تصحيح ومراجعة عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الفكر الإسلامي، ط2، 1405ه/ 1985م، ص391).

وقال أبو علي الثّقفي[1]: «من صحب الأكابر من غير طريق الخدمة حُرِم فوائدهم وبركات نظرهم ولم يظهر عليه من أنوارهم شيء»[2].

إلى غير ذلك، فإن صحبت شيخا عارفا أيّها المُريد فكن عنده كالميت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف يشاء وهو مطاوع، ومعنى هذا هو أنّه إذا قال لك: لا، فقل: لا. ولو كان الأمر حسنا في نظرك وإذا قال لك: نعم، فقل: نعم، ولو كان قبيحا في نظرك، واعتبر بقصّة الخضر مع موسى عليهما السّلام، إن كنتم تعقلون والسّلام. اعلموا أيّها الإخوان أنّ الهمّة قوّة روحانيّة، والرّوحانيّة لا يسعها الوجود بأسره، لأنّها جامعة الأسرار الأزليّة بأسرها، كما هو معلوم عند المشايخ الرّبّانيّين، فمن أعانه الله بعلو الهمّة عن الدّناءات والرّذائل من حيث هي، حتّى لا يبقى له التفات إلى شيء من أحوال الدّنيا، ولو كانت مباحة شرعا كالأكل والمشارب و[المناكح][3] والملابس وغير ذلك مما يتفرّع من أمورها، فإنّه يكاشفه بحقيقتها، ويطلعه على جميع أسرارها حتّى يعود يقول للشّيء: كن فيكون، وسمع الخطاب من الله في نفسه بقوله: «عبدي أنت صفاتي وأنا صفاتك ارجع إليَّ أرجع إليك»[4] وحينئذ يفنى من لم يكن ويبلى من لم يزل، ويُكاشَف العبد حينئذ بحقيقة الرّوحانيّة

1 - أبو علي الثقفي: هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب يرجع نسبه إلى الحجاج بن يوسف الثقفي. ولد في قُهُستان -من أعمال خراسان- في سنة 244 ه. حيث كان أبوه أمير قُهُستان. بدأ الثقفي بسلوك سبيل التصوف والزهد. ولم يشرع في طلب العلم إلا حين كبر سنه. تفقه على المذهب الشافعي حتى صار من أفقه أهل خراسان في زمانه، وصار إماماً في أكثر الفروع. ثم توقف عن طلب العلم وتدريسه، وعاد إلى سلوك سبيل التصوف والزهد، وأظهر التصوف في نيسابور.

2 - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصدر مذكور، ج2، 142.

3 - ب: زائدة.

4 - مرّ تخريجه.

Scanned with OKEN Scanner

وإحاطتها بالوجود بأسره جملة وتفصيلا، فهذه هي حقيقة الهمّة إذا تعلّقت بالله ورجعت إلى أصلها وهو عالم الارواح. وأمّا اذا استولت عليها الحسّيّات (نهاية ص 241) وملكتها وتصرّفت فيها، فإنّها تصير دنيّة خسيسة رذيلة لا قيمة لها عند الله بعد علو مكانها وارتفاع شأنها في عالم اللّطائف الرّوحانيّة. وهنا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذمّها: «من كانت همّته في بطنه وفرجه كانت قيمته ما يخرج منها»[1]، وهذا كاف في قبحها وخساستها ودنوها وإهانتها عند الله. فعليكم بعلو الهمّة وتنزيهها عن الرّذائل كلّها تنالوا ما نالت الرّجال. وإلّا فأنتم في حيّز من نزلت فيهم الآية الكريمة وهي قوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الانسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ»[2]، وقوله تعالى: «وَالْعَصْرِ اِنَّ الاِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ»[3]، وغير ذلك من الآي الّتي نزلت فيمن دنت همّته ومال إلى الدّنيا وشهواتها وعوائدها وزينتها ولو كانت مباحة. والله الموفّق، والسّلام.

واسمعوا أيضا قوله تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ»[4]، ويكفي في تحذير المؤمنين المقبلين [على الله][5] بقلوبهم وجوارحهم هذه الآية، وكقوله تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ»[6]، والسّلام.

---

1 - هو من أقوال الحكماء، وتنسبه الشيعة للإمام علي كرم الله وجهه.

2 - التين/ 4 5-

3 - العصر/ 1-2

4 - ءال عمران/ 14

5 - ب : زائدة.

6 - هود/ 15

انتهى بحمد الله وحسن عونه الجميل، سنة 1294 من الهجرة النّبويّة، صلّى الله على صاحبها وسلّم. اللهمّ اغفر لكاتبه ووالديه وأشياخه وأصوله وفصوله وحواشيه وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات،[إنك قريب مجيب الدعوات][1] آمين، يا ربّ العالمين.

تمّ في ح 2 من شهر الله المعظّم جمادى الاولى.

---

1 - ب : زائدة، ونشير إلى أن النسخة ب قدخلت من تاريخ الفراغ من النسخ، كما خلت مثل النسخة أ من اسم الناسخ

# فهرس الموضوعات



Scanned with OKEN Scanner

Scanned with OKEN Scanner

Scanned with OKEN Scanner

Scanned with OKEN Scanner

Scanned with OKEN Scanner